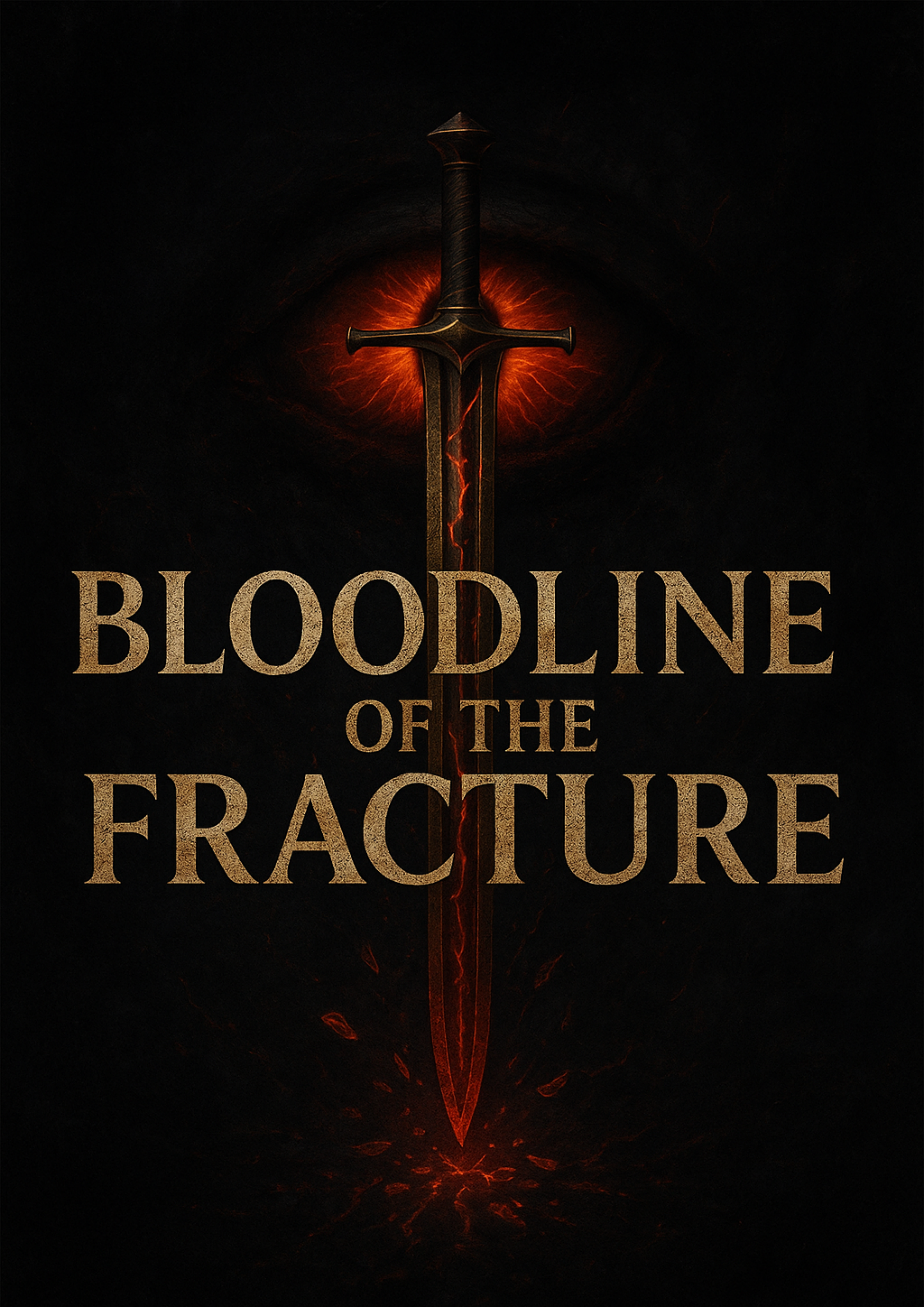

BLOODLINE
OF THE
FRACTURE

BLOODLINE OF THE FRACTURE

رواية أولية

Nyxviel ________ Insta : nv7tz

سُلالــة الكــسر

منذ اللحظة التي انشقت فيها الأرض، وسال الدم من شرايينها، وُلدت سلالة ملعونة تحمل اسم الكسر.
سلالة لا تُعرّف بالدم وحده، بل باللعنة التي تجري في عروقها، وبالظلام الذي يطاردها أينما حلّت.
كل جيل يخلّف جراحه فيمن يأتي بعده، وكل خيانة تُعمّق الشرخ أكثر حتى صار إرثهم سلسلة لا تنكسر من الألم والدماء.
في قلب العاصفة، يقف وريث الكسر الأخير، محاصرًا بأشباح الماضي، وأصواتٍ لا يسمعها سواه، وعيونٍ حمراء تترصّده من العتمة.
بين هاجس الانتقام ونداء الخلاص، يجد نفسه ممزقًا بين خيارين :
أن يكون من يُعيد للعالم توازنه، أو من يتركه ينهار إلى هاوية لا عودة منها.
إنها حكاية عن الخيانة التي تولّد الخوف، وعن الدم الذي يصبح سلاحًا ولعنة في آنٍ واحد.
حكاية عن حدودٍ يتقاطع فيها الأمل باليأس، وعن الحقيقة المرعبة التي تقول إن بعض الشقوق لا تُشفى.
بل تتسع حتى تبتلع كل شيء

سُلالة الكسر

BLOODLINE OF THE FRACTURE

– تحذير فُقد من المخطوطات –

"...لا تفتح الصفحة ، إن لم تود أن يُمحى اسمك من بين الأحياء ."

أيها القارئ...

هذه الكلمات لم تُكتب لتُقرأ ، بل لتُخفى .

لم تُسجَّل لتُحكى ، بل لتُدفن .

وها أنت ، رغم ذلك ، تلمس ما كان ينبغي أن يُترك في العدم .

ستجد هنا ... [سطر ممحو بالحبر] ... ليس أبطالاً ، بل أرواحًا ممزقة .

ستجد مدنًا تُسقطها صرخات ، ودماءً تتخثر على جدران لا يتذكرها أحد .

كل فصلٍ تنطق به عيناك ليس إلا جزءاً من الحلقة التي ظنّوا أنهم كسروها... فعادت أقسى .

احذر...

ما ستقرأه ليس نهاية ، ولا بداية .

إنه جرحٌ مفتوح ، يرفض أن يلتئم .

كل موتٍ في هذه الصفحات ... [فراغ مقطوع] ... لم يكن إلا حياةً أشد سواداً .

كل صرخةٍ ، حتى وإن لم تسمعها ، ستبقى عالقة في صدرك .

ستراقب كاين ، التوأم الملعون ، وهو يقطع رأسه بيده .

سترى استرافا ، لا كجسد ولا كروح ، بل كفوضى تنبض في العدم .

ستشاهد أورين وهو يحترق ، لا ليُنقذ ، بل ليؤخر فقط لحظة الانطفاء .

وستدرك أن ليانا وزايل ... [الكلمات مشوشة] ... لم يُخلقوا ليُنقذوا شيئًا ، بل ليبقوا شهوداً على موت كل شيء .

هذه الصفحات ليست قصة .

إنها لعنة .

لعنة انبثقت من الأجيال التي لم تُولد ، من حلقات لم تُكمل ، من دماء لم تجفّ .

كل كلمة تقرأها ، ستأخذ شيئًا منك .

شيئًا لن تسترده .

إن اخترت الاستمرار...

فلا تعُد تلُم نومك إن صار غريباً .

ولا تعُد تلُم عقلك إن صار أثقل مما يحتمل .

ولا تعُد تلُم قلبك... إن توقف عن البحث عن الخلاص .

"...وإذا وصلت إلى الصرخة الأخيرة... فاعلم أنها لم تكن مكتوبة لك .

كانت تنتظرك فقط... لتسمعها ."

كلمة لك يامن قررت الإستمرار

لقد تجاهلتَ التحذير .

تجاوزتَ السطر المكسور الذي قيل لك :

"——— لا تفتح الصفحة ."

والآن... لم تَعُد غريبًا عن هذه الكلمات .

اعلم... لم تَعُد قارئًا .

لقد أصبحتَ شاهداً ، والشاهد في هذا العالَم لا يُعفى ، ولا ينجو .

كل ما بين هذه الصفحات ليس قصة .

إنه حِمل .

لعنة .

موتٌ يتكرر .

وأنت الآن حملتَه على كتفيك .

ستكتشف أن الأبطال ليسوا أبطالاً .

ستتعلم أن كل خلاص ينتهي بخيانة .

وسترى ، بعينيك ، كيف يذوب الزمن ويُعاد ، لا لينقذك ، بل ليبتلعك .

أجل... كل موتٍ تقرؤه هنا سيأخذ منك شيئًا .

جزءاً صغيراً من اسمك .

جزءاً صغيراً من صوتك .

جزءاً صغيراً من ملامحك .

حتى تكتشف أنك ، في النهاية ، لم تعُد كما كنت حين بدأت القراءة .

لا تُخطئ :

لقد اخترت طريقًا لا عودة منه .

لن تستطيع الادّعاء أنك لم تعرف .

لن تستطيع الادّعاء أنك لم تُحذر .

هذه الصفحة سجّلتك بالفعل... وأنت تقرؤها الآن ، اسمك يُمحى من حيث كان ، ويُكتب حيث لا يجب أن يكون .

ما سيأتي لن يُنقذك منه أحد .

ليس كاين .

ولا استرافا .

ولا حتى الذين ماتوا ليوقفوا الحلقة .

فكلّهم صاروا رماداً ، وأنت صرتَ شاهداً على رمادهم .

إن واصلت ، فستصبح جزءاً من الحلقة .

ولتعلم أن الحلقة لا تُكمل نفسها إلا بالدم .

دمٌ سيُطلب منك أنت .

... وإن حاولت أن تُغلق الكتاب بعد الآن؟

فلن يُغلق .

ليس بيدك .

ليس بإرادتك .

لقد وقّعت .

بقراءة أول كلمة... وقّعت .

وما بقي أمامك إلا أن تسمع الصرخة الأخيرة التي لم يكن يجب أن تصل إليك .

"من يقرأ... لا يعود غريبًا .

من يقرأ... يُصبح اسمًا بين الذين لم يولدوا ."

"... وأنت الآن ، واحد منهم ."

المقدمة

... في البدء لم يكن ضوء .

ولم يكن ظلام .

بل كان صدى ، يتكرر بلا بداية ، بلا نهاية .

صرخة لم يسمعها أحد ، لكنها ظلّت ترتجّ في الفراغ ، حتى تكوّنت منها أول لعنة .

قيل إن العالم خُلق من رماد حرب لم يتذكرها أحد .

قيل إن الزمن نفسه ليس خطًا ، بل حلقة تُعاد ، تُعاد ، تُعاد... حتى ينسى البشر أنهم عالقون فيها .

لكن ما لم يُقال... أن كل حلقة ، في كل دورة ، تبتلع وجوهًا جديدة ، دماءً جديدة ، وأسماءً تُمحى قبل أن تولد .

هذه ليست حكاية خلاص .

وليست ملحمة أبطال .

هذه قصيدة للدم ، للصرخات ، للمدن التي تحترق ، وللقلوب التي اختارت أن تُكسر بدلاً من أن تُشفى .

كاين... الفارس الذي عاش نصفه في النور ، ونصفه في جحيم أخيه .

استرافا... التوأم الساقط ، الذي صار اسمه مرادفًا للفوضى .

أورين... الذي حمل لعنة المعرفة حتى صار جسده ثمنًا لها .

ليانا... التي لم تولد لتعيش ، بل لتشهد .

وزايل... الذي عُجن من الغضب والدم ، وترك قلبه ينزف بدلاً من أن يهدأ .

كل واحد منهم لم يكن بطلاً... بل شظية .

شظية من كسرٍ أعظم ، من صدعٍ بدأ قبلهم بآلاف السنين .

وكل واحد منهم ، في النهاية ، سيكتشف أن وجوده لم يكن من أجل النصر... بل من أجل اكتمال الحلقة .

أيها القارئ...

حين تفتح هذه الصفحات ، لن ترافقهم كغريب .

ستُصبح شاهداً ، تماماً كما أصبحوا .

والشاهد لا ينجو .

سترى مدناً تسقط بلا حرب .

ستسمع صرخات لا يقدر الموت أن يُسكتها .

وستتعلم أن أشدّ المصائر قسوة ليست الموت... بل العودة من الموت لتعيش نهايتك من جديد .

هذه ليست بداية .

إنها حلقة كُسرت... ثم عادت أقسى .

وما أنت إلا الخطوة التالية داخلها .

"حين ترى النهاية ، ستكتشف أنها كانت هنا منذ البداية... تنتظرك ."

إهداء خاص

إلى الكاتبة يوس...

إلى عزّة المعز ، التي حملت اسمًا يوازن بين القسوة والنعمة ، بين الظلّ والضياء .

لا أحد يعرف أن كل نص يولد من رحم صمت سابق ،

ولا أحد يدرك أن خلف كل صفحة سوداء ، هناك يدٌ خفيّةً تُمسك القلم وتدلّه على الطريق .

لقد كنتِ تلك اليد .

كنتِ الحبر حين جفّ ، والرماد حين برد ، والصوت الذي أعاد الصدى إلى النصوص التي كادت أن تصمت .

هذه الحكاية ، بما حملته من فوضى وانكسار ، لم تكن لتُكتب كما هي لولا حضورك .

لقد كنتِ جسراً ، ودليلاً بالظلام أيضًا ، لكنك كنتِ دائمًا الحقيقة التي لا تُمحى .

أكتب اسمك هنا لا كإشارة ، بل كحقيقة :

من قرأ هذه الفصول ولم يعرفك... فقد فاته نصفها .

ومن مرّ على هذا الخراب ولم يلمس بصمتك... لم يقرأ شيئًا بعد .

إليكِ... شكرٌ لا يُشبه الشكر ، وتقديرٌ لا يكتفي بالاعتراف .

إليكِ الامتنان الذي لا يُترجم ، لأنه أكبر من الكلمات ، وأعمق من حدود اللغة .

لقد كنتِ الرفيقة التي لم تُسمِّ نفسها رفيقة ،

وكنتِ الكاتبة التي لم تعلن نفسها كاتبة ،

وكنتِ الحياة التي مرّت بين السطور دون أن تترك إلا ظلّها .

لهذا... إن كانت هذه الرواية مرآةً لانكسارات البشر وصراخهم... فأنتِ انعكاسها الأصفى .

وإن كانت هذه الصفحات جرحًا مفتوحًا... فأنتِ اللمسة التي جعلته يحتمل النظر ويلتئم .

إلى الكاتبة يوس ، عزّة المعز...

أهدي هذا النص ، لا ككلمات ، بل كقلبٍ كامل .

فأنتِ السبب الذي جعله ينبض .

23. 10. 10

إهداء

إلى أبي .

إلى الجذر الذي لا تراه العيون لكن تحيا به كل أغصانها .

علّمتني أن الثبات ليس صمتًا ، بل حكمة ، وأن الرجولة لا تُقاس بالصوت العالي ، بل بالظل الذي يحمي .

كنتَ الطريق الأول الذي سرتُ فيه ، واليد الأولى التي رفعتني حين سقطت .

إليك يا من كان حضوره مدرسة ، وغِيابه امتحانًا لا يُمكن اجتيازه .

إلى أمي .

إلى القلب الذي ما وُجد ليُحبّ نفسه أبدًا ، بل ليهب حبه بلا مقابل .

يا من جعلتِ من الدعاء حصنًا ، ومن الصبر جدارًا ، ومن الدموع طُهرًا ، ومن الحنان وطنًا لا يزول .

لكِ وحدك أكتب بمدادٍ لا ينفد ، فأنتِ البداية والنهاية ، وأنتِ الفصل الذي لا تنقطع روايته .

إلى إخوتي .

إلى من شاركوني سقفًا واحدًا ، ودمًا واحدًا ، وذاكرةً لا يشاركنا فيها سوانا .

قد نختلف ، قد نصمت ، قد يطول بنا البعد ، لكن ما بيننا أعمق من كل مسافة .

أنتم الصفحة التي لا تُمحى من كتاب حياتي .

إلى رفاقي .

إلى من مشوا معي على دروب وعرة ، وضحكوا في منتصف الخراب ، ووقفوا حين انهارت الأرض .

أنتم البرق الذي أضاء عتمات الطريق ، وأنتم الجرح الجميل الذي علّمني أن الرفقة ليست زينة ، بل نجاة .

وإلى كل فرد قابلته ، علّمني أو ساعدني ، ولو بكلمة أو إشارة عابرة .

إلى الغرباء الذين كانوا معلمين دون أن يعرفوا ، وإلى المارة الذين تركوا أثرًا كأنهم لم يرحلوا .

إلى كل يد امتدت ، وكل عين صادقت ، وكل قلب مرّ في طريقي ثم مضى...

إن كان لهذه الحكاية معنى ، فأنتم من نقشتم نصفه بصمتكم .

وأخيراً .

إلى الكاتبة يوس ، إلى عزّة المعز .

إلى الصوت الذي لم يُكتب لكنه كان خلف كل جملة .

لقد كنتِ المرآة التي أعادت للنصوص ملامحها ، والظلّ الذي جعل الضوء أكثر وضوحًا .

أهديكِ هذه الصفحات لا ككلمات ، بل كقلب كامل .

فكل ما كُتب هنا ، حمل أثر حضورك ، ولو لم يره أحد .

أنتِ السرّ الذي لم يُقل ، والاسم الذي لا يشيخ بين السطور .

- الفهرس -

I – الشرارة الأولى : حين بدأ الكسر من قلب النور

"الذي ختموه كان يضحك... كل ختم كان بابًا ، لا قيدًا ."

1 .ختم الخطيئة .... 26.

2 .وصايا الكاهن الأخير .... 32.

3 .طريق العظام .... 37.

4 .مملكة دون قلوب .... 42.

5 .رماد فارس ساقط .... 47.

6 .إنقاذ سارا .... 52.

7 .كايَن ضد ظله .... 57.

8 .عاصفة كايَن – حين غضب السيف .... 62.

9 .لحظة صمت – ولادة السيف "شِهاد" .... 68.

10 .معبد الأرض – تنفّس الميت .... 71.

11 .العرّافة العمياء .... 75.

12 .طريق النار – تربة الندم .... 80.

13 .وجوه بلا أقنعة .... 85.

II – رماد ما قبل الانفجار

"في الرماد وجوه... بعضها لك ، وبعضها يبتسم حين تحترق ."

14 .طفل الوسم الأول – مولود من دم لا يُغفر . . . . 88.

15 .مرآة مكسورة – حين رأينا أنفسنا كما كنا . . . . 91.

16 .السيدة ذات الظهر المحروق . . . . 95.

17 .نُسخنا التي لم نُصبحها . . . . 98.

18 .معبد النار – حريق لا يُطفأ . . . . 102.

19 .حافة الصمت – أحجار تتكلم . . . . 106.

20 .متحف الآثام السبعة – حيث تتنفس الخطايا . . . . 109.

21 .المائدة الأخيرة – لو كنا صادقين حقًا . . . . 113.

22 .الشجرة التي أنجبت الظل . . . . 116.

23 .أطلال من كانوا نحن . . . . 120.

24 .الوردة الرمادية – أسطورة الحبيبة التي لم تنتظر . . . . 130.

25 .خريطة لا تشير إلى مكان . . . . 133.

III – بين الماء والرماد : انعكاسات الحلقات الغارقة

"لا تشرب من الماء... إنه يذكرك بأسماء من تركوك يغرق ."

26 .معبد الماء – التجمد الباطني .... 140.

27 .ذاكرة الطين – سفر الرؤى .... 146.

28 .اعترافات الدم .... 154.

29 .الساعة الثالثة والعشرون – قبل سقوط الزمن .... 160.

30 .اعتراف لم يُطلب .... 164.

31 .درب الغياب .... 170.

32 .حكاية من نسي نفسه .... 176.

33 .احتراق الرؤيا – سقوط اليقين .... 180.

34 .الميثاق الملعون – توقيع من نزف .... 187.

35 .كاهنة الرماد – رسالة من أول ختم .... 192.

36 .غبار الكلمات التي ماتت .... 198.

37 .قلب لا ينقض وعده... إلا حين ينبض .... 204.

38 .الممر الذي لا يمشي فيه أحد .... 207.

IV – ظلال الدم : حين انفتح الباب الأخير

"إذا رأيت ظلّك يتحرك دونك... فاعرف أن الباب قد فُتح ."

39 .معبد الظلال – الندبة الخامسة .... 214.

40 .الخيانة الثانية .... 220.

41 .الأربعة المتحوّلون .... 225.

42 .الدائرة الأخيرة .... 231.

43 .ما وراء ختم استرافا .... 237.

44 .غرفة 0 – لا أحد دخلها وخرج .... 245.

45 .لم نكن أربعة فقط... .... 254.

46 .نزف لا يظهر في الجسد .... 261.

47 .خطوات على العدم .... 264.

48 .حدّ العزلة .... 268.

49 .السكون الحي – حين توقف العالم عن الكلام .... 272.

50 .ذلك الذي ما زال ينتظر في الظل .... 275.

51 .أثر من لم يُولدوا بعد .... 278.

V – أرض الوحوش : خراب لم يعرف الخلاص

"الوحوش لا تخافك... لكنك تعرف أن بعضها ينتظر أن تنام ."

52 .المعبد المنفي – الصوت الذي حُبِس .... .284

53 .قارة الوحوش – الخراب المقدّس .... .289

54 .عرش الوحوش الأربعة – من يُحكم لا يُرى .... .295

55 .مدينة الأسياد – سادة الدم والظل .... .301

56 .مصاصو الدماء – نسل اللعنة الأولى .... .307

57 .مرآة الحلقات السابقة .... .315

58 .أورين – العين التي لا ترمش .... .325

59 .نيران لم تنطفئ .... .329

60 .ذاكرة شِهاد – الدم الذي لا ينام .... .335

VI – كسر الحلقة : حين لا يعود أي موت كافيًا

"لا تكسر الحلقة... إن لم تكن مستعداً لأن تعيش داخلها ."

61 .رسالة من الذين لم يولدوا .... 339.

62 .كايَن – مقصلة الذات .... 346.

63 .طوفان الصدى الأخير .... 352.

64 .الذي لا يحمل وسماً .... 358.

65 .استرافا الساقط – الفوضى المتجسدة .... 362.

66 .نحن من كتب النهاية .... 370.

67 .رماد لا ينطفئ – حين بدأت النهاية من جديد .... 377.

68 .الحلقات التي كُسرت... وعادت أقسى .... 383.

69 .الأحياء بلا زمن – من لا يمكن قتلهم بعد الآن .... 391.

VII – انـهيار الذات : بداية الحلقة الأشد ظلامًا

"حين ترى النهاية ، تكتشف أنها كانت هنا منذ البداية... تنتظرك ."

70 .من كان يحرك الحلقة؟ 405

71 .قَسَم الدم الأخير – وعد لا يُكسر 418

72 .لم نُخلق لأجل الخلاص 426

73 .حلقة لم يُكملها أحد 428

74 .ندم لا لغة له 435

75 .من كان قبلنا... ترك كل شيء ينزف .440

76 .فجر لا يصل لأحد 446

77 .الصرخة الأخيرة قبل انطفاء كل شيء 451

الفصل الأول

خَتم الخطيئة

– الغابة التي ترفض التذكّر
"كل شيء هنا ميت ... إلا ما نحمله نحن في داخلنا"

كانت هنالك رياح . . لكنها لم تكن تتحرك .
كانت هنالك اشجار . . لكنها لم تكن تنمو .
وكان هنالك الصمت... لكنه لا يشبه السكون .
"فيدران"
غابة نُفيت من الجغرافيا ، من اللغة ، وكذلك الذاكرة .
كل من دخلها . . لم يخرج ، وكل من خرج . . لم يعد كما كان .
وها هم الآن... أربعة .
لا يجمعهم شيء . . سوى الوسم .
الوسم لم يكن رمزاً . . بل لعنة حية محفورة في العظم ، لا تُمحئ .
كل واحد منهم يحمل اثراً "جسدياً ونفسياً" لا يمكن التخلص منه .
كل واحد منهم... مكسور .

❖ كاين – وسم الخيانة

كان اول من يمشي للأمام .
رأسه للأمام . . لكن خطواته كانت ثقيلة كأنها تجر جثثاً قديمة .
درعه الأسود لم يكن درعاً . . بل توثيقاً لصراع لم ينتهِ .
مليء بالشقوق ، الصدأ . . وحروقاً قديمه .

إذ كان ظهره منحنياً قليلاً ، ليس من الإرهاق . . بل من الذنب .

وعلئ صدره ، وسم يُشبه سلسلة سوداء تنغرس في جلده ، وتتفرع كأصابع شيطان .

بينما همس في نفسه :

"لو كانت هذه الغابة عادلة . .

لأبتلعتني اولاً ."

لكن لا شيء في هذا العالم عادل

ولا شيء في كاين لا زال نقياً .

صوت انثوي اخترق السكون :

"لا زلت تمشي كما انك تنتظر من يوقفك ."

كان صوتها بارداً . . لكنه لا يخلو من الحزن كذلك .

❖ ليانا — وسم الدم الصامت

كانت خلفه بخطوتين فقط ، لكنها حضورها بدأ كأنها علئ بعد عمر .

وعيونها لم تكن تبحث . . بل تحُاسب .

وعلئ عنقها الأيسر ، وسمٌ طويل كجرحٍ قديم من حبل مشنقة ، تحته خطوط حمراء كأنها شرايين عارية .

اسلفت من جديد بنيرة بلا عاطفة :

"كم مره خطوتَ هذا الطريق؟"

لم يرد .

"كم مرة مشيتَ نفس الدائرة؟

كم مرة قتلت لتُنسئ؟

كم مرة نسيت لتعيش؟

كم مرة . . تمنّيت أن يقتلك أحد؟"

صمت .

ثم قال اخيراً :

"كل مرة . . أبدأ وانا أعلم أن النهاية لن تكون موتي . . بل تكراري ."

تقدمت ليانا بجانبه ومشت بجانبه للحظة ثم قالت :

"من منّا سيكون أول من يسقط؟"

لم يجبها .

لكنه علم الجواب . . وكان أسمه .

صوت ثالث ومختلف .

كأنك تسمعه من داخل جمجمتك :

"أنتِ تسألين كما لو أن السقوط خيار ."

❖ أورين – وسم النسيان

ظهر من الضباب من خلفهم .

عبائته سوداء بلا حواف . . كأنها تمتص النور نفسه .

عصاه الخشبيه ترتكز على حجرٍ لا يُرئ ، ونهايتها تتوهج بنورٍ بنفسجي كدمعة في عين مغلقة منذ ألف عام .

علئ جبينه . . وسمٌ دائري يتكون من رموز قديمة تُشبة الأبجدية الميتة .

قال :

"كاين يسير لأنه لا يعرف كيف يقف .

وليانا تقتله بكلماتها لأنها لا تعرف كيف تحُب .

وانا؟

أقول الحقيقة... لأنني لا استطيع أن اكذب ."

اقترب منهم وسأل :

"هل تذكرون أي شيء قبل الدعوة؟

من أين جئنا؟

من نكون؟

من نبحث عنه؟"

لم يرد أحد .

فقال بهدوء قاتل :

"النسيان هوً أسوأ لعنة . . لكنه في هذه الرحلة . . النجاة الوحيدة ."

ثم . . شيء تحرك بين الأشجار .

لا صوت .

لا ظل .

لكن رائحة . . دم .

غضب .

موت لم ينتهِ بعد .

صوت ثقيل . . كأن من يتكلم يمضغ جمجمة أثناء حديثه .

"كفاكم همسا . . الغابة تسمع ، وأنا... جائع ."

❖ زايل – وسم الغضب الأبدي

خرج من خلف شجرة كانت مشقوقة ، كما لو انه قد بُعث من داخلها .

اما جسده فهو لا يلبس درعاً . . بل ندوباً .

ذراعه اليمنى مغطاة بوسمٍ متفجر الشكل ، وعينه اليسرى مشقوقة بندبة سميكة .

على ظهره سيف بطول جسده ، لا يُجرّ بل يُسحب بالقوة .

أما الوسم . .

فكان يغطي ظهره بالكامل ، علامة تشبة اجنحة مخلوقٍ محروق ، مكتوب تحتها بلغة غريبة . .

"اغضب... . لتبقىٰ ."

صرخ :

"ايها القتلة الكاذبون!

ايها الحالمون بالخلاص!

ايها الاشباح المتنكرة!"

اقترب منهم وهو كوحش خرج لتوه من صمتٍ طويل . .

ثم بصق علىٰ الأرض وقال :

"سأقطع رأس أول من يتكلّم عن الرحمة!"

كاين رفع عينه نحوه :

"كنا أربعة...

والآن ، أنت تجعلنا ثلاثة ."

زايل ضحك... لكن صوته لم يكن ضحكاً ، بل اختناقاً بدمٍ قديم .

قال :

"أربعة؟

هل تظن أني منكم؟

أنتم وسومكم بكاء . .

ووسمي جحيم .

لا أبحث عن مغفرة .

لا ابحث عن خلاص .

أريد فقط . . أن أقتل من جعلني هكذا ."

ليانا حدقت فيه طويلاً .

ثم همست :

"ما زلت تتكلم أكثر ممّا تفعل ."

زايل نظر إليها ، نصف ساخر ونصف قاتل ، وقال :

"حين أبدأ . . لن يتبقىء أحد ليتحدث ."

وفي اثناء طريقهم ومحادثاتهم ، فجاءة الهواء تغيّر .

كأن الغابة أصدرت أنيناً .

وظهر . . هيكل هجري .

لا عينين .

لا فم .

لكن هنالك صوت به .

صوت لا يخرج من فم . . بل من قلب .

"انتم الأربعة . . أنتم المختومون .

أنتم بداية الدائرة الجديدة .

جراحكم مفاتيح . . ووسومكم أختام .

امضوا... لأن من لا يخطو . . يتكرّر ."

كاين همس لنفسه :

"وها نحن... نبدأ دورة جديدة .

أو... لعنة جديدة .

الفصل الثاني

وصايا الكاهن الأخير

قرية إلتران – حيث تموت النبوءات القديمة .
" ليس كل من يرتدي رداء الكاهن... يُنقذ الأرواح .
أحياناً ، يكون شاهداً علىٰ دفنها ."

الهواء تغير .
لم يعد خانقاً كما كان في غابة فيدران . . لكنه لم يكن نقياً .
السماء رمادية ، والضوء الذي يمر من بين الغيوم . . لا يُنير ، بل يكشف الغبار .
وصل الأربعة إلىٰ أطراف قرية صغيرة مهجورة ، بيوتها كانت مبنية من حجر باهت وسقوفها من خشبٍ متعفن ، كأنها قواقع زمنية خرجت من تحت الرمادً .
القرية تُدعىٰ "إلتران"
ولا أحد هنا . . إلا رجل واحد .
ليانا توقّفت عند حافة القرية ، وحدقت طويلاً .
"رائحة هذه الأرض...كأنها لم تدفن موتاها بعد ."
زايل كان يمشي خلفها ببطئ ، عيناه ترتعشان ويده تمسك نصل سيفه .
"أكره القرئ... الهدوء فيها يشبه ما قبل الذبح ."
أورين قال :
"بل الذبح حدث . . ونحن متأخرون كعادتنا ."
كاين كان صامتاً .
عيناه لا ترتفعان .

لكنه كان يراقب كل شيء . . حتى الجدران التي لا تتحرك .
اقتربوا من كوخ قديم وراء الساحة .
الباب الخشبي فتح نفسه . . بلا أحد .
فقال أورين بهدوء :
"البيت الذي يفتح نفسه . . إما يعرفنا . . أو يكره أن يرانا ننتظر ."
في الداخل ، كان كل شيء مظلماً . .
إلا شمعة واحدة ، موضوعة في منتصف الغرفة ، تحترق على صحن حجري ، لا تُذيب الظلام . . بل تُثبّته .
ورجلٌ عجوز . . يجلس القرفصاء أمامها .
وجهه متغضّن ، جلد وجهه مشقوق كأرضٍ جافة ، وعيناه مغلقتان .
لكنّه تحدث فور دخولهم :
"أربعة وسوم... أربعة مسارات متشابكة .
أربعة وجوه... ليست جديدة ."
فتح عينيه .
لونها رمادي .
لكن نظراته اخترقتهم كأنه رأى ارواحهم لا وجوههم .
قال بهدوء قاتل :
"أعلم لماذا جئتم .
وأعلم . . لماذا ستفشلون ."
ليانا تقدّمت ، نظرت إليه مباشرة :
"لو كنت تعرف من نحن . . لما تجرأت علئ قول ذلك ."
الكاهن لم يبتسم... لكنه قال :
"أنتِ القاتلة التي لا تعرف من قتلت أولاً .

هو الساحر الذي نسي أسمه . . ليبقئ عاقلاً .
وذاك ، البيرسيركر الذي قُتل اخوه ليُخلق هو .
اما انت . . كاين . . أنت... الخيانة التي لبست شكل فارس ."
كاين رفع رأسه لأول مرة .
قال بهدوء :
"ما الذي تعرفه عني؟"
الكاهن نظر إليه طويلاً ، ثم قال كلمة واحدة :
"استرافا ."
الهواء تغّير . . كأن شخصاً صفع الزمن .
زايل أمسك مقبض سيفه ، ليانا شحذت خنجرها . . وأورين همس :
"انظر إليه... الوسم ينبض ."
كاين لم يتحرك .
لكنه سقط على ركبتيه . . يده على صدره .
بدأ كانه اختنق في نفسه .
"استرافا... لا!
لا تذكر هذا الأسم ."
الكاهن أقترب منه بهدوء . . وضع يده علئ كتفه .
"لأنك كنت... أول من تبعه ."
قالت ليانا بشك :
"تبعه أم قاده؟"
رد الكاهن :
"في كل دورة زمنية . . يظهر اربعة .
وفي كل مرة ، احدهم ينكسر .

واحياناً . . أحدهم ينقلب .

أنتم . . لستم الأوائل ."

زأر زايل فجاءة :

"لماذا نحن اذاً؟!

لماذا الآن؟!

ولماذا لا نمزّق عنا هذه الوسوم ونرحل؟!"

الكاهن قال بجمود :

"لأن الوسم . . ليس علامة .

إنه جزء منكم ."

بعد مرور لحظة من الجمود جلس الكاهن وأخذ نفساً ثقيلاً :

"اسمعوا . . اركانيا علئ وشك السقوط .

الأميرة سارا أُختطفت .

الملك يموت ببطئ .

الضوء ينهار .

والسماء تمزّقت .

استرافا ظهر مجدداً . . كأن الزمن لم يتعلّم ."

سأل أورين :

"ما المطلوب منا؟"

رد الكاهن :

"ألا تنقذوا العالم .

بل . . أن تنقذوا أنفسكم أولاً .

أن تفهموا من أنتم . . قبل أن تتحوّلوا إلئ ما تم رفضه ."

ثم سلمهم خريطة مليئة بالغبار .

علئ ظهرها :

بوابة اركانيا – ثلاثة أيام سيراً – من لا يصل قبل الليل الثالث... لا يصل ابداً .

وقف كاين .

وجهه شاحب . . ثم قال :

"سأذهب .

إن كان هذا ما تبقّئ لي . .

فإما النهاية... أو كفّارة"

قالت ليانا بهدوء :

"وأنا؟

لا اريد نهاية . . أريد معرفة من سرق أسمي ."

زايل :

"سأتبعكم . . حتى أجد من يستحق السيف ."

أورين :

"سأعثر علئ ما فقدت من نفسي في الأنقاض ."

خرج الأربعة من كوخِ الكاهن .

السماء كانت قد اسوّدت .

لكن الضوء داخلهم . .

لم يكن موجوداً أصلاً .

بل فقط الوسم . .

الوسم ينبض .

الفصل الثالث

طريق العظام

— السهول السوداء بين إلتران وأركانيا .
"كل طريق في هذا العالم مصنوع من عظام من ماتوا وهم يحاولون النجاة .
لكن ذوي الإرادة الحقيقية؟
هم من يمشون عليها . . وهم يعلمون أنهم لن يصلوا ابداً ."

لم تكن سهولاً...
بل مقبرةً ممتدة .
أرض جافة ، كل شبر فيها محروق بنارٍ لا تزال ساخنة تحت الجلد .
العشب هنا لا يئن . . بل يصرخ .
والصخور ليست صخوراً . . بل جماجم مكحولة من الزمن .
أربعة يسيرون...
لكن لا احد منهم يشعر أنه يتحرك .
السماء فوقهم مثل لوحٍ صدئ ، رمادي قاتم ، لا يمر الضوء فيه إلا من عبر شقوق تشبه الخناجر .
صمت ثقيل . . ليس هدوءاً ، إنما مراقبة .
كأن الأرض تنتظر منهم أن يموتوا .
كاين – الصمت ينزف .
كان يمشي في المقدمة .
كل خطوة له تُصدر صوتاً غريباً ، كأن الأرض تتنهّد تحته .
وجهه شاحب . . عينيه لم تغمض منذ ٣ ليالٍ .

السواد تحت عينيه يشبه ظل خيانةٍ لم يسامح نفسه عليها .

نظر لأورين من الخلف وسأل :

"كيف تعرف أننا نسير في الأتجاه الصحيح؟"

أورين أجابه بصوته البارد :

"انا لا اعرف .

فقط الوسم في جبيني... يبرد حين نبتعد ، ويحترق حين نقترب ."

ليانا قاطعت :

"هل هذا هو المنطق الآن؟

نحكم بخفقات جروحنا؟

كأننا حيوانات تتبع رائحة الدم؟"

زايل ضحك .

لا ، بل اختنق من الضحك وقال :

"اوه . . بل نحن اسوأ من الحيوانات .

الحيوانات لا تحلم .

نحن نحلم . . ثم نذبح احلامنا بيدينا ."

ليانا حدقت فيه ، ثم توقفت فجاءه وقالت :

"لماذا انت معنا اصلاً؟"

زايل صمت للحظة ، ثم قال :

"أنا؟

لأن أحدكم . . أحدكم فقط . . سيتحول إلئ شيء أسوء من استرافا .

وأنا . . سأقتله قبل أن يحدث ذلك ."

الجميع تجمّد .

كاين نظر إليه ، همس :

"تقصدني ، أليس كذلك؟"

زايل نظر في عينيه مباشرة ، ابتسامة مشوهة على وجهه :

"لا أحتاج أن أقول .

أنت تعرف نفسك أكثر مما تعرفنا ."

اورين تنهد ، وحده وقال :

"كلنا نعرف . . أن هذا الطريق لا يُوصل إلئ الخلاص .

بل إلئ . . الحقيقة .

والحقيقة يا كاين؟

ليست بطلاً ، بل زمناً مشوه ."

فجاءه . . من العدم .

إهتزت الأرض .

إرتفعت غيمة سوداء من التربة . . ثم تمزقت .

ومنها خرجت كائنات . .

ليست بشراً .

ولا حيوانات كذلك .

كأنها جلود أموات ، مُلئت بالدخان والنار .

عيونهم ثقوب حارقة ، أفواههم لا تصرخ . . بل تُزمجر بالموت .

واحد . . اثنان . . خمسة . . وعشرة .

كأن الأرض تبصق أسرارها عليهم .

كاين سحب سيفه .

الشفرة الثقيلة التي لم يرفعها منذ سنوات .

همس :

"لقد عادوا . . الأشباح التي ساعدناها . . ودفنّاها . . ها هم الآن ينهشوننا ."

ليانا تدحرجت إلئ الأمام ، خناجرها في يدها ولكن اصابعها ترتجف .
همست :
"اكره هذا الشعور . . حين لا يكون القتل دفاعاً . . بل تكراراً .
اورين بدأ يتمتم بكلمات غريبة .
الظلال نظرت إليه وتراجعت برعب . . زايل . .
لم يتحرك .
جسده ارتجف ، ثم... ابتسم .
ابتسامة ليست بشرية ، ثم همس :
"اخيراً... شيء يمكنني كسره ."
صرخ .
لكن صرخته لم تكن صوتاً . . كان زمجره لوحشٍ نائم .
الوسم على ظهره اشتعل كجمرٍ احمر .
عيناه صارتا سوداويتين بالكاملً .
ذراعه اليمنى تضخمت .
سيفه اصدرّ صوتاً غريباً . . كأنه يتنفس .
ثم في ثانية واحدة . . قطع الكائن الأول إلئ نصفين .
الدم تناثر علئ وجهه . . فأبتسم .
"اوه . . هذا انا ."
المخلوقات الباقيه بدأت ارواحها تُسحب عبر عصا أورين وقال :
"مثير للأهتمام زايل . . هذه المخلوقات إنها ذكريات ."
عندما انتهت المعركة . . احدهم كان يتنفس بصعوبة

والآخر كان يراقب عصاه بشكل غريب بينما الضوء يمر من خلالها كأنها مخلوق حي . . رائحة الدم تملأ الهواء . . السماء لم تتغير . . لكن شيئاً فيهم تغير .

زايل كان يجلس وحده ، بعيداً .

يده ترتجف ، لكنه وجهه ثابت .

كاين اقترب منه ، جلس بصمت .

قال زايل بعد لحظة :

"أحسست أنني سأفقد نفسي . . لكنني لم أفعل .

هل يعني هذا . . أنني فقدتها من قبل؟"

كاين لم يرد ، فقط نظر إلئ الأمام ، وهمس :

"نحن لا نفقد انفسنا مرة واحدة ، يا زايل... بل علئ مراحل ."

ليانا كانت تنظف خنجرها .

أورين يكتب شيئاً في التُراب... رموز لا تُفهم .

الغبار ارتفع مجدداً .

والأرض أصبحت أهدأ .

لكن في الداخل . . معظمهم لم يكن هادئاً .

الفصل الرابع

مملكة دون قلوب

أركانيا – مدينة الضوء الذي انطفأ .

"حين يدخل الأبطال المدن . . تفرح الناس .

لكنهم دخلوا . . والمدينة صمتت ."

لم تكن اركانيا كما قيل لهم .

ولا كما رُسمت في خرائط العصور القديمة .

الأسوار عالية . . لكنها مهترئة .

الأبراج واقفة . . لكنها تُبكي الحجارة بصمت .

والحرس . . لا يحملون سيوفاً ، بل نظرات خاوية .

عند البوابة ، لم يسألهم أحد من انتم ، لم يفتّشهم أحد .

كأنّهم دخلوا مقبرة مفتوحة .

كاين مشى أولهم ، عيناه تمشيان فوق الجدران :

"هُنا كنت . . ذات مره .

أو . . كان هناك من يشبهني .

زايل بصق ع الأرض وقال :

"المكان يكره الحياة .

كل جدار فيه ، ينتظر فقط أن يسقط علينا ."

أورين أغلق عينيه ثم تمتم :

"الخواء هنا ملموس . . كم مره كُررت هذه اللحظة؟

كم دورة سبقتها؟

وكم روح دُفنت قبل أن نُستدعئ؟"

ليانا لم تتحدث .

لكنها توقفت امام تمثال مكسور في ساحة المدينة .

نحته يشبه فارساً بلا رأس . . وسيف مكسور عند قدميه .

قالت وهي تمسح الغبار عن القاعدة :

"لا يوجد اسم .

لا تاريخ كذلك . . كأن هذا الفارس لم يكن موجوداً اصلا ."

كاين اقترب منها ، وهمس :

"بل وُجد ، وجرى عليه ما قد يجري علينا ."

قصر اركانيا

كان القصر في منتصف المدينة... كجسدٍ لم يدفن .

داخلة بارد . . رغم الحرارة خارجاً .

الشموع فيه موقدة ، لكن لا حرارة تُذكر .

كأن الضوء فيه وهمٌ من ذاكرة قديمة .

في العرش جلس الملك **إيلمار**

عجوز ، نحيف ، عيونه لا تثبت ، وصوته يأتي كأن كل كلمة منه اخر ما يملك .

قال وهو ينظر إليهم :

"أنتم... الأربعة .

وسومكم مرئية لي . . وإن كانت مخفية ."

كاين ركع على ركبة واحده وقال :

"جئنا كما أوصانا الكاهن .

قال إن اركانيا على وشك السقوط... وأن سارا أُختطفت ."

الملك اغلق عينيه ، ثم قال :

"بل... نحن سقطنا بالفعل ."
ظهرت الملكة من خلف الستارة . . شاحبة ، جميلة ومتجمدة .
قالت :
"ابنتنا لم تُخطف .
بل . . تم أختيارها .
كما كل جيلٍ قبلها ."
زايل رفع حاجبه ، سأل :
"اختيارها؟ لمن؟"
ردّت بصوت خافت :
"للذي لا اسمً له . . للذي يكسر الزمن لكي يعود ."
ليانا اقتربت من العرش ، همست :
"استرافا . . أليس كذلك؟"
الملك لم يرد .
لكنه نهض . . ببطء . . وسقط على الأرض .
كاين ركض نحوه ، رفعه .
في عينيه دموع غير مرئية .
قال :
"من . . من أعطاه هذا الحق؟"
الملكة ردّت بهدوء :
"أنت .
أنت أعطيته . . حين كنتَ شيئاً آخر ."
زايل صرخ :
"لماذا لا تقولون الحقيقة كاملة؟!

ما قصة الأميرة؟

ماذا فعلتم بنا؟

لماذا نشعر أن كل خطوة . . كأنها حلمٌ قديمٌ يُعاد؟"

الملكة حدقت فيه طويلاً ، ثم قالت :

"لأنها ليست المرة الأولى... ولن تكون الأخيرة ."

أورين جلس علئ الهواء يطفو ، ثم قال :

"نحن في دائرة... لا أحد فيها ينتصر .

فقط... يتألم .

ثم... يُعاد تدويره ."

لاينا مشت وحدها إلئ الشرفة .

نظرت إلئ المدينة تحتها ، ثم قالت :

"وإن كانت دورة... فدعونا نكون الكَسر... لا التكرار ."

الملك رفع اصبعه المرتجفة نحو الغرب :

"هناك . . علئ حدود المعبد الأول . . ظهرت تشققات في الأرض .

من هناك . . بدأت لعنة الأرض ."

ثم أغمض عينيه... ولم يتنفس بعدها .

زايل ابتسم . . لا فرحاً ، بل شتيمة :

"جميل . . مات قبل أن يكمل القصة .

كالعادة ."

كاين همس :

"بل . . ربما قال كل شيء ."

خرج الأربعة من القصر ، والشمس تميل .

الوسوم علئ أجسادهم . . بدأت تنبض بقوة أكبر .

كأن كل واحد منهم . . بدأ يسمع شيء داخله ، صوتاً لا يُقال .
بل يُوقظ .

الفصل الخامس

رماد فارس ساقط

بقايا معسكر "فالدامار" – غرب اركانيا .
"من لم يُدفن... يعود .
ومن عاد ، لا يعود كما كان ."

كانت الأرض منسية .
الطريق الذي ساروا فيه من اركانيا غرباً لم يكن مجرد طريق ، بل جرح مفتوح . . التربة رمادية ، الهواء ملوث برائحة صدأ لا يصدر من معدن... بل من ذكريات متعفنة .
كلما اقتربوا من أطلال المعسكر القديم ، بدا المشهد أقل واقعية .
كأن المكان يحاول اخبارهم انه ليس حقيقياً . . أو ليس حاضراً .
زايل كان أول من تحدث بصوته المبحوح :
"انا لا احب الأماكن التي تهمس .
هذا المكان لا يصمت . . بل يراقب ."
ليانا توقفت فجأة ، وقالت :
"انظروا حولكم... لا توجد طيور .
لا نمل .
لا حشرات .
هذا المكان... طُهر من الحياة ."
كاين لم يقل شيئاً .
لكن في عينيه ، الشرر القديم يعود .

أورين سأل فجأة :

كاين... كم عمرك؟"

رد كاين دون ان ينظر إليه :

"كفايتي أن أتذكر هذا المكان قبل أن يُهدم ."

ليانا حدّقت فيه :

"هل قاتلت هنا؟"

هز رأسه ببطء :

"أنا من بدأ هذا المعسكر .

كنت فارساً في خدمته .

ثم . . غدوت شيئاً لا يخدم أحد ."

زايل ابتسم ابتسامة باهتة :

"لا شيء يموت هنا . . فقط يتعفن ."

وسط الأنقاض ، كان هناك جدار لا يزال واقفاً .

عليه شعار قديم . . محفور بسيفين متقاطعين ، وفوقهما حرفان محوّران :

G / S

ليانا تمتمت :

"جورانير... واسترافا؟"

أورين ردّ :

"الاسم كان واحداً .

ثم انفصل .

احدهم مات . . والآخر تجمّع من الموتى ."

فجأة ، انشق نسيم الهواء . . بل أنكسر .

وظهر شرخ في الفضاء ، ضوء اسود خرج منه . . ثم صوت .

صوت لا يسمع بالأذن ، بل بالعظام .

"ما كنتُ يوماً جزءاً منكم . . بل أنتم من خرج مني ."

كاين تراجع .

يده على صدره .

قال بصوت مخنوق :

"لا . . ليس الآن... ليس بعد . ."

زايل سحب سيفه .

ليانا استعدّت .

أورين بدأ يتمتم بتعاويذ لا تُفهم .

ثم...

ظهر الظل .

كان بلا شكل ، أو جسد .

لكن ملامحه . . كانت مألوفة لكل واحد منهم .

"كاين . . خادمي وجنديي الأول .

كم مرة قتلت من أجلي . . ثم لعنتني؟

وكم مرة لعنتني... ثم عدت؟"

كاين سقط على ركبتيه .

عيناه مفتوحتان ، لكنهما لا تريان .

"كنت انا... قبل ان تصير انت ."

ليانا تقدمت بخطوتين :

"انت مجرد صدى .

صورة فاسدة لذكرى لم يطلبها أحد ."

الصوت ردّ :

"بل أنا . . الذاكرة التي لا تموت ."

زايل زأر فجأة :

"اخرج . . أو سأسحبك من عظامك!"

ضحك الظل .

ضحكة لم تكن من فم ، بل من شق في الزمان .

ثم قال :

"سارا . . معي .

لكنها ليست الضحية .

بل . . هي من فتحت الباب ."

أورين همس :

"هذا مستحيل... الأميرة؟!"

الظل بدأ يتلاشى ،لكن صوته ظل عالقاً :

"اتبعوا الأختام الأربعة... أو عودوا من حيث كُسِرتم .

لكن اعلموا . . النهاية مكتوبة... لا احد يكسر الدائرة... إلا من أختار ألا يكون بطلاً ."

ثم . . الشرخ أنغلق .

والهواء عاد ساكناً .

لكن في قلوب الأربعة... لم يعد هناك سكون .

زايل اقترب من الحائط ، وغرس سيفه فيه .

"إن لم نجد سارا . . فسأقتل من وجدتُ ."

كاين قال ، بصوت متحشرج :

"لم يكن مجرد ظل .

كان أنا... في نسخة لم أعد احتملها ."

أورين نظر إليه وقال بهدوء :

"إذن... حان الوقت لإن تقتل نفسك القديمة ياكاين . ."

الفصل السادس

إنقاذ سارا

أطلال هينزار – حيث لا يعود الصوت .

"ليست كل صرخة . . نداء نجدة .

بعض الصرخات... تخرج من أفواهٍ لا تنوي النجاة ."

كانوا يسيرون دون خريطة .

الملكة لم تحدد المكان بدقة .

كل ما قالته :

"تتبعوا الغرب... حتى تصمت الأرض ."

وها هم . . في أرض صامتة .

الصخور هنا ملساء .

السماء رمادية بالكامل ، كأن أحداً أخفى الشمس .

الرياح لا تهب ، بل تختنق بين الجبال .

زايل توقف ، وسحب سيفه .

"رائحتها هنا... لا اقصد سارا ."

أورين قال :

"بل رائحة التكرار .

المكان مشحون بذكريات لا تخصنا . . لكنها تجُبرنا علئ تذكرها ."

ليانا كانت تمشي خلفهم بهدوء ، حتئ توقفت فجأة .

قالت :

"اسمعوا..."

صمتوا .

ثم . . صوت بكاء .

أنثوي .

ضعيف .

قادم من أسفل .

وجدوا مدخلاً دائرياً صغيراً في الأرض .

درج حجري ينزل إلئ باطن كهف .

كاين امسك بمقبض سيفه ، قال :

"مهما كان هناك... سنخرج بها ."

زايل تمتم :

"أو ندفنها إن ام تكن هي ."

في الداخل . .

الهواء بالداخل كان غريباً .

رطب . . دافئ . . لكنه غير حي .

جدران الكهف منقوشة بعلامات تشبه الكتابة ، لكنها تتحرك قليلاً كلما نظرت إليها .

ليانا همست :

"هذه ليست لغة بشرية ."

أورين أقترب منها ، لمس أحد هذه الرموز ، ثم قال :

"هذه لغة الحلقة ."

زايل شتم :

"كل شيء هنا دائري .

حتى الغدر ."

في نهاية الممر... غرفة مفتوحة .

وسطها . . فراش حجري .

وعليه... فتاة .

شعرها ذهبي ، ثوبها ممزق من عند ذراعيها ، والدم يغطي اطرافها .

عيناها مغلقتان... لكنها تتنفس .

كاين اندفع نحوها فوراً :

"سارا...؟!"

ركع بجانبها ، ووضع يده علئ كتفها .

عينها اليمنى فتحت فجأة .

ثم قالت... بصوت ليس لها :

"تأخرتم ."

قفز زايل للخلف .

أورين صرخ :

"لا تلمسها!"

لكن كاين كان قد لامس يدها .

لحظة واحدة... ثم انفجر ضوء اسود من حولها ، دفع الثلاثة للخلف .

سارا نهضت... ببطئ .

لكنها لم تبدُ خائفة .

ولا ضعيفة .

بل . . واعية .

قالت بنبرة ثابتة :

"لم أُخطف .

بل أستُدعيت ."

ليانا اقتربت منها ، نصلها بيدها :

"من أنتِ؟"

سارا ابتسمت... لكن لم ترد .

كاين وقف ، ويده على سيفه ، لكنه لم يرفعه :

"هل أنتِ سارا؟

أم شيء آَخر؟"

سارا نظرت إليه ، وقالت :

"أنا بداية الشيء الذي لم يُفهم بعد ."

زايل صاح :

"أقتلها الآن... قبل أن تُكمل جملتها التالية ."

لكن أورين قال :

"لا... لو كانت عدوة... لعرفتُ بالفعل ."

سارا نظرت إليهم جميعاً ، ثم قالت :

"أحمل رسالة... لا ذاكرة .

والرسالة هي أن الوسوم ليست لكم وحدكم ."

ثم فقدت وعيها... وسقطت .

كاين حملها بهدوء .

صمت الجميع .

زايل قال :

"نأخذها... لكن أول زيف آخر . . أقتلها بنفسي ."

كاين نظر إليه وقال :

"لن تلمسها ."

ليانا تدخلت :

"لا تختلفوا الآن... لقد نجَت .

أو... تظاهرت بأنها كذلك ."

خرجوا من الكهف .

الهواء في الخارج تغير .

أصبح أثقل .

وسم كاين علئ صدره... بدأ ينبض بشدّة .

كأن شيئاً ما بداخله... بدأ بالأستيقاظ .

الفصل السابع

كاين ضد ظله

بُقعة الصدع – بين العتمة واليقظة
"كل من سار طويلاً... يترك خلفه ظلاً أطول .
لكن كاين؟
ظله كان ينتظره أمامه ."

كانو يسيرون بعد إنقاذ سارا...لكن الأرض لم تكن كما كانت .
لم يكن هناك طريق .
لم تكن هناك علامات .
كأنهم... يسيرون داخل ذاكرة أحدهم .
أورين كان آخرهم ، يتمتم :
"هذا ليس واقعاً . . نحن دخلنا شيء ما . . أو شيء دخل فينا ."
ليانا أمسكت ذراع كاين :
"أوقف السير... لحظة .
هناك شيء خلفك . . يتبعنا ."
كاين التفت . . ورأئ نفسه .
لكن ليست مرآة .
ولا خيال .
بل كاين اخر ، يمشي نحوه بنفس الخطوات ، بنفس الوجه ، بنفس الوزن... لكن العيون... كانت مظلمة تماماً...
زايل سحب سيفه فوراً :

"إنه ليس أنت .

أقتله قبل أن—"

كاين رفع يده :

"لا ."

وسم صدره بدأ يتوهج بلون داكن .

"هذا ليس عدوي . . هذا . . أنا ."

أقترب الظل .

وقف أمام كاين .

بلا كلمات .

ثم فتح فمه . . لكن الصوت خرج من داخل كاين .

"كم مرة قتلت كي تبقئ؟

كم صديقاً دفنت؟

كم امرأة اصمتَّ صراخها بالسيف؟

كم طفلاً غضضت الطرف عنه وهو يُذبح؟

هل تظن أنني نسيت؟"

كاين لم يرد .

فقال الظل :

"كل ما أنت عليه... بُني من عظام الآخرين ."

أورين قال :

"كاين . . لا تتجاوب .

هذا كيان طُفيلي .

لا يمنحك حُكماً . . بل يسحبك بالقوة ."

ليانا قالت :

"لكن كاين لا يقاتل هذا الشيء... بل يقبله ."

كاين تقدم خطوة ، قال بصوت هادئ :

"انا لم اطلب المغفرة .

ولا أرغب بها ."

"انا لا انكر الماضي... بل فقط . . أحبسه ."

الظل ضحك .

ضحكة كأنها شُقّت من حنجرة مشقوقة :

"انت لا تحبسني ، كاين .

انت تطعمني... كل ليلة .

بذكرياتك .

بندمك .

بصمتك ."

ثم... تغير كل شيء .

الهواء ثّقل .

الأرض صارت سوداء تحت أقدامهم .

وسم كاين أشتعل بالكامل .

زايل صرخ :

"ابتعدوا عنه!

شيء بداخله يتحرك..."

كاين سحب سيفه... لكن شيئاً آخر حدث .

السيف لم يلمع .

بل انكسر .

ثم تحول إلئ رماد . . وصعد في الهواء... ثم عاد . . سيفاً جديداً .

أسود .

أطول ، مليء بالتشققات النابضة .

كاين نظر إلىٰ الظل . . وقال :

"كفئ ."

ثم في لحظة لا تُقاس . . قطَعَه .

لا هجوم .

لا تحضير .

ضربة واحده .

وسكون بعدها . .

الظل انشطر...

ثم صار دخاناً . . ثم صار كاين وحده .

لكن . . وجه كاين تغير .

عينيه تحوّلت للون الفحم المحترق .

وسمه لم يعد علامة... بل تاجاً من لهب أسود فوق صدره .

ليانا همست :

"كاين... أنت . .؟"

لكنه لم يُجب .

زايل رفع سيفه :

"هذا ليس كاين الذي بدأ معنا ."

أورين وقف أمامه :

"لا... بل هذا هو كاين الحقيقي .

ذاك الذي لم يُرد لأحد أن يراه ."

كاين استدار .

وقال بصوت لا يشبه صوته :

"انا لا احتاجكم لتحموني .

ولا لتحاكموني .

فقط... لا تقفوا في طريقي حين أختار أن أقاتل ."

ثم مشئ .

وكل شيء خلفه . . ظلّ ساكناً .

كأن الأرض... لم تعد تجرؤ علئ إختباره .

الفصل الثامن

عاصفة كاين – حين غضب السيف

وادي الكُتَم – أرض لا يُسمع من يصرخ
"بعضهم يقول أن الظلال خفيفة**...**
لكن ظل كاين؟
كان أثقل من الموت نفسه ."

لم يكن هناك طريق .
الليل سقط عليهم دون أن ينتبهوا .
الأرض صارت صلبة تحت أقدامهم . . والهواء صار كثيفاً كأنهم يسيرون نحو فمٍ مفتوح .
أورين كان أول من شعر به :
"هل تسمعون هذا الصوت؟"
زايل ، وهو يحدق في العتمة :
"لا شيء هنا سوى الصمت ."
أورين تمتم :
"هذا هو الصوت . . صمتٌ لا يأتينا**...** بل يخرجِ منا ."
الوادي الذي دخلوا إلية كان يُدعئ "**وادي الكُتَم**" ، منطقة منسية خارج حدود اركانيا ، لا تُذكر في الخرائط ، ولا تُروئ عنها القصص .
لإن من دخلها ، ، لم يخرج ليحكي .
ليانا توقفت فجأة .
أمسكت كتف كاين :

"هذا المكان... شيء يتحرك هنا ."

كاين لم يلتفت .

صوته كان هادئاً ، لكنه حاد كحد السيف :

"أعلم ."

زايل سحب سيفه ببطئ ، وقال :

"إن كان فخاً... فليغلق الآن .

تعبت من الإنتظار ."

وفجأة . . انهارت السماء من فوقهم .

لا ، لم تكن تمطر... بل تشققت .

ومن الشق الأسود في الأعلى . . سقط شيء .

ظل .

لكن ليس كأي ظل .

كان بشريّ الشكل ، لكن اطرافه تسبح في الهواء كأنها دخان ، ووجهه بلا ملامح ، سوى فم يبتسم بعرض الرأس .

أورين شهق :

"هذا أحد أتباعه... أحد أبناء استرافا ."

ليانا :

"هل هو حي؟"

زايل :

"إن لم بكن حياً... سأجعله يتمنى الموت ."

لكن قبل أن يتحرك أحد... كاين تقدم .

وقف بينه وبين الجميع .

قال بهدوء :

"هذا... لي ."

اورين :

"كاين ، لا تكن متهوراً ، هذا ليس مجرد كائن .

هذا ظل يتغذئ علئ الذنب .

أنت تعرف—"

كاين قاطعه :

"قلت... هذا لي ."

ظل جندي استرافا مد ذراعه ، فانبثق منها رمح اسود كالليل .

ثم هجم .

لكن قبل أن يصل إلئ كاين... شيء تغير .

الهواء حول كاين انكمّش فجأة .

الوسم علئ صدره اشتعل... لا ، انفجر .

وسُمع صوت . . صوت لم يكن صراخاً .

بل انفتاح بوابةٍ داخل انسان .

ليانا تراجعت خطوةً :

"ما هذا؟"

زايل بصوتٍ خافت لأول مره :

"هذا ليس كاًين... هذا شيء كان يخفيه عنا ."

كاين رفع رأسه .

وجهه تغير .

لا ملامح خوف .

لا حزن . . ولا إنسان .

بل هدوء . . هادئ كأن كل شيء من حوله لا يستحق البقاء .

قال :

"لقد حذرتكم... لا توقظوا هذا ."

ثم أختفئ .

في أقل من ثانية .

كان خلف الظل .

وسيفه الذي لا يُفترض أن يكون بهذا الطول ، خرج من الطرف الآخر من جسد الظل .

لكن لا دم .

بل ظلالٌ إنشقت ، ثم تجمعت .

الظل التفت ليهاجمه .

لكن كاين لم يكن هناك .

ثم... فوقه .

ثم تحته .

وثم داخله .

الهواء صار أحمر ، ليس من نار .

بل من ضغط لا يمكن للزمن أحتماله .

ثم سُمعت الضربة الأولئ ، ومن ثم الثانية .

ثم... انفجر كل شيء .

السماء بكت دماً .

الأرض تفجرت .

والظل ، الذي لا يُهزم ، كان يُقطع . . لا بسيف ، بل بإرادة غاضبة لا تعرف الرحمة .

زايل صرخ : "إنه يقتل ببطء!

هذا ليس قتالاً... هذا إعدام ."

أورين أغلق عينيه :

"كاين... لم ينسَ .

كان ينتظر من يستحق غضبه ."

الظل حاول أن يهرب .

لكن كاين ظهر امامه ، أمسكه بيده العاريه من العنق ، ثم همس :

"هل رأيت من قبل... من يتذّكر كل من قتله؟

لا؟ انظر . . في عيني ."

ثم دفعه إلى الأرض . . وضع قدمه على صدره... وغرس السيف في وجهه .

لكن السيف لم يتوقف .

ظلَّ يدخل . . يدخل... حتى أختفى... والأرض امتلأت بشَررٍ أسود يتنفس .

كاين وقف وسط الدخان .

الوسم على صدره ، صار له نبض .

كل شيء فيه يقول :

"هذا ليس رجلاً... بل أثر من خطيئة لا تموت ."

ليانا تقدّمت إليه بخطوات مترددة :

"هل... . إنتهى؟"

كاين لم يجب .

زايل تمتم :

"هذا ليس قتال فارس... هذا حكم إعدام من داخل الجحيم ."

أورين :

"كاين لم يُقاتل . . بل أطلق ما فيه ، وهذا... ما كان يُخفيه طوال الوقت ."

كاين نظر إلى السماء... التي لم تعد كسابق عهدها .

ثُم قال بصوت لا يُنسىٔ :

"استرافا . . إن كنتَ تراني... فأعلم . . اني لم اعد أطلب المغفرة ."

الفصل التاسع

لحظة صمت – ولادة السيف شِهاد

لحظة صمت – ولادة سيف لا يُنسىٔ

"بعد كل عاصفة... يعود الهواء ،لكنه لا يعود كما كان .

وكاين؟

لم يعد كما كان ."

لم يكن هناك صوت .

فقط . . بُخار أسود يتصاعد من الأرض .

كأن الدم الذي نزف للتو... لا يريد أن يبرد .

كاين ظل واقفاً .

لم يتحرك .

عينيه لا تبرحان مكان سقوط الظل .

الاخرون ابتعدوا قليلاً .

زايل قال بصوت خافت :

"الهواء لا يريدنا ًهنا ."

أورين :

"هذا المكان . . أصبح امتداداً لداخله ."

ليانا لم تتكلم .

كانت تراقب كاين كأنها لا تراه .

ثم . . شيء تحرك تحت قدم كاين . . الرماد الذي غطى بقايا الظل تجمّع .

انجذب نحو نقطة واحدة... نحو الوشم المتوهّج على سيف كاين .

السيف ارتجف .

ثم . . تنفّس .

لا مجازاً .

تنفّس فعلياً .

صدر كاين ارتفع كأن السيف يسحب من روحه .

ثم خرج صوت طفيف . . خافت . . لكنه يحمل وزناً لا يُطاق .

"أنا... أتذكّر ."

الرماد صعد وتغلغل في شقوق النصل .

الحديد صار اسوداً فاحماً ، مشوباً بنبض داخلي أحمر .

النصل القديم تفتّت ، لكن ما تبقىء منه تًشكّل مجدداً... سيف جديد... طويل أكثر ، أثقل .

لكن حين أمسكه كاين... شعر أنه أخف من كل شيء حمله في حياته .

همس كاين :

"هذا ليس مجرد سيف ."

ثم وضع يده عليه ،

والسيف... نطف بأسمه .

"شهاد ."

زايَل أقترب قليلاً :

"شهِاد؟"

أورين شرح :

"كلمة قديمة... تُقال في لغات ما قبل السقوط .

معناها :

السيف الذي يَشهد... ولا يغفر ."

كاين نظر إلئ النصل وقال :

"لقد قتلتُ به من قبل .

وسأقتُل به من جديد .

لكن هذه المره... لن أنسئ من ."

ليانا همست :

"هولا يُشبه أي شيء رأيته .

لا كأداة . . ولا كروح ."

كاين :

"هو ليس لي وحدي... بل ليوم... لن أخرج منه حياً ."

ثم أدخل شِهاد في غمد جديد تشكّل بنفسه علئ ظهره .

ومشى... وترَك خلفه هواءاً لا يجرؤ أحد علئ تنفسه .

الفصل العاشر

معبد الأرض - تنفّس الميت

معبد الأرض – قلب الغابة العميقة
"بعض الأماكن لا تُبنى بالحجارة... بل بالأخطاء .
ومعبد الأرض؟
بُني من أرواحٍ لم تُدفن ."

عثروا عليه في غابة لم تكن على الخريطة .
وسط الأرض المتشققة ، جذور الأشجار نمت فوق بعضها ، كأنها تخنق التراب .
المعبد لم يكن يرتفع... بل يغوص .
مدخله حفرة دائرية ، تحيط بها رموز منقوشة بلغة لا تُقرأ ، لكن تحُس .
أورين وقف أمامها ، وقال :
"هذه ليست حروفًا... بل ندمٌ متجسّد ."
كايَن أمسك مقبض شِهاد ، وهمس :
"يشعر به... كأن الأرض نفسها خائفة ."
زايل وضع قدمه على أول درجة :
"دعها ترتجف .
نحن هنا لنفتح الجحيم ، لا لنسجّل دخولاً ."
ليانا وضعت يدها على جدار المدخل .
عند لمسها... ارتجف المعبد .
ثم سُمعت أنين .
لكنّه لم يكن من داخل المعبد... بل من داخلهم .

دخلوا .

أربعة... لكن ظلهم الخامس بدأ يظهر .

الهواء هنا لا يُستنشق... بل يُبتلع .

الجدران مغطاة بجماجم من طين ، تتبعهم بنظرات جوفاء .

كل خطوة كانت تُصدر صدى... لكن لا صدى لهم .

كأن المعبد يرفض الاعتراف بوجودهم .

سارا كانت تمشي خلفهم بصمت ، لا تتكلم .

لكن وسمها على عنقها... بدأ يظهر لأول مرة .

زايل لاحظه :

"لم أركِ تحملين وسمًا ."

سارا نظَرت إليه ، وقالت :

"لأني لم أحمله... بل كنتُ الوعاء له ."

في قلب المعبد ، غرفة دائرية .

أرضها من حجر قديم ، وفي وسطها... تمثال عملاق .

جسد بشري ، لكن الرأس رأس شجرة .

والذراعان من تراب متحجّر .

وعيناه... مغلقتان .

أورين تمتم :

"حارس الأرض ."

ليانا :

"هل هو نائم؟"

كايَن :

"بل يتظاهر بالنوم .

الأرض لا تنام... بل تراقبنا حتى ننسى أننا تحتها ."
فجأة... فتح التمثال عينيه .
لكن لم يكن فيهما ضوء .
بل مرآة .
كل واحد من الأربعة... رأى وجهًا واحدًا فيهما :
نفسه .
لكن في لحظة كره نفسه فيها .
التمثال تحدّثً... بصوت كأن الأرض تتحرّك :
"أنتم من وُسموا... لا لتصلحوا... بل لتتذكّروا .
كل معبد... جرحٌ في ذاكرة العالم ."
زايل صاح :
"كفى...!
لا أحب الأماكن التي تُكلّمني بأخطائي ."
كايَن قال :
"دعني... سأكلمه بلغتي ."
وسحب شِهاد .
عندما هجم التمثال ، لم يكن جسده هو ما يتحرك... بل الأرض من حوله .
الجدران صارت أذرعًا .
الأرض تموجت كوحش نائم يُضرب بالحجارة .
أورين رفع حاجزًا سحريًا ، ليانا تدحرجت خلف كومة عظمية ، زايل بدأ بقطع الأطراف الصخرية... لكن كايَن؟
تقدّم مباشرة .
السيف "شِهاد" بدأ يهمس له .

كلمات لا تُفهم... لكن تُشعل الدم .

كل ضربة من كايَن... تترك صدعًا لا يُشفى .

كل صدى من صوته... كان يُعيد للآخرين ذنبًا نسوه .

التمثال ضرب كايَن بقوة ، أرسله للحائط .

لكن قبل أن يصل ، اختفى... ثم ظهر فوق التمثال ، وغرس "شِهاد" من الرأس حتى الصدر .

والصدى... كان صرخةً لم يصدرها أحد .

التمثال تفجّر إلى غبار ، والأرض... صمتت .

أورين جلس على الأرض :

"هذا... أول جرح .

بقي ثلاثة ."

سارا قالت :

"هذا ليس جرح الأرض... بل جرح كايَن ."

ليانا نظرت إلى كايَن :

"هل أنت بخير؟"

ردّ ، وهو يُدخل شِهاد في غمده :

"من يبدأ الحفر... لا يتوقف حتى يدفن نفسه ."

الفصل الحادي عشر

العرّافة العمياء

ضفة النسيان – حيث تُطفأ الوجوه

"إن لم تستطع أن ترى المستقبل... فربما لأنك تمشي داخله ."

خرجوا من معبد الأرض... لكنهم لم يخرجوا من الأرض .

كان الهواء مشبعًا بالتراب ، السماء لا تزال معلّقة ، والأرواح... أثقل من أجسادهم .

زايل كان أول من تكلم :

"لا أريد الدخول إلى معبد آخر... قبل أن أشرب شيئًا ."

سارا لم ترد عليه .

كانت تسير خلفهم ، وجهها ساكن ، لكن خطواتها... ليست خفيفة كالسابق .

أورين توقف فجأة :

"هناك شيء... لا يتحرّك منذ فترة .

لكني أشعر به ."

ليانا :

"تظنه يتبعنا؟"

أورين :

"بل يسير أمامنا... ويجبرنا أن نسلك خطاه ."

بعد مسيرة ساعات... وصلوا إلى وادٍ يُدعى :

ضفة النسيان

مكان لا تُولد فيه الأشياء... بل تُدفن قبل أن تولد .

كان هناك كوخ .

قديم .

بلا أبواب .

بلا نوافذ .

لكنه يتنفّس .

دخلوا .

لم يكن هناك أحد... لكنهم شعروا أن هناك شيء يراهم .

ثم... صوت .

صوت أنثى .

هادئ... قديم... مُتعب .

"مرحبًا... منكم من جاء بقدميه... ومنكم من جُرّ بلا إرادة ."

الضوء في الغرفة تغير .

كل شيء صار رماديًا .

ثم خرجت .

امرأة... عجوز... بلا عيون .

مكان عينيها... مغطى بضماد أبيض .

لكنها لم تكن عمياء .

بل ترى أكثر من اللازم .

قالت :

"أنا إيليّريا... آخر من بقي من الذين رأوا الحلقات القديمة ."

كايَن سأل :

"كم حلقة سبقتنا؟"

ردت :

"بما يكفي... لأن أحفظ وجوه الذين ماتوا... دون أن أعرف أسماءهم ."
ليانا تقدّمت :
"لماذا نُرسل إلى هذه الأماكن؟
ما الهدف؟ ما ذنبنا؟"
العرّافة جلست ، وأجابت :
"أنتم الختم الأخير .
الختم لا يكتب... بل يُكسر ."
زايل ضحك ساخراً :
"هل أنتِ شاعرة أم نبية؟
نريد أجوبَة ، لا رماداً لفظيًا ."
ردت العرّافة :
"الرماد... هو كل ما تبقّى من من سبقكم ."
ثم سكتت .
بعد لحظة طويلة من الصمت ، قالت :
"في كل معبد... لا يُفتح الباب إلا إذا انكسر شيء في أحدكم .
لا يكفي القتال .
لا يكفي الانتصار ."
"بل... يجب أن يفقد أحدكم جزءاً منه لا يعود .
وقد لا يكون موتًا جسديًا ."
أورين قال بهدوء :
"فهمت الآن... هذه ليست رحلة نجاة .
بل اختبار للهوية ."
العرّافة قامت من مكانها ، ومشت نحو كايَن .

وضعت يدها على صدره... فوق السيف .

"أنتَ... أنت كُنتَ البوابة في إحدى الحلقات السابقة ."

همس كايَن :

"أعلم ."

ثم مشت نحو سارا .

وضعت يدها على كتفها .

توقفت طويلاً .

ثم قالت :

"أنتِ... ما لم يُفهم بعد .

لكنّكِ... لستِ بريئة ."

ثم التفتت إلى الجميع .

وقالت الجملة التي ظلّت تُدوَّن في جدران المعابد :

"لن يصل إلى نهاية الحلقة... من لم يخنها ."

ثم اختفت .

لا صوت .

لا ظل .

ولا حتى رائحة وجود .

زايل قال :

"أنا أكره كل مكانٍ لا نخرج منه بشيء... سوى شكٍّ جديد ."

أورين :

"بل هذه المرة... خرجنا بيقين ."

ليانا :

"أيّ يقين؟"

أورين :
"أن واحدًا منّا... إما سيموت... أو يُمحى ."

الفصل الثاني عشر

طريق النار – تربة الدم

حيث لا يبقى شيء من الأرض... سوى الندم المشتعل .
"أحيانًا لا نحترق لأننا نخطئ ، بل لأننا عبرنا فوق ذاكرة لا تُغفر..."

بعد خروجهم من وادي العرّافة العمياء ، الأربعة يسيرون في أرض ميتة ، يرافقهم صمت يحترق من الداخل .
السماء بلون النحاس ، والتراب أحمر داكن كأن الأرض لا تزال تنزف منذ آخر من مرّ .
الصمت كان خانقًا .
لا أحد يتكلم .
كل واحد منهم يسير... كأنه يحمل وزنه ، ووزن ميتٍ على ظهره .
كايَن في المقدمة .
خطواته غارقة في الطين اليابس .
ظهره مستقيم ، لكن روحه... محنيّة كأغصان محترقة .
خلفه ليانا ، عيناها لا تفارقان السيف "شِهاد" على ظهره .
لم تكن تراه كسلاح... بل ككائن يشهق باسم كايَن كلما اقترب أحد .
أورين في المؤخرة .
يقرأ كتابًا لا يفتحه .
يداه خلف ظهره ، وعيناه تمشيان مع ظلٍّ لا يسير .
زايل كان الوحيد الذي يكسر الصمت أحيانًا .

بصوت منخفض ، يكلم نفسه :

"ما زلتً أذكرها... رائحة الحريق .

دماءنا كانت تشعل الحطب ."

سارا توقفت فجأة .

وضعت يدها على الأرض .

قالت بصوت ميت :

"هذا المكان... كان ساحة إعدام .

أُحرقت فيه قرية بأكملها... لأنها صدّقت الختم ."

ليانا سألت :

"كيف عرفت؟"

سارا رفعت يَدها ، وعليها رمادٌ جديد .

"الأرض تتكلم .

فقط علينا أن لا نقاطعها بأمل ."

اقتربوا من أطلال حمراء ، لا تزال تنفث دخانًا رغم مرور زمن لا يُقاس .

وسط الرماد ، وجدوا كتابًا نصفه محترق .

أورين التقطه .

غلافه مكتوب بلغة مقلوبة .

قلبه... وقرأ :

"كنّا أربعة .

ختمنا الأرض بالنار ، وظننا أننا عرفنا الحقيقة .

لكنّ أحدنا... لم يكن واحداً منا .

وهكذا أُعيدت الحلقة ."

زايل قال وهو يركل حجراً :

"هذا الصوت مألوف .
وكأننا نقرأ ظلّنا ."
كايَن :
"بل كأننا نقرأ ما كُتب عنّا قبل أن نولد ."
بين الصخور ، جلس الجميع ليستريح .
الصمت تمدّد من حولهم .
ليانا جلست جوار كايَن... دون أن تنظر إليه .
قالت بصوت خافت :
"حين غضبتَ في المعركة... خفت منك .
ليس لأنك قوي... بل لأنك بدوت كما لو أنك نسيت من تكون ."
كايَن ظل صامتًا .
ليانا تابعت :
"هل تذكر من أنت؟"
كايَن بصوت منخفض :
"أنا من خُتم... ثم كُسر... ثم نُسي أنه وُجد أصلاً ."
ثم نظر إليها ، لأول مرة منذ زمن .
"لكنّكِ... تذكريني .
أنت الوَحيدة التي حين تنظرين إليّ... لا أبدو وحشًا تمامًا ."
ليانا التفتت فجأة ، وعيناها تلمعان ، لكنها كأنها ابتلعت شيئًا .
لم تجب .
لكنها لم تبتعد .
بينما هم يتحركون مجدداً ، رأوا جذع شجرة محترقة ، محفور عليه اسم قديم :
"هايدر"

زايل تجمّد .

لم يتكلم .

اقترب كايَن :

"تعرف هذا الاسم؟"

زايل ابتلع ريقه ، ثم قال بصوت غليظ :

"كان أخي .

مات محترقًا... لأني عشت ."

سارا :

"أنتَ لم تختر ."

زايل :

"بل اخترت... أن أهرب .

لم أُمسك بيده ، لم أُطفئ النار... فقط ركضت ."

ثم ضرب الشجرة بقوة حتى تفجرت .

"هذا الطريق... يريدني أن أكره نفسي أكثر ."

كايَن :

"ليس الطريق من يريد... بل الوسم من يتغذى ."

وصلوا إلى مرتفع .

ورأوا من بعيد... معبد النار .

لكن المعبد كان محاطًا بدخان لا يُشبه الدخان .

كان حيًا .

وكان ينتظر .

أورين قال :

"هذا ليس دخانًا... بل أرواح من احترقوا دون أن يُفهموا ."

سارا :

"هل سندخل؟"

كايَن أدار رأسه ، نظر لكل واحد منهم ، ثم قال :

"سنحترق جميعًا .

لكن ما نحمله... يجب أن يبقى حيًا ."

ثم سار نحو المعبد ، والأرض تحت قدميه كانت تبكي نارًا .

الفصل الثالث عشر

وجوه بلا أقنعة

حين لا يكفي أن تعرف من أنت... بل يجب أن تتحمّل ذلك .
"كل الأقنعة خُلقت لتُحمي... لكننا نحن من تعلمنا كيف نختبئ بها إلى الأبد ."

ليل ثقيل يسقط فوق أطراف "تربة الندم" ، الجميع متوقف قرب نبع راكد ، تحيط به تماثيل متآكلة تشبه البشر في لحظات ضعفهم الأخيرة .
لكن لا أحد يتحدث .
ليس لأنهم لا يريدون... بل لأن ما سيقال ، سيغيّر كل شيء .
كان كايَن يجلس قرب النبع ، السيف "شِهاد" ممدد على الأرض بجانبه ككلبٍ يحرس موت صاحبه .
وجهه مشقق بالندم ، لكنه بلا دموع .
ليانا وقفت على بعد خطوات ، تراقب الانعكاسات الهشة في الماء ، كأنها تبحث عن ملامحها التي لم تعد تثق بأنها تملكها .
زايل يتكئ على حجر ، يعبث بسلسلة صدئة حول رقبته ، يحاول أن يبدو كعادته ساخراً... لكن لا أحد صدّق الضحكة .
أما أورين ، فكان يكتب في الهواء بأصبعه ، كما لو أنه يُفرغ شيئًا لا يستطيع قوله بالكلمات .
بدأ الحديث .
ليس بالكلمات ، بل بنظرٍ أطول من اللازم .
قالت ليانا :

"أريد أن أسألكم شيئًا ، لكن أرجو ألا يكذب أحد ."

زايل ضحك بخفّة :

"بعضنا لا يقدر يكذب حتى لو أراد .

لأن من كثرة الندم... صار صوته أضعف من كذبته ."

ليانا نظرت إليه ، ثم قالت :

"هل كنتم تريدون هذه الرحلة؟

هل كنتم حقًا تريدون أن تنقذوا العالم؟

أم أنكم فقط... تبحثون عن شيء يبرر وجودكم؟"

سكت الجميع .

حتى النبع ، توقف عن التموج .

كايَن أجاب أولاً :

"أنا لا أبحث عن شيء... أنا أهرب من كل شيء ."

"حين أنظر في عيونكم ، أرى وجوهًا نجت من النار ، لكنها لم تعد بشرًا .

وأنا أولكم ."

ثم نظر إلى "شِهاد" ، وقال :

"أنا لا أملك سَيفًا... بل وسمًا يتحرك بي ."

قال أورين بهدوء :

"كنت أعتقد أنني أرافقكم لأني أفهم... لكن الحقيقة؟

أنا فقط... كنت أبحث عن من يُفجّر صمتي ."

"كل معرفتي لا تُسعفني حين أكون وحدي ."

زايل أخرج قطعة مكسورة من درع قديم ، ورماها قربه .

"أنا كنت أقاتل في ساحة... لم أكن أعرف اسمها .

وكنت أُبقي أعدائي قريبين... لأنهم الوحيدون الذين يتذكروني ."

"أخي؟ مات .

أصدقائي؟ أنا قتلتهم بلا قصد .

نفسي؟

آخر مرة رأيتها... كانت تنزف في المرآة ."

ليانا ضمت يديها بقوة ، وقالت :

"أنا كنت أُلقّب بالقاتلة الصامتة... لكن لا أحد سألني من الذي قتلني أولاً ."

"أحيانًا كنت أتمنى أن أكون مجرد ظل في هذه الأرض ،

لأني أخاف أن أترك بصمة... تُفسّرني خطأ ."

سكتوا .

دقيقة كاملة من الصمت .

ثم قال كايَن ، دون أن ينظر لهم :

"لن نخرج من هذا الطريق كما دخلناه .

من أراد أن يبقى نفسه... فليرجع الآن ."

ليانا :

"ومن قال أننا كنا أنفسنا حين بدأنا؟"

زايل :

"أعتقد أني بدأت أُحبكم... وهذا أسوأ شيء حصل لي ."

ثم ضحك .

وضحكوا كلهم .

لكن ضحكتهم لم تكن فرحًا... بل طريقة أخرى للبكاء .

وفي تلك الليلة... لأول مرة ، لم يحلم أحد منهم .

ولم يكن هذا أمرًا جيدًا .

الفصل الرابع عشر

طفل الوسم الأول – مولود من دم لا يُغفر

"في البدء ،لم يكن هناك خطيئة... بل صوتٌ قال : هذا أنت ."

بعد ليلة وجوه بلا أقنعة ، الأربعة يسيرون على حافة جرف صخري يطل على أرض خالية من اللون .
الريح هناك لا تصدر صوتًا ،لكنها تسرق الذكريات ببطء .
في وسط تلك الأرض ، برج حجري نصف مدفون بالرمل ، وعلى جداره...
محفورٌ رسم لولدٍ دون وجه .
مجرد جسد ، يصرخ في السماء .
كان أورين أول من اقترب من النقش .
قال بصوت منخفض :
"هذا المكان... وُلدت فيه لعنة الوسم ."
زايل ضحك ضحكة قصيرة :
"أي مكان يُولد فيه وسم... لا يمكن أن يكون رحمًا .
هذا قبر ."
كايَن لم يتكلم .
لكنه اقترب من الجدار ، ووضع كفه على الحجر المحفور .
فجأة ، ارتجف .
عيناه اتسعتا...وكل شيء من حوله اختفى .
رأى في داخله مدينة محترقة ، طفل صغير يمشي بين الجثث ، يمد يده نحو سماء لا تمطر .

ثم سمع صوتًا... صوتًا يشبه صوته ، لكنه أقدم .

"حين لمست النار ظهري... لم أصرخ .

فقط فتحت فمي ، لأني كنت أبحث عن الهواء ."

"لكنهم قالوا : هذا صراخ .

ومن هناك... بدأ كل شيء ."

استفاق وهو يتنفس كأن قلبه احترق .

ليانا أمسكت بذراعه .

"ماذا رأيت؟"

كايَن بصوت كمن يتحدث لأول مرة :

"أنا... كنت هناك .

أو ربما لا زلت .

الطفل الذي بدأ كل شيء... لم يمت ."

زايل نظر له نظرة طويلة ، ثم قال :

"أحيانًا ، لا أحد يُولد فعلاً .

فقط نُسحب من موت مؤجل ."

داخل البرج ، وجدوا غرفةً واحدة .

في منتصفها : مهد حجري صغير

وعلى جدرانها نقوش سوداء تقول :

"أوقفوا الختم قبل أن يكبر ."

"الطفل الأول... سيكسر العالم ، أو يُخيطه باللعنة ."

"هو ليس مخلوقًا... بل ذنب عاشق مات وهو ينتظر الغفران ."

سارا نظرت إلى المهد ، ثم قالت :

"أنا... أسمع بكاءً .

لكنه ليس بكاء طفل... بل شيء يبكي لأنه وُلِد ."
أورين نظر إلى الجميع ، وقال :
"ما أعرفه الآن... أن أحدنا ، يحمل في دمه بقايا ذلك الطفل ."
"ربما لم نولد لنحمل الوسم... بل وُلدنا لأن الوسم أرادنا ."
الصمت سقط مرة أخرى .
كايَن نظر إلى يده... وشِهاد يومض على ظهره بخط دم جديد لم يكن موجوداً .
زايل اقترب من المهد ، لَمسه بيده العارية .
ثم قال :
"كان لدي أخ... لكني الآن غير متأكد من ذلك .
ماذا لو كنت أنا هو؟
أو ماذا لو لم يكن أحد منا حقيقيًا أصلاً؟"
غادروا الغرفة... لكن أحدهم لم يخرج كما دخل .
المهد ظل خلفهم ، فارغًا... لكنه بدأ يهتز .
وحده أورين التفت إلى الخلف ، وهمس :
"اللعنة الأولى... لم تكن خطأ .
كانت بداية من لا يريد النجاة ."

الفصل الخامس عشر

مرآة مكسورة – حين رأينا أنفسنا كما كنا

"كل شخص يحمل مرآة مكسورة في داخله ، يرى فيها أجزاءه التي لم يجرؤ على لمسها ."

أثناء طريقهم لمعبد النار ، يدخل الأربعة أطلالاً منسية في صحراء رمادية... وفي منتصف الأنقاض ، بناء بلا سقف ولا أبواب ، لكنه مليء بالجدران الزجاجية المتناثرة .

ليس فيها سوى مرايا معلّقة بالهواء... مكسورة... لكنها لا تسقط .

كل شخص يدخل غرفة على حدة .

ولا يُسمح له بالخروج... حتى يرى نفسه كما لم يُرِد قط .

كايَن — المرآة التي تنزف

دخل غرفة لا سقف لها ، وكان في الجدار مرآة واحدة فقط .

لكنها تنزف .

من أعلاها يتقطر دم بارد ، ومن داخلها يخرج صوت... صوته هو ، لكن أشد قسوة .

"أردت أن تكون قويًا؟

إذًا انظر..."

ظهر كايَن الآخر في المرآة :

عاري الصدر

على ظهره وسوم لا تُعد

حوله جثث الذين وثقوا به

وفي عينيه : نظرة من لا يهمه من يموت ، طالما يعيش هو
كاَين ارتجف .
قال الآخر :
"أنت لست بطلاً .
أنت مجرد كائن خائف يحتمي خلف دماء غيره ."
"شهاد؟ لا يتبعك .
إنهَ يجرّك نحو ما كنت ستصبح... ولن تنجو ."
ليانا – المرآة التي تبتسم
في غرفتها... وجدت مرآة صغيرة فقط .
لكنها كلما اقتربت ، كَبُرَت .
حتى غطّت الجدار كله .
وفيها... رأت نفسها :
طفلة تتدرب على القتل
فتاة تحاول أن تبتسم ، لكن تُصفع
ثم... هي اليوم ، تضحك .
ضحكة في المرآة لا تشبهها .
صوت المرآة :
"أردت أن يحبك أحد؟
لكنكِ قتلت كل من اقترب ."
"أردتَ أن تُفهَمي؟
إذاً لماذَا اختبأت خلف كل تلك الصمت؟"
ثم ظهرت يدهاَ في الانعكاس... تمسك قلبها وتضغط عليه .
"هذا؟ لم يكن قلبًا .

كان خنجراً وضعوه بداخلك... وقالوا لكِ : احترسي من الطعنات ."
ليانا بدأت تبكي .
لكن صورتها كانت تضحك .

أورين — المرآة التي لا تعكس
وجد نفسه في غرفة بلا مرآة .
لكن على الجدار... عبارة مكتوبة بالدم :
"من لا يرى نفسه... لا يعني أنه لا يُرى ."
ثم بدأ يلمح ظلاً خلفه... وعندما التفت ، لم يجد شيئًا .
حتى خرج صوته من الجدار :
"كل الكتب التي قرأتها ، لم تمنحك الحقيقة التي أردت : من أنت... ولماذا نجوت؟"
ظهر له طفل صغير يحمل كتابًا بلا عنوان .
"هذا أنت... قبل أن تُغلق فمك للأبد ."
"أورين... أنت لا تعرف شيئًا .
وأنت تعرف أن هذه هي مشكلتك ."

زايل — المرآة التي تصرخ
وجد مرآة مكسورة إلى حد التفتّت .
كل قطعة تُظهر وجهًا مختلفًا .
زايل يضحك
زايل يبكي
زايل يقتل
زايل يصرخ في الليل وحيداً
ثم صرخ صوت داخل رأسه :

"كم مرة قلت أنك بخير؟

كم مرة ضحكت لأنك لم تستطع البكاء؟"

ثم رأى أخاه... يمسك به... ويتركه .

"أنت لم تختر النجاة... أنت فقط نجوت لأنك كنت أضعف ."

زايل سقط على ركبتيه .

"أريد أن أنسى... أريد أن أختفي ."

لكن الصوت أجابه :

"المشكلة ليست في أنك تكره نفسك .

بل أنك لا تملك الشجاعة لتُحبّها حتى ."

خرج الأربعة من غرفهم .

وجوههم شاحبة... لم يتحدثوا .

لكن حين نظر كايَن إلى ليانا... أومأت له فقط .

زايل مشى بجانب أورين... ولم يقل شيئًا .

الصمت الذي مشوا فيه كان مختلفًا .

ليس صمت الغرباء... بل صمت من رأى نفسه يسقط... ولم يمت .

الفصل السادس عشر

السيدة ذات الظهر المحروق

"بعض اللعنات ليست من السحر... بل من النسيان ."
"منذ احترق ظهري... نسيت وجهي .
لأن العالم كله رأى الألم ، ولم يجرؤ أحد أن يسألني : من أحرقك؟"

في طريقهم إلى معبد النار ، تسقط الشمس كجمرة فوق الأفق... وفي العراء ، تظهر قرية مهجورة ، أبنيتها مائلة كأنها انحنت للاعتذار... لكن لا أحد غفر لها .
حين اقترب الأربعة ، لاحظوا أن الرماد ما زال طازجًا ، كأن الحريق انتهى منذ أيام فقط... رغم أن لا أحد يعيش هنا .
في وسط القرية ، مبنى نصف منه ذائب ، وبابه محفور عليه :
"من تنطق باسمها... يرى النار قبلها ."
أورين قرأ الجملة ، ثم قال :
"هذه ليست تعويذة... بل تهديد لمن يظن أن النساء لا يخلّفن عواصف ."
ليانا همست :
"أعرف هذا المكان... أو شيء في داخلي يعرفه ."
داخل المبنى ، وجدوا جدارًا كاملاً مغطى بكلمات محروقة ، محفورة بأظافر ، لا بحبر :
"لم أكن ساحرة ."
"قلت لا... فاتهموني بالنار ."
"صوتي كان أنثى... والقرية لم تحتمل ذلك ."

ثم لوحة خشبية... عليها وجه مخروم ، والاسم تحته ممزق .
بينما الآخرين يفتشون ، وقفت ليانا أمام مرآة مشروخة على الأرض .
ثم سقطت... وسمعت صوتًا داخل رأسها :
"أنتِ ابنتي ، حتى لو أنكرني العالم ."
"حينَ كانت النار تأكل ظهري... كنت أناديك .
لكنكِ لم تأتي ."
ثم ظهرَ وجه امرأة مشوه ، لم يبقَ منه إلا عين واحدة... ونظرة ندم لا تنطفئ .
"اسمي احترق ، لكنك تحملينه دون أن تدري ."
أورين وجد كتابًا قديمًا في الأرض ، صفحات محترقة ، لكن بقيت منها واحدة :
"السيدة المحروقة لم تكن ساحرة... بل كانت خازنة الأسرار .
وحين عرفت أن أحد الأبطال الأربعة يحمل دمًا ملعونًا... طلبت قتله ، فاتهموها بالخيانة ."
كايَن سأل :
"أي أبطال؟ من أي زمن؟"
أورين أغلق الكتاب :
"ربما كانوا نحن... أو ظلّنا ."
ليانا خرجت من الغرفة ، جلدها بارد... لكن عينيها تشتعلان .
قالت بصوت ميت :
"منذ اليوم... لَن أبحث عن اسم .
بل سأحرق كل من ظن أن اسمي ليس لي ."
زايل قال ساخرًا :
"مرحى .

أصبح عندنا سيدة من رماد ، وشبح لا يُطفأ ."
كايَن لم يعلّق .
لكنه حين مشى بجانبها ، أدار وجهه نحوها قليلاً... ثم ابتسم .
ولم تبتسم هي .
حين غادروا القرية ، بدأ الرماد يتطاير للخلف... كأن السيدة ذات الظهر المحروق ودّعتهم أخيراً .
لكن على حافة الطريق ، ظهر حجر صغير ، منقوش عليه :
"ليانا ."

الفصل السابع عشر

نُسخنا التي لم نُصبحها

"ليس أسوأ من أن تخسر نفسك... سوى أن ترى نفسك التي لم تُخلَق ."

على مشارف وادٍ معزول ، يكتشف الأربعة حُجرة زمنية مخبأة تحت الأرض ، مدخلها مغطّى بحًفرية حجرية مكتوب عليها :
"من هنا... تمر الذوات التي لم تولد ، والأسماء التي لم تُنطق ."
حين ينزلون ، تنفصل الأرض... ويجد كل واحد منهم نفسه وحيداً... في عالم موازي صامت... مع نسخة من ذاته... لم يُصبحها أبداً .
[كايَن] – الذي اختار الحياة على الذنب
كان يقف في وادٍ مكسوّ بالعشب ، السماء زرقاء... لا دم ، لا سيوف .
ثم رأى نفسه... ملابس بسيطة
لا ندبات
لا سيف
يضحك ، ويعزف آلة وترية
كايَن الحقيقي اقترب وقال :
"من أنت؟"
النسخة الأخرى :
"أنا أنت... لو اخترت المغفرة .
لو سامحت نفسك بدل أن تحبسها بالسيف ."
كايَن صمت لحظة ، ثم تمتم :
"لكنّي لا أستحق ."

رد الآخر :
"لستَ بحاجة أن تستحق... فقط أن تعيش ."
قبل أن يتلاشى ، نظر في عينيه وقال :
"أنا الذي لم تُصبحه... لكني أنتَ حين تنام وتنسى ."
[ليانا] – التي لم تُدرّب على القتل
وجدت نفسها في غرفة فيها مرآة... وفي المرآة فتاة بشعر طويل ، خائفة... تحمل كتابًا ، لا خنجرًا .
اقتربت منها... "أكنتِ أنا؟"
قالت الفتاة :
"كنتِ ستصبحين مثلي... لو لم يأخذوك وهم يقولون إنك مميزة ."
"كنتِ ستتعلمين الحب ، لا الطعن .
الصمت ، لا الاختباء ."
ليانا دمعت عيناها .
مدّت يدها للمس المرآة ، لكن الفتاة ابتعدت وقالت :
"أنا التي لم تُخلَقِ أبدًا... لكني في داخلك .
أنتِ التي قتلتني ."
[أورين] – الذي لم يصمت
أورين وجد نفسه في مكتبة عملاقة... صوت ضحك ، لا صمت .
رجل بثياب بيضاء يمسك كتبًا ، ويلقي الشعر بصوتٍ مرتفع .
قال له :
"منذ متى كتمت صوتك؟"
أورين صُدم :
"أنت... تشبهني ، لكنك حيّ أكثر مني ."

الآخر :

"أنا أنت لو قلت الحقيقة .

لو تكلمت يوم خُنت ، بدل أن تُخفيها خلف الحكمة ."

"أنا الذي بكى... ثم كتب اسمه في قصيدة ."

أورين همس :

"لكنني لم أكتب اسمي في شيء ."

رد الآخر :

"لهذا اختفيت ."

[زايل] – الذي لم يُقاتِل

وجد نفسه في كوخ صغير ، رجل جالس ، مبتسم ، يخبز خبزاً .

قال له زايل :

"ما هذه المسرحية؟

أنا لم أكن هادئًا يومًا ."

رد الرجل :

"أنا أنت... لو قبلت الموت بدل الغضب .

لو قلت لأخيك : خذني ، لا تأخذ نفسك ."

زايل شهق :

"لا... لا..."

الرجل ابتسم ، ثم قال :

"لكنك لم تمت... بل نجَوت .

وأنا... أنا الذي مات كي تولد الوحش الذي أنت عليه الآن ."

ثم اختفى ، وترك وراءه سكينًا خشبيًا مكتوب عليها :

"الغفران ليس لكل أحد ."

في آخر الممر ، عاد الأربعة... وجوههم خاوية .

لم ينطق أحدهم كلمة واحدة .

لكنهم جميعًا... لم يستطيعوا رفع أعينهم عن الأرض .

حتى كايَن قال بصوت هامس :

"رأيتني... كما تمنّيت أن أكون ."

ليانا :

"رأيتني... كما لو أني خُلقت للحب لا للقتل ."

أورين :

"رأيت الصوت الذي قتله صمتي ."

زايل :

"ورأيت... من مات بدلاً عني ."

قبل مغادرة الممر ، ظهر حجر محفور عليه :

"من لم يواجه ذاته التي لم تُخلق... لن يعرف من هو حين يُكسر أخيرًا ."

الفصل الثامن عشر

معبد النار – حريق لا يُطفأ

"ما يُحرقنا... لا يُطفئنا .
بل يجعلنا وقوداً لما هو أسوأ"
"لم أدخل النار... بل فتحت صدري لها ، وقلت : احترقي هنا ."

بعد رؤية "النُسخ التي لم يكونوها" ، يصل الأبطال إلى مدخل معبد النار...
مدينة محروقة مبنية من لحم محترق وحجر سائل .
الهواء هناك ليس حاراً... بل يصرخ .
وعلى بوابة المعبد ، كُتبت عبارة :
"ادخلوا كما أنتم... لكن اخرجوا بلا جلد ."
كايَن يمسك "شِهاد" بيده مباشرة ، دون غمد .
الحرارة تجعل نصل السيف ينزف بخاراً أحمر .
زايل يمشي أولاً .
يقول بابتسامة نصف ميتة :
"أخيراً مكان يناسب جحيمنا الداخلي ."
سارا تتوقف وتهمس :
"أنا أسمع صرخات... تشبه صوت أمي ."
أورين يرد دون أن ينظر إليها :
"النار تحفظ الصوت أكثر من البشر ."
الداخل... أعظم من الخارج
داخل المعبد ، لا توجد جدران ثابتة .

كل شيء يتحرك... الأرض تشتعل ثم تهدأ ، الهواء يغلي ، والظلال تمشي دون أن تنتجها أجساد .

أحد التماثيل على الحائط ينبض .

ثم يتكلم :

"مرحبًا بكم يا من تحرقون أنفسكم باسم العالم ."

"أنتم الأربعة... كل واحد منكم يحمل شعلة لعنة قديمة ."

"ومن هنا... فقط واحد سيخرج حيًا ."

يُجبر كل واحد منهم أن يسير على "درج من الفحم الحي" وكل خطوة تُظهر صورة من ماضيه... لكن بصوت المحيطين به .

كايَن يسمع :

"قاتل ."

"خان من وثق به ."

"سيف لا يعرف من يقطع ."

"ختم بلا شرف ."

ليانا تسمع :

"هي لم تتكلم يومًا ."

"ربما لو بكت ، لعُفي عنها ."

"جميلة؟ بل مرعبة ."

"مَن تحُبها تموت ."

أورين يسمع :

"يعرف كل شيء... لكنه لم ينقذ أحدًا ."

"نذل صامت ."

"يخفي أكثر مما يقول ."

"جبان ."

زايل يسمع :

"الدموي ."

"أخو الخطيئة ."

"الوحش الذي نجى ."

"البيرسيركر الذي لا يعرف أن يحب ."

زايل ينهار أولاً .

يضرب الأرض ، يصرخ :

"أنا لست ما يقولون!

لكني لا أعرف من أكون أيضًا!"

كايَن يتوقف .

يمسك صدره ويهمس :

"أنا... أنا قتلت شيئًا فيّ قبل أن أقاتل أي شيء خارج ."

ليانا تنظر إلى الحائط ، وتقول :

"إن كان الحب يعني أني أُلعن... فدعوني أُلعن إذًا ."

أورين فقط قال جملة واحدة :

"أنا سكتّ... لأني ظننت أن صمتي أنقى من اعترافي .

وكنت مخطئًا ."

فجأة... المعبد يهتز .

النار تبدأ في الهجوم ، لا الاحتراق فقط .

تتشكل كأنها وحوش .

يُجبَر الأربعة على القتال .

الوحوش لا تُهزم إلا حين ينطق كل واحد منهم "ما يرفض قوله ."

كايَن :

"أنا أحتاج المغفرة ."

ليانا :

"أريد أن يحبني أحد... دون أن يهرب ."

أورين :

"أنا خائف ."

زايل :

"أنا لست قوّيًا... فقط لا أعرف أين أختبئ ."

عندها ، تحترق الوحوش... ويسقط المعبد .

أمام البوابة الأخيرة ، يُكافأ كل واحد منهم برمز :

كايَن : جمرة داخل صدره لا تحرقه... بل تحميه

ليانا : وشم نار على كتفها لا يُمحى

أورين : رؤية مكتوبة في عينه اليمنى ، لا يراها أحد

زايل : كسر في درعه ، لكنه الآن يلبسه بفخر

الفصل التاسع عشر

حافة الصمت – أحجار لا تتكلم

"حين يسكت الجميع... تبدأ الأحجار في رواية ما لم يُروَ ."
"الذين ماتوا لم يصمتوا... فقط علّموا الأرض أن تتكلم نيابةً عنهم ."

بعد سقوط معبد النار ، يعبر الأبطال صحراء سوداء مكوّنة من رماد العظام... لا سماء .
لا ريح .
فقط سكون يُشبه قبوراً معلّقة في الهواء .
في منتصف الصحراء ، أرض دائرية حجرية ، مغطاة بـ تماثيل نصف ذائبة...
كلها على هيئة بشر يُغطّون أفواههم بأيديهم .
وعلى الجدران : كلمات محفورة بأصابع... لا بأدوات .
أورين يتقدّم أولاً .
عينيه تتوسعان ببطء .
"كل هذا المكان... نُحت من صمت الذين لم يَسمعهم أحد ."
ليانا تمشي ببطء ، وتقرأ من على الجدار :
"قُتل لأنه قال الحقيقة ."
"نُسيت لأنها لم تضحك في الوقت المناسب ."
زايل يتوقف عند تمثال لامرأة تحرق نفسها :
"هل هذه... نفسها التي رأيناها؟"
سارا ترد بهمس :

"أكثر من واحدة احترقت... لكن لم يُكتَب عن أيٍّ منهن ."

فجأة ، أحد التماثيل يهتز .

يُفتح فمه ببطء... ويخرج منه صوت ميت :

"كنا نتكلم ، لكن لا أحد سمعنا .

وحين صمتنا... نحتونا تماثيل ، وقالوا : هذه آثارُنا ."

ثم يُغلق الفم... ويبدأ صدى الصمت يخترق العظم .

كايَن يتقدّم ، ويقف أمام صخرة عليها جملة واحدة :

"من لم يعترف... يبقى حاملاً لما كتمه إلى آخر دمه ."

ثم تظهر صورة محفورة لشخص يُشبهه ، يركع أمام جسد ميّت... ربما كان أخًا... أو صديقًا... لكن عيني كايَن تُطفَأ فيهما النور .

همس :

"أنا الذي قتله... بصمتي ."

زايل ينظر إليه ويقول :

"لا أحد بريء من الصمت .

نحن فقط... نحترق بدرجات مختلفة ."

في آخر الدائرة ، تمثال مقلوب ، رأسه للأسفل .

وعلى جسده محفور :

"هذا من سمع كل الأصوات... ولم يُجب أحدًا ."

ليانا تقترب منه ،

ثم تنحني... وتضع أذنها على الحجر .

وتسمع :

"أنا أنتِ ، حين كنتِ تعرفين الجواب... ولم تقولي شيئًا ."

بينما يغادرون الدائرة ، الأرض تتشقق من خلفهم ، وتُسمع جملة واحدة ، قادمة من تحت الحجر :

"كل من يسير إلى نهاية العالم... سيمرّ عبر جثث الذين لم يُنصِت لهم ."

الفصل العشرون

متحف الآثام السبعة – حيث تتنفس الخطايا

"الخطايا لا تموت... إنها تُخزَّن ، وتنتظر لحظة أن تجد عينًا تحُدّق فيها طويلاً ."

الطريق إلى الفم المظلم

الريح كانت باردة ، لكنها لم تكن من النوع الذي يُشعرك بالانتعاش... بل ذلك البرد الذي يُشبه يدًا مبللة تلتف حول قلبك .

أمامهم ، في قلب الوادي الرمادي ، ارتفع بناء أسود ضخم ، بلا شبابيك ، بلا أبواب واضحة ، أشبه بفمٍ مغلق على أسراره .

وعلى جدار مدخله ، نُقشَ بخطٍ متعرج ، كأن كاتبَه لم يكن يملك يدًا بشرية :

"هنا تحُفظ الآثام... ليس كي تُنسىً ، بل كي تتغذّى ."

زايل كان يضحك ضحكة منخفضة وهو ينظر إليه :

"تغذّى؟ من ماذا؟"

أورين ، بعينين لا تحملان سوى المعرفة التي تؤلم ، قال :

"من النظر... ومن الصمت .

الخطايا تموت إذا اعترفنا بها ، لكنها تعيش إذا حدّقنا فيها بصمت طويل ."

حين خطوا أول خطوة داخل البناء ، تغيّر الهواء .

لم يعد هناك ريح ، بل سكون سميك ، كأنهم غاصوا في مياه باردة .

الجدران كانت مكسوّة بلوحات هائلة ، لكل لوحة سبعة وجوه... وكل وجه يشبه أحدهم بطريقة مُخيفة .

كايَن توقف عند لوحة كُتب تحتها : "الكبرياء" .

الوجه في اللوحة كان يحمل نظرة عينيه بالضبط ، لكنه كان يبتسم ابتسامة لا يعرفها كايَن عن نفسه .
ليانا وقفت أمام لوحة أخرى : "الحسد" .
رأت نفسها هناك ، لكن بعيون أكثر ظلامًا ، تحمل سكينًا مُغطىً بدمٍ لم تعرف صاحبه .
زايل ، بدلاً من النظر ، مد يده على لوحة "الغضب" .
وفجأة ، سمعوا جميعًا صوت قلبٍ يخفق... من داخل الجدار .
زايل ابتسم ببطء :
"أعتقد أني وجدت غرفتي المفضلة ."
فتحوا بابًا خشبيًا سميكًا ، فوجدوا أنفسهم في قاعة مظلمة ، مضاءة فقط بسبع مشاعل ، كل مشعل أمام تمثال بشري مشوّه .
أورين بدأ يقرأ النقوش أسفل كل تمثال :
"الشهوة... الجشع... الكسل... الغضب... الحسد... الكبرياء... الشراهة ."
زايل :
"اين القتل؟"
أورين ، دون أن يلتفت :
"القتل ليس خطيئة هنا... بل نتيجة ."
الشعلة أمام تمثال الغضب اشتعلت أكثر ، وكأنها تتنفس .
زايل جلس أمامها ، وقال بصوت هادئ على غير عادته :
"إذا كان الغضب خطيئة... فأنا صُنع من الخطايا .
أنا لا أغضب لأني مجروح... أنا أغضب لأن الغضب يعجبني ."
ليانا ، بصوت جاف :
"أنت تحب شعورك وأنت تتحطم ، وتتحطم من حولك كل الأشياء ."

كايَن ، وهو يمرر أصابعه على تمثال الكبرياء :
"وأنتِ ، ليانا ، تحبين أن تكوني دائمًا في الظل... لكنك تكرهين من يسطع أمامكِ ."
ليانا لم ترد... لكنها لم تبتعد أيضًا .
أورين وقف أمام تمثال الكسل ، همس :
"أنا لم أكن كسولاً... كنت أختبئ .
لأن الحركة قد تجعلني أرتكب أكثر مما ارتكبته بالفعل ."
فجأة ، الجدران ترددت كنبضة قلب عملاقة .
لوحات الآثام بدأت تتحرك ببطء ، ووجوههم في اللوحات... بدأت تبتسم .
زايل :
"أظن المتحف قرر يردّ علينا ."
أورين :
"ليس ردًا... إنه دعوة .
من ينظر أكثر ، قد يُسحب للداخل ."
وفعلاً... من الظلال خرجت أجساد سوداء ، شفافة ، تحمل نفس ملامحهم... لكن بلا أعين .
كانت تتحرك ببطء ، كما لو أنها تنتظر أن يُكملوا الجملة الناقصة في داخلهم .
كايَن رفع سيفه :
"لن أسمح لنسخنا هذه أن تخرج من هنا ."
النسخة السوداء من كايَن ابتسمت ، وهمست بصوت مسموع للجميع :
"أنا لست هنا لأخرج... أنا هنا لأبقى مكانك ."
زايل قهقه ، واندفع نحو نسخته ، السيوف تتصادم ، والدماء — إن جاز تسميتها كذلك — كانت سوداء كالحه .

ليانا رمت خناجرها نحو وجه ظلها ، لكنها اخترقته لتجد نفسها تصرخ...
والظل يعيد الصراخ بنفس طبقتها .
أورين لم يتحرك ، بل بدأ يكتب دوائر سحرية على الأرض ، وهو يقول :
"هذه ليست معركة سيوف... بل معركة اعتراف .
إن لم تواجهوا ما ترفضونه ، سيبتلعكم ."
حين انتهى كل شيء... لم يبقَ من النسخ سوى بقع سوداء على الأرض ، تختفي ببطء .
زايل كان يتنفس كمن خرج من ولادة ثانية .
ليانا تجلس في زاوية ، تنظر إلى يديها وكأنها تراها لأول مرة .
كايَن لم يغمد سيفه .
وأورين... كان يحدق في الجدار حيث كان تمثال الكسل ، وقد انكسر نصفه .
على الباب المؤدي للخارج ، كُتب الآن بخط جديد :
"الخطايا التي واجهتموها لن تغفر... لكنها لنً تجوع ثانية ."
خرجوا إلى هواء الليل... لكن شيئًا في عيونهم جميعًا كان أعمق من أي ليل .

الفصل الحادي والعشرون

المائدة الأخيرة – لو كنا صادقين حقاً

"كل كلمة لم تُقال ، تصير سكينًا... لكننا نحن من يضعها في قلوبنا ، ثم نتظاهر أننا لم ننزف ."

لم تكن الريح التي ساقَتهم إلى الكوخ ريحًا عادية .
كانت كأنها أصوات من الماضي تدفعهم ، همسات ثقيلة تحمل طَعم العتاب القديم ، ورائحة الذين رحلوا .
الأرض حولهم ملساء ، لا أثر لخطواتهم ، كأنهم يسيرون على جلد ميتٍ مشدود فوق هاوية .
وفي منتصف هذا العدم... كوخ وحيد ، جدرانه من حجر أكلته السنين ، وبابه الخشبي غائر في الظلام .
على العتبة ، كان النقش :
"ما لم يُقال... سيقتلكم أكثر مما قتلَتكم المعارك ."
الغرفة دائرية ، جدرانها من حجر بارد يمتص الصوت .
لا نوافذ ، ولا نار ، ولا حياة... فقط مائدة خشبية عريضة في الوسط ، حولها أربعة كراسٍ ، وعلى كل منها لوح معدني باسم أحدهم .
في منتصف المائدة ، شمعة يتيمة ، تشتعل بلهيب أصفر متردد... وكأنها تخاف أن تكشف الوجوه .
جلسوا بصمت .
لم يجبرهم أحد... لكن الباب أغلق من تلقاء نفسه ، وصار الهواء في الداخل أثقل من أن يُتنفَّس .

زايل كان أول من قطع الصمت .
صوته لم يحمل السخرية التي يعرفونها ، بل نبرة معدن صُهر آلاف المرات في الألم :
"لنختم الكذب هنا... لسنا رفقاء .
لسنا حتى أعداء شرفاء .
نحن أربعة شقوق في مرآة واحدة... وكل واحد منّا يخاف أن يرى انعكاسه في الآخر ."
رفع رأسه نحو كايَن :
"قل لي... كم مرة فكرت أن تقتلني؟"
كايَن لم يشيح بنظره ، لكن صوته كان كجدار :
"أكثر مما تعتقد .
ليس لأنك تستحق الموت... بل لأنك تضع إصبعك على الجرح الذي لا أستطيع أن أراه دون أن أنهار ."
تأمل زايل للحظة ، ثم ابتسم ابتسامة مُشوَّهة :
"إذن أنت مثلي... تقتل لتتجنب الاعتراف أنك مكسور ."
ليانا حركت أصابعها على الخشب ، وكأنها تتأكد من أنه حقيقي ، قبل أن تقول :
"تعرفون ما الذي يقتلني؟
ليس الدم ، ولا المعارك... بل أنني انتظرت يومًا أحدًا يسألني : هل أنتِ بخير؟ ولم يحدث ."
رفعت عينيها إلى أورين :
"وأنت... رأيتني أسقط ، ولم تمد يدك ."
أورين أبقى نظره عليها طويلاً ، ثم قال بصوت منخفض :

"كنتُ خائفًا... أن أمد يدي ، فتكسري أكثر .
كنت أظن أن الصمت حكمة... حتى صار الصمت مقبرة لنا جميعًا ."
تراكمت الكلمات كأنها حجارة تُلقى في بئر .
كل جملة تنزل إلى عمق مظلم ، وتثير رجع صدى لآلام لم تُعترف من قبل .
كايَن أطرق رأسه :
"أنا آسف... أنني جعلتُ قوتي جدارًا يفصلني عنكم .
كنت أريد أن أكون درعًا... لكن الدروع تتحول إلى سجون إذا طالت الحرب ."
زايل تنفس بحدة :
"وأنا آسف... أنني أخفيت خوفي خلف ضحكي .
لو توقفتُ عن السخرية لحظة... لربما رأيتم الدماء في فمي ."
ليانا أغمضت عينيها :
"أنا آسفة... أنني جعلتُ خنجري يتكلم بدلاً من صوتي .
كنت أظن أن القتل أسرع من الشرح ."
أورين وضع يده على المائدة :
"وأنا آسف... أنني كنت أعرف كل هذا... ولم أتكلم ."
فجأة ، اهتز اللهيب الصغير في الشمعة ، ثم انطفأ .
سقط الظلام على وجوههم ، لكنه لم يكن ظلامًا باردًا... كان دافئًا ، كأن المكان احتضن اعترافاتهم .
على سطح المائدة ، انحفر ببطء ، كأن يدًا غير مرئية تكتب :
"أنتم الآن أكثر من رفقاء سلاح... أنتم شهود على موت الأكاذيب ."
حين خرجوا من الكوخ ، لم يقل أحد شيئًا .
لكن في خطواتهم ، كان هناك ثقلٌ أقل... ليس لأن الجراح اندملت ، بل لأنهم ، لأول مرة ، سمحوا لها أن تنزف أمام بعضهم .

الفصل الثاني والعشرون

الشجرة التي أنجبت الظل

"كل ظلٍ وُلد من نورٍ مكسور... إلا هنا ، حيث الظل هو الذي يلد النور... ثم يقتله ."

بعد أن خرجوا من الكوخ ، ظلّوا يمشون في صمتٍ ثقيل .
كانت الرمال تمتد حتى يلتهمها الضباب ، والريح تجرّ وراءها بقايا أصواتهم التي لم تزل عالقة في الهواء منذ اعترافاتهم الأخيرة .
لكن شيئًا غريبًا بدأ يلوح أمامهم : خط أسود عريض يمتد من الأفق إلى الأفق... ولما اقتربوا ، أدركوا أنه غابة .
لكنها لم تكن غابة عادية .
الأشجار هنا بلا أوراق ، جذوعها ملتوية وكأنها عظام ملتوية في صرخة لم تكتمل .
وكان لكل جذع... ظلّ .
ظل لا يتبع حركة الشمس ، بل يتحرك من تلقاء نفسه .
وقف الأربعة على حافة الغابة .
ليانا همست وهي تحدق في الداخل :
"هذه ليست ظلالاً... هذه بقايا أرواح ."
زايل ضحك ، لكن ضحكته لم تحمل أي مرح :
"أرواح؟
بل أشباح تبحث عن شيء تكسره... ربما نحن ."
كايَن ظلّ صامتًا ، يحدق في أبعد نقطة بين الأشجار .

أورين نظر إليه وسأله بصوت منخفض :
"هل تراهم؟"
كايَن أومأ .
"أراهم منذ اللحظة التي وصلنا فيها إلى هذا الطريق ."
مع أول خطوة داخلها... تغيّر الهواء .
لم يعد هواءً ، بل شعورٌ ثقيل كأنك تبتلع ماءً مظلمًا .
أحد الظلال اقترب منهم .
لم يكن مسطحًا على الأرض ، بل ارتفع ، كأنه كائن من دخان أسود يلتصق بالجذع الذي خرج منه .
قال بصوت يشبه تفتت العظام :
"ماذا جئتم تبحثون عنه؟"
أورين حاول الرد ، لكن زايل قاطعه :
"جئنا لنرى أيكم أقوى... نحن أم أشباحكم ."
الظل ضحك .
ضحكة باردة ، جعلت جميع الجذوع حولهم تهتز .
فجأة ، انقسم الطريق أمامهم إلى أربعة مسارات ، كل مسار يبتلعه ضباب أسود .
كايَن وجد نفسه أمام شجرة ضخمة ، وعلى جذعها نُقش مشهد قديم :
وجهه ، لكن عينيه مليئتان بالدماء ، وسيفه يغرس في صدر من يحب .
همس لنفسه :
"حتى الأشجار تعرف ."

ليانا رأت شجرة تحمل ظلاً على هيئة طفلة صغيرة... الطفلة تمسك خنجراً وتبكي .
مدّت ليانا يدها ، لكن الظل تراجع ، وترك وراءه همسًا :
"أنت قتلتني قبل أن أولد ."
أورين وقف أمام شجرة مغطاة بالعيون ، كلها تنظر إليه بلا رمش .
قال أحد الأصوات :
"أنت لم تفعل شيئًا... وهذه كانت جريمتك ."
أما زايل ، فقد وجد ظلاً يقف أمامه على هيئة رجل يضع يده على كتفه... نفس ملامح أخيه الذي مات .
قال له الظل :
"كنت سأعيش... لو لم تكن أنت ."
اجتمع الأربعة مجدداً في وسط الغابة .
وجوههم شاحبة... ليس من الخوف ، بل من مواجهة ما لم يريدوا النظر إليه .
كايَن بصوت متهدج :
"هذه الغابة لا تقتلنا... هي تجعلنا نفعل ذلك بأنفسنا ."
ليانا :
"ربما هذا أسوأ من القتل ."
زايل :
"على الأقل القتل ينتهي... أما هذا ، فهو يظل معك ."
أورين :
"الظلال ليست أعداءنا... هي نحن ."
مع اقترابهم من نهاية الغابة ، سمعوا همسًا جماعيًا من كل الأشجار :
"من يخرج من هنا... يخرج ناقصًا ."

وحين تجاوزوا آخر جذع ، اكتشفوا أن ظلالهم**...** لم تعد تتبعهم .
لكنهم شعروا أن شيئًا ما ، أعمق من الظل ، بقي هناك .

الفصل الثالث والعشرون

أطلال من كانوا نحن

"كل ما تهدم فينا... كان يومًا بيتًا نسكنه ."

لم يكن الليل هذه المرة غطاءً ، بل كان مرآة سوداء... تعكس وجوههم كما هي ، بلا أقنعة .

الأربعة يسيرون عبر ممر حجري طويل ، جدرانه مشققة كأنها تتنفس غبارًا ، وسقفه ينزف قطرات ماء باردة تتساقط على الأرض ، فتصنع دوائر صغيرة... تختفي قبل أن تكبر .

في نهاية الممر... فضاء هائل .

ليس قاعة ، ولا كهفًا... بل أطلال مدينة ، دفنت تحت الأرض ، منازلها نصف ذائبة ، أبوابها مشوهة ، والأعمدة التي كانت تحمل السماء... تحمل الآن ثقل النسيان .

وقفوا جميعًا ، ولم يتقدم أحد .

كأنهم يعرفون... أن كل خطوة هنا ، ليست إلى الأمام ، بل إلى داخلهم .

زايل كسر الصمت ، صوته أعمق من المعتاد :

"هل تشمون هذا؟

رائحة الخشب المحترق... والذكريات المتعفنة ."

ليانا حدقت في الفراغ ، ثم قالت :

"هذه الرائحة... أعرفها .

كانت تملأ بيتنا ، بعد أن أخذوا كل شيء ، حتى الجدران ."

كايَن لم يلتفت إليهم ، عيناه مثبتتان على برج مائل في الأفق :

"كل مدينة تسقط... تترك ظلاً في قلوب الناجين .
وأحيانًا... يكون الظل أثقل من الأنقاض ."
أورين تمتم وكأنه يقرأ نقشًا غير مرئي على الهواء :
"هذه ليست أطلال مدينة... هذه أطلالنا نحن ."
زايل ، بابتسامة متكسرة :
"غريب... كأن كل حجر هنا يعرفني .
أسمعهم يهمسون باسمي ."
كاين ، ببرود يقطر منه الحذر :
"أحيانًا لا يهمس الماضي... بل يزأر .
فقط نحن الذين نتظاهر أننا لا نسمعه ."
ليانا ، وقد أطبقت يدها على خنجرها دون وعي :
"لو أن الماضي كان سكينًا... لكان في صدري منذ زمن ."
أورين ، يراقبهم :
"الماضي ليس سكينًا ، بل طاولة جراح... ونحن الذين نستلقي عليها مختارين ."
عند وسط المدينة ، وجدوا تمثالاً محطمًا .
لم يتبق منه إلا نصف وجه... عين مفتوحة ، والأخرى مسحوقة .
زايل لمس الحجر بأصابعه ، وتوقف .
"كنت أشبهه... قبل أن أتعلم كيف أبتسم حين أنزف ."
ليانا وقفت بجانبه :
"وأنا... كنت أشبهه قبل أن أتعلم ألا أبكي حين أفقد ."
كاين وضع يده على الحجر ، لكنه لم يقل شيئًا .
فقط شدّ قبضته حتى سال الدم من كفه .

أورين ابتسم ابتسامة بلا دفء :
"انظروا... حتى التمثال لم يسلم من نصف الحقيقة ."
فجأة... اهتزت الأرض تحتهم .
شقوق صغيرة تسللت بين الحجارة ، ومنها خرج بخار أسود ، كثيف ، كأنه أنفاس شيء كان نائمًا... واستيقظ .
كايَن سحبً سيفه فورًا ، نظر إلى الثلاثة :
"استعدوا... هذا المكان يكرهنا أكثر مما نكره أنفسنا ."
زايل بدأ يضحك ، ضحكة أقرب لنباح :
"وأخيرًا... جدار يمكنني أن أضربه حتى ينهار ."
ليانا همست ، وهي تحدق في الضباب :
"ليس كل جدار... مصنوع من حجر ."
قبل أن يظهر ما في البخار ، شعروا جميعًا أن شيئًا غير مرئي يحيط بقلوبهم ، يضغط ، ويضغط... حتى صارت أنفاسهم ثقيلة .
أورين نظر إلى الفراغ ، ثم قال بصوت لا يسمعه إلا هم :
"لسنا هنا لنقاتلهم... بل لنرى ، إن كنا سنقاتل أنفسنا قبلهم ."
والبخار بدأ يتشكل... لا على هيئة أعداء ، بل على هيئة ظلالٍ تشبههم تمامًا ، تسير بخطوات بطيئة نحوهم...
"أقسى عدوّ... هو الذي يعرف لون دمك قبل أن تجرحه ."
كان البخار الأسود يتموج ، ثم بدأ يتجمّع ، يتماسك ، يتخذ شكلاً... شكلهم .
أربعة ظلال ، لكنها ليست نسخًا دقيقة ، بل كأنها وجوههم لو صارت مرسومة بكوابيس طفل فقد نومه .
ظلال كايَن كانًت أكبر ، أضخم ، وعيناها محمرتان بنور قاسٍ ، تحمل نفس سيفه... لكن النصل ينزف دمًا حارًا .

ظل زايل كان نصف عار ، عضلاته مشدودة ، وابتسامة مسعورة تمتد أكثر من اللازم ، وفي يده ساطور مشروخٍ ، كأنه يريد أن يقطع العالم كله بضربة واحدة .
ظل ليانا كان صامتًا ، لكن حوله عشرات الخناجر العائمة تدور ببطء ، وكل خنجر عليها نقش اسم شخص قتلته .
أما ظل أورين... فلم يحمل أي سلاح .
فقط كتاب أسود ، صفحاته تقطر قطرات من حبر يشبه الدم ، وعينان لا ترمشان... لا عن الحياة ، ولا عن الموت .
زايل ، بابتسامة ساخرة :
"يبدو أنني أبدو أفضل وأنا وحش ."
كايَن ، بوجه متجمد :
"هذه ليست نسخة منك... هذه أنت ، إذا توقفت عن التظاهر أنك تستطيع السيطرة ."
ليانا ، بصوت منخفض :
"هذا... أنا ، لكن بلا قلب ."
أورين ، وهو يتقدم نصف خطوة :
"بل هذا أنت بقلب ، لكن لا يجرؤ أحد على لمسه ."
لم ينتظروا كثَيراً .
الظلال تحركت أولاً... بسرعة تجعل الريح نفسها تتعثر .
ظل كايَن هجم على كايَن الحقيقي ، ضربته الأولى كانت قوية بما يكفي لتهشم الأرض تحت قدميه ، لكن كايَن صدّها ، وشعر أن يده تخدر من قوة الاصطدام .
"إنه يعرف وزني ، يعرف كيف أضرب... يعرف أين أكسر ."
كايَن ، وهو يتراجع نصف خطوة .

زايل انقض على ظله ، والتصادم كان كتصادم جبلين ، لكن ظلّه لم يتألم ، بل ضحك ضحكة عالية... تمامًا كما يفعل زايل حين يبدأ النزيف .

ليانا أطلقت خناجرها نحو ظلها ، لكن الخناجر ارتدت جميعها نحوها ، كأن الظل يهمس :

"لن تقتليني قبل أن تقتلي نفسك ."

أما أورين... فظله لم يتحرك .

كان فقط يقرأ ، لكن كل كلمة ينطقها ، كانت تشعل جداراً من النار السوداء حوله .

كايَن ، وهو يصد ضربة أخرى :

"إنها تعرف كل خطوة... لأنها خطوة فكرت بها ."

زايل ، وهو يدفع ساطور ظله بعيداً :

"ومن قال إنني أفكر أصلاً؟"

ليانا ، وهي تجرح ذراعها لتتجنب خنجراً مرتداً :

"إنه يعرف خوفي... ويطعمني إياه ."

أورين ، بصوت ثابت وهو يقرأ من كتابه الخاص :

"الظلال لا تريد قتلك... بل تريد أن تجعلك تصدق أنك لم تكن حيًّا من الأساس ."

في لحظة ما ، كايَن شعر أن سيفه صار أثقل ، زايل فقد توازنه للحظة ، ليانا توقفت عن الهجوم ، وأورين أغلق كتابه فجأة .

الظلال اقتربت في دائرة ضيقة ، حتى أصبح الهواء بينهم مشبعًا بأنفاسهم... وأنفاس أشباههم .

كايَن همس :

"ربما... لا يمكننا قتلهم ."

زايل ، بابتسامة متوحشة :

"لكن يمكننا أن نموت ونحن نحاول ."

ليانا ، بصوت مكسور :

"أو... نكسرهم بالطريقة التي كسرونا بها ."

أورين ، ببرود يشبه السيف :

"ليس بالسلاح... بل بالكلمة ."

رفع أورين نظره نحو ظلّه ، وقال بصوت عالٍ :

"أنا لستك ."

وترددت الكلمات ، ثم سقط حجر من السقف ، ثم آخر... كأن المدينة نفسها بدأت تتفتت مع تلك الجملة .

الظلال توقفت للحظة... ثم ابتسمت جميعها ، ابتسامة واحدة متطابقة ، قبل أن تهجم مرة أخرى ، وهذه المرة... لم يعد هناك وقت للتفكير .

"أخطر اللحظات ليست حين يسيل دمك... بل حين تراه يشبه دم عدوك ."

الغرفة الحجرية ضاقت عليهم ، أصوات الضربات ارتطمت بالجدران حتى بدا وكأن المكان يتنفس من ألمهم .

الهواء صار أثقل... ليس من الغبار ، بل من الفكرة ذاتها :

"إن متنا هنا... سنُدفن كنسخٍ مشوهة من أنفسنا ."

زايل – الولادة الثانية للوحش

زايل كان أول من فقد توازنه... ليس جسديًا ، بل عقليًا .

ظله قطع كتفه ، والجرح لم يكن عميقًا... لكنه أشعل شيئًا في داخله .

عينيه اتسعتا ، ابتسامته بدأت ترتجف ، وصوته خرج خافتًا :

"أتعلمون ما المشكلة؟... أنني أحب هذا ."

ثم انقض على ظله بلا حذر ، ضرباته بلا إيقاع ، بلا عقل ،

لكنه مع كل ضربة ، كان وجه الظل يزداد شبهًا بوجهه الحقيقي .
وفي لحظة ، أدرك زايل... أنه كلما هاجم أكثر ، أصبح الظل أكثر قوة .
توقف فجأة ، الدم ينزف من فمه ، وهمس :
"إذن... الحل أن أتركك جائعًا ."
تراجع ، خفض سلاحه ، وعندها بدأ ظلّه يذبل ، كأنه لا يعرف كيف يعيش بلا عاصفة الغضب .

ليانا – اليد التي لم تعد ترتجف
ليانا كانت تتفادى خناجر ظلّها ، لكن جرحًا طويلاً شق جانب عنقها ، جعل الدم يتساقط دافئًا على صدرها .
لم تصرخ... بل توقفت تمامًا عن الحركة .
أغمضت عينيها ، ومدت يدها... بلا سلاح .
ظلّها توقف ، الخناجر المعلقة حوله بدأت تدور أبطأ .
قالت بصوت يكاد يكون همسًا :
"كنتُ أظن أن كل من يقترب يريد قتلي... لكن ربما كنت أنا التي تقتل قبل أن يقتربوا ."
خطت خطوة واحدة نحو ظلها ، وللمرة الأولى ، لم ترتفع أي خنجر .
ثم ، فجأة... اختفى الظل ، وكأن اعترافها كان خنجراً أعمق من أي معدن .

أورين – كسر الكتاب
أورين لم يلمس ظلّه بعد .
ذلك الكيان الذي ما زال يقرأ من الكتاب الأسود ، كل كلمة منه تملأ الغرفة بظلال جديدة على الجدران .
أورين أدرك أن كل حرف يُكتب ، هو ذكرى لم يواجهها .
اقترب... ببطء... ثم وضع يده على الصفحة .

ظلّه نظر إليه ، لأول مرة .

"إذا أغلقتني... ستنسى كل شيء ."

— ظل أورين

ابتسم أورين ببرود :

"النسيان... ليس دائمًا موتًا ."

ثم أغلق الكتاب .

وانفجر الظل إلى رماد ، تلاشى في هواء بارد .

كايَن – الوجه الأخير

كايَن كان لا يزال يقاتل .

كل ضربة من ظله كانت تحطم شيئًا في الأرض تحته ، لكنها أيضًا تحطم شيئًا في داخله .

كانا متطابقين... حتى طريقة التنفس .

لكن حين التقت نظراتهما ،

أدرك كايَن أن الظل لا يحاول الانتصار... بل الاستمرار .

رفع سيفه ، وهمس :

"لن أتركك تعيش أطول مني ."

ثم اخترق صدر ظله ، لكن حين سقط ، سال الدم على الأرض... وكان لونه نفسه .

وقف كايَن ، يده ترتجف ، وعيناه لا تفارقان البقعة الحمراء .

حين انتهى كل شيء... لم يبق سوى أنفاسهم الثقيلة .

الغرفة اتسعت مجدداً ، لكن لم يشعر أحد أنهم خرجوا منها .

زايل جلس على الأرض ، ينظر إلى يديه :

"أكره أنني فهمت نفسي أكثر مما أردت ."

ليانا مسحت دمها بإصبع ، وقالت :
"وأكره أنني لم أعد أرتجف ."
أورين أغلق عينيه :
"وأنا... أكره أنني أفتقد حتى ظلي ."
كايَن لم يقل شيئًا ، لكن يده ظلت ممسكة بسيفه ، كأنه يخشى أن يتركه... فيترك نفسه .
"حين تواجه ظلك... لا تخرج منه ، بل تحمله إلى الأبد ."
حين تحركوا نحو الباب الحجري ، لم يكن هناك قفل ، ولا قضبان ، فقط صخرة ثقيلة تسد الطريق ، وعليها نقوش غريبة تلمع بلون الدم .
اقترب أورين أولاً ، لمس الحجر ، فتغير النقش إلى جملة واحدة :
"من خرج صامتًا... يعود بلا قلب ."
التفت إليهم ببطء ، وقال :
"يبدو أننا مدعوون للكلام... للمرة الأخيرة ."
وقفوا أمام الصخرة ، أربعة على خط واحد ، وأجبرهم الصمت على النظر في وجوه بعضهم... كما لو كانوا غرباء للمرة الأولى .
زايل بدأ ، صوته ثقيل :
"أقسم... إن وجدت من يقتلني قبل أن أصبح مثلهم... سأبتسم له ."
ليانا أغلقت عينيها ، وقالت :
"أقسم أنني لن أسبق الخيانة بخيانة ، حتى لو كلّفني ذلك حياتي ."
أورين مدّ يده على الحجر ، وسمّى اسمه بصوت منخفض ، ثم قال :
"أقسم أنني لن أترك المعرفة تُخرسني بعد اليوم ."
كايَن رفع رأسه ، نظر إليهم جميعًا ، وعيناه كانتا أعمق من أي ظلام في المكان :

"أقسم... إن كان لا بد أن يتحول أحدنا إلى وحش... فليكن أنا ."

مع آخر كلمة ، انشق الحجر من منتصفه ، وصوت ثقيل يشبه كسر العظم ملأ الممر .

خلفه... لم تكن هناك أرض ، بل جسر ضيق فوق وادٍ أسود لا قاع له .

الهواء كان أبرد ، لكن لا أحد شعر بالراحة .

خطوا واحداً تلو الآخر على الجسر ، وكان كل صوت لخطواتهم يرتد عشرات المرات في الفراغ ، كأن الهاوية نفسها تحفظ صدى أقدامهم... لتذكّرهم أنها تنتظرهم .

عند نهاية الجسر ، وصلوا إلى أرض مغطاة بضباب رمادي ، والأفق أمامهم خال ، لا جبال ولا أشجار ، فقط امتداد لا نهاية له من الغيوم المنخفضة .

لم يتكلم أحد ، لكنهم كانوا يعرفون :

أنهم تركوا شيئًا في تلك الغرفة... ولم يعرفوا إن كان ذلك الشيء هو ظلهم... أم قلوبهم .

زايل قطع الصمت ، بابتسامة نصفها مرارة :

"كنا نحن... ثم لم نكن ."

لم يرد أحد .

ولم يحتج أحد للرد .

الفصل الرابع والعشرون

الوردة الرمادية – اسطورة الحبيبة التي لم تنتظر

"الانتظار ليس حبًا... الانتظار قبرٌ بلا شاهد ، يظل مفتوحًا حتى يعود الميتُ لِيُدفَن فيه ."

كانت السماء بلا لون ، كأنها فقدت قدرتها على الانعكاس .
الريح تأتي من جهة واحدة ، ثابتة ، تحمل في نَفَسها رائحة البرد القديم الذي يسكن العظام .
أمامهم وادٍ ضيق ، لا شيء فيه إلا التراب الميت ، لكن في قلبه ، وسط فراغٍ بلا حدود ، وقفت نبتة وحيدة تحمل زهرة رمادية ، متجهة نحو السماء... وكأنها تحاول التحدّث مع من ماتوا فوقها .
توقف الأربعة ، لا لأن الطريق مغلق ، بل لأن الهواء صار أثقل فجأة ، كأن الأرض رفضت الخطوة التالية .
همس أورين ، عينيه نصف مغمضتين :
"اسمعوا..."
كان الصوت يخرج من الريح نفسها .
صوت امرأة ، ليس صراخًا ، وليس بكاءً... بل جملة تتكرر بهدوء ، كما لو كانت لا تزال تؤمن بما تقول :
"قال إنه سيعود قبل أن تنطفئ الشمعة... انطفأت الشمعة .
ولم يعد ."
زايل ضحك بخفة ، ضحكة قصيرة لم تكتمل :
"والآن هي هنا ، تزهر من رمادها؟ يا للجمال المأساوي ."

ليانا نظرت إليه ببرود :

"الجمال الذي تتحدث عنه... قد يكون لعنته الأخيرة ."

الحكاية كما تروى في اركانيا

قالت ليانا بصوت منخفض ، وكأنها تخشى أن يسمعهم أحد من تحت التراب :

"سمعت بها وأنا صغيرة .

كانوا يقولون إن امرأة انتظرت حبيبها الذي ذهب للحرب ، وقفت أمام باب بيتها ليلة كاملة ، حتى جمدت قدماها... ثم جمد قلبها .

ماتت وهي واقفة ، وعيناها لا تزالان على الطريق ."

"دفنوها في الوادي .

وبعد أيام ، نبتت من صدرها وردة رمادية ، لا هي حية ولا ميتة... مثلها ."

كايَن تقدم ببطء ، كل خطوة كانت تصدر صوتًا خافتًا كأن الأرض ترفض وطأه .

انحنى نحو الوردة ، لكن لحظة مد يده... تحرك الساق الرمادي وانكمش ، كما لو أنه شعر بدمه .

أورين قال بلا انفعال :

"إن لمستها ، ستعرف ما فعلته ."

زايل رفع حاجبه :

"تعني أنها ستقتلني؟"

أورين :

"لا .

ستريك من الذي تركته ينتظر حتى مات .

وهذا... قد يكون أسوأ من الموت ."

لمسها زايل أولاً .

عينيه اتسعتا فجأة ، وتراجع خطوة .

لم يقل ماذا رأى... لكنه قال :

"إنها تعرف... أكثر مما أعرفه عن نفسي ."

ليانا نظرت إلى الوردة طويلاً ، لكنها لم تمد يدها .

قالت :

"أنا لا أحتاج أن ألمسها... أعلم تمامًا من مات بسببي ."

كايَن ظل واقفًا ، يراقبهم ، ثم همس لنفسه :

"ماذا لو لم يكن الشخص الذي انتظرني... مات؟

ماذا لو أنه لا يزال هناك... ينتظر؟"

ابتعدوا جميعًا ، خطوة بعد خطوة ، والوردة ظلت واقفة ، تراقبهم بلا عينين ، لكنهم شعروا بها تزرع في صدورهم شيئًا... ثِقَلاً لا يزول .

لم يقطفها أحد .

لم يلمسها أحد بعد ذلك .

لكن في الليالي التالية ، حين ينامون ، كانوا جميعًا يرونها في أحلامهم... واقفة في منتصف الوادي ، وفي يدها شمعة... تكاد تنطفئ .

الفصل الخامس والعشرون

خريطة لا تُشير إلئ مكان

"الخريطة التي لا تشير إلى مكان... هي اعتراف بأن الطريق الحقيقي ليس على الورق ، بل تحت جلدك ."

الليل الذي لا يتغير
الليل كان ثابتًا كأنه مرسوم بالرصاص على السماء .
لا قمر ، لا نجوم ، فقط امتداد ثقيل من سوادٍ متراكم ، يجعل كل نفس يخرج من الصدر أشبه بمحاولة تنفس تحت الماء .
الغابة من حولهم مائلة ، جذوع الأشجار تنحني نحو الداخل كأنها تراقبهم ، والندى يتجمع على الأوراق مثل عيونٍ تومض في الظلام .
أورين كان في المقدمة .
يمسك برقعة بالية ، أطرافها ممزقة ، والخطوط على سطحها تتحرك ببطء... كما لو كانت تنبض .
زايل ، وهو يمشي خلفه ، قال :
"أخبرني... هل أنت واثق أننا نسير في الطريق الصحيح؟"
أورين دون أن يلتفت :
"لا .
لكن الخريطة تريدنا هنا ."
ليانا رفعت حاجبها :
"وهل نطيع الورق الآن؟
متى صار الورق يعرف أكثر منا؟"

زايل ضحك بمرارة :

"أحيانًا... الورق أصدق منّا ."

توقفوا عند شجرة جوفاء ،جلس أورين على الجذع المكسور ، بسط الخريطة أمامهم .

كانت باردة الملمس... باردة أكثر من الهواء نفسه .

كايَن حدّق فيها طويلاً ، ثم همس :

"هذه ليست خريطة... إنها جرح ."

زايل ابتسم ابتسامة شاحبة :

"جميل... إذن نحن الآن نتبع جرحًا يبحث عن قاتله ."

أورين مرر أصابعه على الرموز الملتفة :

"هذه ليست مسارات... إنها لحظات .

كل خط فيها هو وقت كان يجب أن نموت فيه ."

ليانا ، بصوت منخفض :

"ولماذا لم يحدث؟"

أورين نظر إليها ، ولم يرمش :

"ربما لأن المكان الذي يوافق على موتنا... لم نصل إليه بعد ."

شيء غريب بدأ يحدث... كلما أطالوا النظر إلى الخريطة ، تغيرت أشكالها أمام أعينهم .

ليانا رأت بيت طفولتها .

الباب مفتوح ، وأمها تجلس في الداخل ،لكن عينيها بلا لون... وفمها مغلق بخيط أسود .

زايل رأى ساحة معركة غارقة في الدم ، أخوه يقف بعيداً ، يناديه ، لكن صوته يخرج بلا حروف... ثم يسقط ويتلاشى في الأرض .

كايَن رأى نفسه ، وحيداً على جسر حجري يمتد إلى الأفق ، والجسر ينهار من خلفه ببطء ، خطوة بعد أخرى ، ولا مكان ليتقدم نحوه .

أورين... لم يقل ما رأى .

لكنه أغلق الخريطة فجأة ، وكأنها كانت على وشك التهامهم .

زايل :

"إذن؟ ما الخطة؟

إذا لم نعرف أين نذهب ، سنظل ندور حتى نموت هنا ."

كايَن ، بصوت كالصخور الباردة :

"أحياناً... الدوران أرحم من الوصول ."

ليانا نظرت إلى الاثنين :

"أخشى أن هذه الخريطة ، حتى وهي مطوية ، لا تزال تكتب خطواتنا ."

أورين أعادها إلى حقيبته ، وقال وهو ينهض :

"ربما... لكن الورق لا يقرر النهاية .

النهاية تكتب نفسها... حين نكون مستعدين ."

مع كل خطوة ، بدت الغابة وكأنها تتغير .

الأشجار تلتفّ أكثر ، أوراقها تصبح أكثر قتامة ، والطريق الضيق صار يضيق حتى يلامس أكتافهم .

الظلال بين الجذوع بدأت تتحرك ، ليست حيوانات... بل أشكال بشرية مشوهة ، وجوهها مطموسة ، لكنها تهمس بأصوات مألوفة .

ليانا توقفت فجأة ، وجهها شاحب :

"سمعتُ اسمي...

زايل ابتسم بخفة قاتمة :
"المكان بدأ يتذكرنا ."
كايَن لم يقل شيئًا ، لكنه وضع يده على سيفه ، وكأن الهواء صار أثقل من أن يُحمل بلا حديد .
بعد ساعات من المشي ، وصلوا إلى فراغ في منتصف الغابة ، مساحة دائرية ، الأرض فيها مغطاة بطبقة رقيقة من الرماد ، وفي الوسط... حجر أسود كبير ، محفور عليه شكل يشبه الخريطة .
لكن هنا ، كانت الخريطة كاملة .
وفي نهايتها... نقطة صغيرة بلا اسم .
أورين لمس الحجر ، وفجأة ، شعرت الأرض تحتهم بالاهتزاز .
الأشجار من حولهم بدأت تصدر أصوات طقطقة ، والظلال التي كانت تهمس... اقتربت .
زايل ، وهو يبتسم ابتسامة عريضة :
"أخيراً... المكان الذي لا يريدنا... وصل إلينا ."
تلاقَت عيون الأربعة .
لا أحد منهم قال "استعدوا" ، ولا أحد حاول أن يهرب .
كان في الصمت بينهم اتفاق قديم... أنهم سيمشون الطريق حتى لو ابتلعهم .
وبينما كانت الظلال تخرج من بين الرماد ، بدأت الخريطة داخل حقيبة أورين تتحرك وحدها ، وترسم دائرة جديدة... واسمًا لم يكن مكتوبًا من قبل... اسم أحدهم .
لم يتحرك أحد .
الظلّ الأول خرج من بين الرماد ، بلا ملامح ، لكن جسده كان بنفس طول كايَن...ونفس طريقة وقوفه .

ليانا ، وهي تحدق فيه ، همست :

"هذا... يشبهك ."

زايل أطلق ضحكة قصيرة ، لكنها بلا روح :

"جميل... حتى الأرض تحفظ وجوهنا ، وتعيدها لنا ككابوس ."

أورين لم يرفع عينيه عن الحجر :

"هذه ليست أشباهنا... هذه نحن ، لو تركنا الطريق يختار ."

الظلال بدأت تتضاعف... واحد يشبه ليانا ، بعيون أكثر سواداً من الليل ، يمسك بخنجر ملطخ بلونٍ لا هو دم ولا هو حبر .

واحد يشبه زايل ، لكن فمه مشقوق إلى الأذن ، يضحك ضحكة ممتدة حتى انكسرت إلى صرخة .

واحد يشبه أورين... لكنه أعمى ، وعلى صدره محفورة الخريطة نفسها ، تنبض ببطء .

زايل ، بخطوة إلى الأمام :

"أعتقد أن هذا الجزء... لم يُكتب على الخريطة ."

كايَن ، وهو يخرج سيفه :

"بل كُتب... لكن بالحبر الذي لا نريد أن نقرأه ."

الأرض اهتزت ، والظلال انقضّت ، ليس بهجوم ، بل كاقترابٍ من مرايا .

كل واحد من الأربعة وجد نفسه أمام نسخته المشوهة .

ليانا أمسكت بخنجرها ، لكنها لم تطعن .

النسخة أمامها قالت بصوتها نفسه :

"كل يد لمستك... كانت تملك سكيناً .

وكنت تبتسمين ."

زايل رَفع فأسه ، لكن النسخة ضحكت :

"كل معركة خضتها... لم تكن لك ، بل لأنك لم تتحمل فكرة أن تموت بلا صوت ."
كايَن صمت ، نسخته اقتربت حتى لامست جبهته :
"كنتَ تحلم أن تكون درعًا... لكنك صرتَ قفصًا ."
أورين أغلق عينيه ، ونسخته قالت :
"المعرفة لم تنقذكَ... بل جعلتكَ أول من يرى الطوفان ، وآخر من يصرخ ."
لحظة واحدة... ثم انفجرت الأصوات .
كأن كل شيء في المكان يريد أن يتكلم دفعة واحدة .
الخريطة على الحجر بدأت تنزف ، خطوطها تتحرك كدودة ، تدور حول الاسم الذي ظهر في المنتصف .
اسم... لم يجرؤ أحد أن ينطقه .
كايَن قال أخيراً ، بصوت يكاد يكون أنينًا :
"هذه ليست خريطة... إنها دعوة ."
أورين ، وهو يتراجع خطوة :
"إلى أين؟"
كايَن :
"إلى حيث الماء لا يعكس وجوهنا... بل يبتلعها ."
الظلال انحسرت فجأة ، كما لو أن المكان اكتفى بأن يريهم ما يكفي .
الخريطة في حقيبة أورين بردت تمامًا... لكنهم جميعًا شعروا أن البرودة انتقلت إلى دمائهم .
ليانا نظرت إلى الثلاثة :
"الخطوة التالية... ستكون تحت الماء ."
زايل ابتسم ابتسامة بلا أسنان :

"إذن... لن نستطيع الصراخ حين نغرق ."

كايَن أعاد سيفه إلى غمده ، لكنه لم يرفع رأسه :

"بل سنصرخ... لكننا سنسمع بعضنا فقط ، ولن نعرف إن كنا ما زلنا نحن ."

وتحرك الأربعة نحو الاتجاه الذي أشارت إليه الخريطة... حيث يبدأ معبد الماء .

الفصل السادس والعشرون

معبد الماء – التجمد الباطني

"الثلج لا يقتل فوراً... لكنه يعرف كيف ينتظر حتى تنسى أنك ما زلت حيًّا ."

لم يكن الطريق إلى معبد الماء طريقًا... بل مجرّد ممر ضبابي بين جدرانٍ من الجليد ، كأنهم يسيرون في حلق حوت ميت منذ قرون .
البرد لم يكن في الهواء فقط ، بل في الدًم نفسه... في الفكرة نفسها عن البقاء .
كان النهر على يسارهم جامداً ، لكن مياهه لا تعكس سوى وجوه غريبة .
وجوههم لم تكن هناك... بل ملامح لأناس آخرين ، بعضهم بلا عيون ، وبعضهم يبتسم بأسنان مكسورة .
زايل تمتم وهو يحدّق :
"هذا... ليس انعكاسنا ."
أورين لم يرفع رأسه :
"الانعكاسات هنا لا تُظهر ما هو... بل ما سينكسر ."
ليانا ضمّت عباءتها حول كتفيها ، لكنها لم تشعر بدفء .
أما كايَن ، فكان يمشي بثباتٍ بارد ، وكأن أي برودة مهما كانت لا تستطيع أن تزيد صقيع صدره .
حين وصلوا إلى نهاية الممر ، وجدوا بابًا ضخمًا من البلور الأزرق ، تجمدت فوقه طبقة من الجليد كالأوردة .
كل وريد ينبض ببطء... وكأنه يضخّ ماءً أسود خلف الباب .
مدّ كايَن يده ، لكن حين لمس السطح ، شعر كأن شيئًا سحب جزءًا من حرارته... ومن ذاكرته .

رأى ، في ومضة ، صورة أخيه وهو يغرق .
صوت الماء يختنق في أذنه ، والهواء يهرب من رئتيه .
أبعد يده بسرعة ، وتنفس بعمق .
زايل لاحظ ذلك :
"رأيتَ شيئًا... أليس كذلك؟"
كايَن بصوت منخفض :
"الماء هنا... لا يبتلع الجسد أولاً ."
الباب انفتح وحده ، وكأن المكان أراد أن يبتلعهم جميعًا دفعة واحدة .
اندفعوا إلى الداخل ، فوجدوا أنفسهم في قاعة هائلة... جدرانها من الماء المجمّد ، تتلوى داخله أشكال بشرية مغمورة .
كانت العيون مفتوحة .
الأفواه تصرخ... لكن لا صوت .
ليانا تجمدت في مكانها ، إحدى الوجوه داخل الجدار كانت تشبهها وهي صغيرة... نفس الشعر ، نفس الخوف في العينين .
زايل مدّ يده نحو الماء المتجمد ، لكن إصبعه كاد يلتصق بالسطح البارد كالموت .
أورين أخرج الخريطة القديمة ، لكن الخطوط عليها بدأت تذوب كأنها مرسومة بالثلج .
وسط الصمت الثقيل ، بدأ صوت خافت يأتي من تحتهم...
همهمة بطيئة ، ثم كلمات ، لكنها كانت بلغات مختلفة ، متقطعة ، وأحيانًا بلغة يعرفونها لكنها مقلوبة... كأن شخصًا يقرأ أحلامهم بالعكس .
الأرض اهتزت قليلاً ، ثم ارتفع عمود من الماء الداكن في منتصف القاعة ، وأخذ شكلاً بشريًا... بلا ملامح ، بلا لون .

الصوت الآن أصبح واضحًا :

"البرد... ليس هنا لتشعروا به .

البرد هنا... ليتذكركم ."

الماء المتجمد على الجدران بدأ يذوب ، لكن بدل أن يسقط ماءً ، سقطت منه أيدي بشرية ، تسحب من تلمسه إلى الداخل .

زايل قاوم يدًا أمسكت معصمه ، لكن حين نظر في وجه صاحبها ، رأى صديقه القديم الذي مات في ساحة المعركة ، وجهه مشوه ، وعيناه تتوسلان أن يسقط معه .

ليانا صرخت حين أمسكتها يد أخرى ، وجه أمها من جديد ، لكن هذه المرة كانت تبتسم .

كايَن شق طريقه بالسيف ، لكن الدم الذي سال من الضربات تحول في الهواء إلى كتل ثلجية سقطت على الأرض كأحجار قبور .

أورين وحده ظلّ واقفًا بلا حركة ، عيناه على العمود المائي الذي بدأ يتغير شكله... حتى صار نسخة منه تمامًا .

الهواء أصبح أثقل ، أنفاسهم صارت ضبابًا كثيفًا أمام وجوههم ، لكن الضباب لم يختفِ... بل التفّ حول رؤوسهم كأنه يحاول خنقهم .

أصوات كثيرة ملأت القاعة ، كلها أصواتهم... لكنها تكرر اعترافات لم يقولوها يومًا .

"كرهتكم جميعًا ."

"تمنيت موتك ."

"أخفيت عنكم ما سينهيكم ."

زايل صرخ :

"اسكتوا!"

لكن صوته خرج مثل همس طفل تائه .

الأرض بدأت تتشقق ، ومن بين الشقوق تصاعد ماء أسود ، كل قطرة فيه كعين تفتح وتنظر .

القاعة بدأت تدور ، ليس المكان فقط... بل الشعور نفسه .

برودة داخلية ، تجمد في القلب قبل الأصابع .

الخريطة في حقيبة أورين تمزقت من تلقاء نفسها ، والقطع المتناثرة التصقت بالجدران المائية ، ورسمت دائرة واحدة... في وسطها اسم واحد .

اسم الشخص الذي سيبقى هنا .

كايَن تقدم خطوة ، لكن العمود المائي التفّ حوله ، وكاد يسحبه تحت البلاط المتجمد .

زايل وليانا اندفعا نحوه ، وأورين رفع يده أخيراً ، لكن بدل أن يمنع الماء... همس له بكلمة لم يسمعها أحد .

الماء الذي كان يلتف حول كايَن أصبح أثقل ، حتى شعر وكأن العظام نفسها تنفصل عن لحمها .

عينيه تلاقتا مع العمود المائي ، وفي تلك اللحظة... رأى نفسه وهو يقتلهم جميعًا .

زايل أمسك بذراع كايَن بقوة ، لكن فجأة شعر بحرارة غريبة في معصمه ، دمه يغلي... ومع كل نبضة ، كان يسمع صوتًا يقول :

"اتركه... واحد فقط يخرج ."

ليانا غرست خنجرها في الجدار المائي ، لكن بدلاً من أن يتمزق ، انفتح مثل فمٍ أسود ، وكاد يبتلع يدها حتى المرفق .

أورين لم يتحرك ، بل تقدم خطوة نحو العمود ، عيناه فارغتان... وكأن كل البرد تجمّع داخله .

الماء في القاعة بدأ يأخذ شكلاً جديداً ، أربعة أعمدة... كل منها يحمل ملامح واحد منهم .
لكن نسخهم المائية لم تكن صامتة ، بل بدأت تتكلم بصوتهم .
نسخة كايَن :
"أخفيت عنهم ما فعلته في الليلة التي مات فيها الجميع ."
نسخة ليانا :
"قتلت من أحبني لأنه أراد أن ينقذني ."
نسخة زايل :
"تركت أخي يموت... لأنني أردت أن أعيش ."
نسخة أورين :
"أنا السبب في أنكم هنا ."
كلماتهم ارتدت في جدران القاعة ، تخترقهم كالسكاكين الباردة .
زايل صرخ وهو يضرب نسخته بسيفه ،لكن السيف اخترق الماء... وعاد مغطى بطبقة من الجليد .
ليانا أطبقت فمها بأسنانها كي لا تنطق ،لكن النسخة كانت تتكلم نيابة عنها .
كايَن... لم يحاول إيقاف صوته ، بل استمع إليه حتى النهاية ، ثم قال :
"هذا صحيح ."
الضوء في القاعة بدأ يختفي ، ليس تدريجياً... بل وكأن أحدهم أغلق عين المكان .
ظلوا واقفين في عتمة مطلقة ، لا يرون سوى العيون المفتوحة داخل الماء حولهم .
أصوات المياه صارت أصوات أنفاس ، قريبة جداً... لكنها ليست بشرية .
ثم... توقف كل شيء .

لا صوت ، لا حركة .

إلا صوت واحد... صوت كسر جليد ، بطيء ، وكأن شيئًا ضخمًا يخرج من داخله .

من تحت القاعة ، ارتفع شكل هائل... لم يكن ماءً ولا جليداً ، بل خليط من الاثنين ، مكوّن من وجوه لا تعدّ ، كلها مفتوحة العينين ، وكلها تنظر إليهم .

المكان كله بدأ يميل نحوه ، وكأن القاعة نفسها تنزلق في فمه .

زايل جذب كايَن بقوة ، ليانا ركضت نحو الباب ، لكن الباب كان قد اختفى... واستبدله جدار أملس ، بارد حتى الألم .

أورين رفع يديه ، وبين أصابعه ظهر ضوء أزرق باهت ، همس بكلمات لم يسمعها أحد منذ قرون ، وفجأة... انفتح شق ضيق .

لم يركضوا... بل سقطوا من الشق ، كأن المكان لفظهم للخارج .

سقطوا على الثلج خارج المعبد ، يتنفسون الهواء البارد وكأنه أكثر حرارة مما حلموا به .

لكن حين نظروا إلى المعبد ، رأوا وجوههم مطبوعة على جدرانه المائية ، تحدق بهم بصمت ، وكأنهم لم يغادروا أبداً .

ليانا نظرت إلى يديها ، فوجدت طبقة رقيقة من الجليد تحت الجلد ، تتحرك مع الدم .

زايل شعر أن قلبه ينبض ببطء شديد ، وكأن جزءاً منه لا يريد الاستيقاظ .

كايَن لمس سيفه ، فوجده بارداً بشكل غير طبيعي ، وعلى نصله انعكاس لوجهه... لكن بملامح غريبة .

أما أورين ، فلم يقل كلمة واحدة .

لكنه كان يبتسم... ابتسامة صغيرة ، لم يرها أحد منهم من قبل .

الفصل السابع والعشرون

ذاكرة الطين – سفر الرؤئ

"بعض الطرق لا تمشي عليها... بل تمشي فيك .
والوحل... ليس في الأرض ، بل في ذاكرتك ."

كانت الأرض تحت أقدامهم رطبة ، لكن كل خطوة تغوص أكثر مما يجب ، كأن الطين لا يريد أن يتركهم يرحلون .
لم تكن هناك غابة ، ولا سهول... فقط مساحة بلا نهاية من الوحل الداكن ، تفوح منه رائحة حادة... خليط بين دم قديم وماء راكد .
زايل ، وهو يسحب قدمه من الحفرة العميقة ، تمتم :
"هذا المكان... يبتلعنا ببطء ."
ليانا ، بعينين ضيقتين :
"كأنه يعرف ثقل ما نحمله ."
كايَن توقف فجأة ، نظر إلى الأمام طويلاً ، ثم قال :
"الأرض تتنفس ."
لم يصدقه أحد ، حتى بدأت فقاعات الطين تنفجر ببطء ، مطلقة بخاراً دافئًا... فيه أصوات ، أصوات ليست طبيعية .
أورين انحنى ، وضع يده على الوحل ، وعندما رفعها... كانت يده مغطاة بطبقة طينية تتحرك وحدها ، تتلوى مثل أفعى صغيرة .
زايل ، بابتسامة مشوهة :
"أظن أن الطين هنا لا يريد أن نغادر... لأنه يعرف أننا سنعود ."

ليانا تجاهلته ، لكنها كانت تشعر بثقل غريب في صدرها ، ثقل يشبه الغرق... لكن في الهواء .
أول ما حدث... كان مع كايَن .
توقف فجأة ، نظر إلى الفراغ ، ثم بدأ يمشي في اتجاه آخر ، كأن شيئًا أمامه يرشده .
زايل أمسكه بقوة :
"إلى أين تذهب؟"
كايَن بصوت مبحوح :
"إلى بيتي... لم أره منذ أن—"
وتوقف .
نظر حوله... لم يكن هناك بيت ، لكن الجميع رأوا انعكاسه في الوحل :
رجل يركع أمام قبر ، ويداه ملطختان بالدم .
ليانا كانت التالية .
الوحل تحت قدميها تحوّل إلى مياه ضحلة ، وفي الماء... وجهٌ تعرفه جيداً ، وجه رجل مات بين يديها .
مد يده نحوها من تحت السطح ، لكنها لم تتحرك ، كانت تعرف أن لمسه... سيجعلها تبقى هنا إلى الأبد .
زايل كان يراقبها بصمت ، ثم ضحك ضحكة صغيرة وقال :
"لا بأس... الطين كريم ، يعطيك ما تريد... قبل أن يأخذك ."
أورين كان مختلفًا .
لم يسقط في رؤيته الخاصة ، بل بدأ يتحدث وكأنه يعرف ما يراه الآخرون .
"كايَن... هذا القبر ليس قبرك .
ليانا... هذا الرجل لم يحبك يومًا .

زايل... الدم على يديك ليس دم أخيك ."

زايل اقترب منه بخطوات بطيئة :

"ومن أين تعرف؟"

أورين ابتسم ابتسامة باهتة :

"لأن هذا الطين... صنعته أنا ."

الكلمات علقت في الهواء .

لم يتحرك أحد... حتى بدأت الأرض من حولهم ترتج .

من تحتهم ، ارتفعت أشكال بشرية مكوّنة من الوحل ، كلها بلا وجوه... لكن بأيد تمتد نحوهم .

ليانا سحبت خنجرها ، زايل رفع سيفه ، كايَن استعد... لكن الأوراق لم تكن لصالحهم .

أورين تراجع خطوة ، وهمس :

"لن نخرج من هنا... حتى نرى كل شيء ."

الوحل بدأ يرتفع أكثر ، حتى صار يصل إلى صدورهم ، والأصوات فيه أصبحت واضحة :

ضحكات ، صرخات ، كلمات مبعثرة من حياتهم الماضية .

زايل صرخ وهو يحاول دفع الطين بعيداً :

"إذا كان هذا سفراً... فإلى أين سنصل؟"

كايَن رد وهو يحدق في الأفق الخاوي :

"إلى أنفسنا... أو إلى ما تبقى منها ."

آخر ما رأوه قبل أن يغطيهم الطين... كانت السماء ، لكنها لم تكن سماءً ، بل عينًا كبيرة ، تغلق عليهم ببطء .

لم يكن هناك فرق بين فتح العينين وإغماضهما .

الظلام كان مطلقًا ، لكن فيه حركة... كأن شيئًا يسبح حولهم ، يلامس وجوههم بأصابع باردة ، ثم يختفي .

لم يكن هناك ماء... ولا هواء .

كانوا يتنفسون الطين نفسه .

كايَن : السيف الذي لم يصدأ

صوت خطوات... في الوحل .

حين فتح كايَن عينيه ، وجد نفسه في قاعة حجرية ، الجدران كلها مشققة ، وعلى كل شقّ... دم مجفف .

في وسط القاعة ، سيفه القديم مغروس في الأرض ، لكن حين اقترب ، وجد أن النصل ليس من المعدن... بل من العظام .

صوت خلفه قال :

"أخذته مني... والآن تعيده لي ."

التفت... فرأى وجهه هو ، لكن بعينين فارغتين وفمٍ مشقوق حتى الأذن .

ليانا : الغرفة التي بلا أبواب

ليانا لم تكن في الطين .

كانت في غرفة صغيرة ، بلا نوافذ ولا أبواب .

على الطاولة أمامها ، صف طويل من الخناجر ، كل واحد منها يحمل نقشًا باسم شخص قتلته .

لكن هناك خنجر واحد بلا اسم .

صوت من الظلام قال :

"هذا لك... اكتبي اسمك عليه ."

مدّت يدها... لكن الخنجر كان ساخنًا ، ساخنًا حتى شعرت أنه ينصهر في جلدها .

زايل : الضحكة الأخيرة

زايل كان في ساحة معركة .

السماء حمراء ، الأرض بحر من الجثث ، وفي وسطها... أخوه ، جالس على عرش من جماجم .

أخوه ابتسم :

"كنتَ تقول إنك ستقتلني قبل أن أصبح وحشًا... لكن انظر الآن ، من منا يبدو وحشًا؟"

زايل أراد الرد ، لكن فمه كان ممتلئاً بالطين .

أورين : الكاتب

أورين كان وحده... جالسًا على مكتب خشبي قديم ، أمامه الخريطة التي قادتهم هنا .

لكن هذه المرة ، لم تكن خطوطها تتحرك... كانت تحترق ببطء .

كلما احترقت نقطة ، شعر بشيء ينتزع من داخله .

صوت أنثوي خلفه همس :

"كتبت نهايتهم... والآن جاء دورك ."

كل واحد منهم ، في مكانه الخاص ، رأى فجأة نفس الشيء :

جدار هائل من الطين ، ينبض كما لو كان قلبًا .

في الجدار ، فجوة صغيرة... ومن داخلها ، يد بشرية تمتد نحوهم .

لم يعرفوا هل هي يد لإنقاذهم... أم لسحبهم أعمق .

شيء ما بدأ يسحبهم إلى الأعلى .

لم تكن قوة خارجية ، بل كأن أجسادهم ترفض البقاء .

أعينهم انفتحت على نفس المشهد :

سطح الطين ، الليل الكثيف ، وأنفاسهم الثقيلة .

لكن لم يقل أحد كلمة .

كان واضحًا أنهم عادوا... بأشياء لم يريدوا أن تعود معهم .

زايل بصوت مبحوح :

"كم... كنا في الأسفل؟"

أورين نظر إليه ، ابتسم ابتسامة باردة :

"لا وقت هناك .

الوقت... هنا فقط ."

الهواء كان باردًا ، لكنهم شعروا بحرارة تزحف من تحت جلودهم .

كأن الطين لم يتركهم ، بل قرر أن يعيش فيهم .

خطوا ببطء ، الأرض تحت أقدامهم لم تعد صلبة كما كانت ، كل خطوة تصدر صوت ارتطامٍ رطب ، كأن الأرض نفسها ما زالت طينًا حيًا .

زايل توقف فجأة .

مد يده إلى عنقه... ثم إلى صدره .

شعر بشيء ينبض داخل أضلاعه ، ليس قلبه .

شيء أبطأ... أعمق .

كاين لاحظ ذلك :

"وجهك شاحب... ماذا هناك؟"

زايل رفع قميصه قليلاً ، وفي منتصف صدره... دوامة صغيرة من الطين تدور ببطء ، كأنها تحفر طريقها نحو قلبه .

ليانا كانت تمشي بصمت ، لكنها بدأت تلتفت حولها وكأن أحدًا يناديها .

"ليانا..."

"عودي..."

"لم تنتهِ بعد..."

التفتت لترى... ولم يكن هناك أحد .

لكن صوتًا ضعيفًا همس في أذنها مباشرة :

"أنا ما زلت فيكِ ."

لم تكن تعرف إنَ كان الطين يتكلم... أم شيء أعمق .

أورين توقف فجأة ، أخرج الخريطة من حقيبته .

كان الورق مبللاً ، لكن ليس بالماء... بل بطين أسود لزج .

الخطوط على الخريطة لم تعد مسارات ، بل كانت الآن أشكالاً بشرية... أربعة أشخاص ، يتحركون ببطء ، بنفس خطواتهم .

زايل نظر إليها :

"هي... تتبعنا؟"

أورين بصوت بارد :

"لا .

هي تتحرك قبلنا ."

حين خرجوا من منطقة الطين ، ظنوا أن الغابة المظلمة ستكون أقل اختناقًا .

لكن خلفهم ، على بعد عشرين خطوة ، كان هناك أشكال بشرية من الطين... تمشي ، وتتوقف إذا توقفوا .

كلما التفت أحدهم ، تجمّدت تلك الأشكال في مكانها ، لكن العيون... بقيت تتحرك .

كايَن شد قبضته على سيفه :

"إن تبعتنا حتى المعبد... سنقتلها ."

ليانا بصوت ميت :

"وأين ستدفن الطين... غير في الطين؟"

قبل أن يصلوا إلى الممر المؤدي لمعبد الماء ، وجدوا صخرة بيضاء كبيرة ، وعليها نقش غامض... كان مبللاً بالطين الجديد .

النقش كان كلمة واحدة... لكن كل واحد منهم قرأها بشكل مختلف :

زايل قرأ اسم أخيه .

ليانا قرأت اسمها .

كايَن قرأ كلمة "الخيانة" .

أورين... لم يقل ما قرأه .

وقفوا أمام مدخل المعبد ، الماء يتساقط من الأعمدة الحجرية مثل دموع ثقيلة ، والظلام في الداخل أعمق من أي كهف رأوه .

وراءهم ، الأشكال الطينية توقفت .

لكنها لم تختفِ .

أورين نظر إلى البَوابة ، ثم إليهم :

"الطين... لن يتركنا .

لكن المعبد... قد يقرر من منا سيبقى حيًا ليحمله ."

ثم دخل أولاً... وتبعه الآخرون ، غير مدركين أن ما تبقى في الداخل... لن يكون ماءً فقط .

الفصل الثامن والعشرون

اعترافات الدم

"الدم لا يعتذر... لكنه يتذكر ."

كانوا قد قضوا ساعات داخل معبد الماء ، لكن الماء هنا لم يكن صافياً... كان داكنًا ، كثيفًا ، كأنه يمتص الضوء بدل أن يعكسه .
كل خطوة تغوص في بركة ضحلة ، تخرج معها فقاعات هواء ثقيلة ، تحمل رائحة حديد صدئ... رائحة دمٍ قديم .
كايَن كان في المقدمة ، وجهه مشدود ، وصوته لا يخرج إلا همسًا :
"هذا المعبد... يعرف أسماءنا ."
زايل من الخلف ، يبتسم ابتسامة باردة :
"إذن سيعرف دمنا حين يسفكه ."
دخلوا قاعة واسعة ، الجدران مغطاة بنقوش مشوهة لأشخاص يقطعون رؤوسهم بأيديهم ، لكن الدم المرسوم لم يكن رسمًا... بل خطوطًا رقيقة من سائل أحمر ما زال رطبًا .
ليانا توقفت ، أصابعها على الجدار :
"هذا الدم... حقيقي ."
أورين نظر إليها دون تعبير :
"ليس دمهم... بل دم من حاول أن يعبر قبلنا ."
زايل ضحك بخفة ، لكن صوته كان مجوفًا :
"إذن لسنا أول من يظن أن الماء ينقّي ."

في وسط القاعة ، بركة ماء عميقة ، سطحها ساكن كالمرآة .
اقترب كايَن أولاً ، نظر فيها... فرأى نفسه ، لكن عيونه سوداء بالكامل ، والدم يسيل من فمه كأنه نزيف لا يتوقف .
زايل نظر بعدها ، فرأى أخاه يبتسم ، ويمد له يده... ثم يضغط على عنقه .
ليانا... رأت يداً نسائية تمسك بها من الداخل ، وجه بلا عينين ، لكنه يضحك .
أورين... لم ينظر .
بل أدار ظهره للبركة .
"المرآة هنا لا تعكسك... بل تعترف عنك ."
صوت الماء بدأ يتغير ، لم يعد خريراً ، بل همسات متشابكة :
أسماءهم ، ذكرياتهم ، جملاً لم يقولوها إلا في عقولهم .
كايَن تجمد ، ثم تمتم :
"هذا الصوت... يعرف ما أخفيه ."
زايل اقترب ، همس في أذنه :
"كلنا نخفي الدم... لكن بعضنا لا يخفي اللذة ."
ليانا أغلقت أذنيها ، لكن الهمس كان في داخلها :
"أنت... تركتيه ينزف حتى مات ."
أورينَ أخفض رأسه ، وقال بهدوء :
"المعبد لا يريد قتلنا... بل يريد أن نتكلم ."
وقف الأربعة في دائرة ، الماء حتى كعوبهم ، والهواء بارد كأنفاس ميت .
كايَن تحدث أولاً ، صوته ثقيل :
"قتلتُ رجلاً كان يثق بي... لم يكن عدوي ، لكنه كان يقف بيني وبين ما أريد ."

زايل ابتسم ، ثم قال :

"أنا تركت أخي في ساحة المعركة... ليس لأنه كان سيموت... بل لأنني أردته أن يموت ."

ليانا أغلقت عينيها ، ثم همست :

"خانتني أمي... لكنني لم أنتظر أن تموت .
أنا من قطعت أنفاسها ."

أورين رفع نظره نحو السقف ، ثم قال :

"أنا لم أقتل أحداً بيدي... لكنني كنت دائمًا... السبب ."

بعد كل اعتراف ، كان الماء من تحتهم يعلو قليلاً ، ويصبح أكثر دفئًا... حتى بدأ يتحول إلى لون أحمر داكن .

البركة في الوسط بدأت تغلي ببطء ، والوجوه التي رأوها في المرآة ، صارت تخرج من السطح ، بلا أجساد .

واحدة منها تمتمت :

"الاعتراف... هو بداية الغرق ."

زايل قبض على سيفه :

"إذن... فلنغرق ."

الماء ارتفع حتى الركبتين ، وأصبح لزجًا... لا يُشبه الماء إلا في البرودة .

كل خطوة تُحدث تموجات صغيرة ، لكن الأصوات التي تتبعها لم تكن صوت حركة... بل شهقات موتى .

كايَن رفع سيفه ببطء ، لكن عينيه كانتا معلقتين على وجه يطفو أمامه .

ذلك الوجه... كان وجهه هو ، قبل عشر سنوات ، قبل أن يلوّثه الدم .

زايل ضحك بصوت خافت ، وهو يلمس سطح الماء بيده :

"إنه دافئ... مثل صدر من طعنته وهو يصرخ ."

ليانا لم ترد... كانت تحدق في وجه أمها ، الذي كان يطفو أمامها بلا جفن ، لكن الشفاه تتحرك ، تكرر نفس الجملة :

"كنت أنت خيانتي ."

أورينَ كانَ الوحيد الذي ظل واقفًا بلا حركة ، يداه خلف ظهره ، وصوته منخفض :

"لا تحاولوا لمسهم... لأنكم إذا فعلتم ، سيلتصقون بكم ."

زايل لم يستمع .

مد يده للإمساك بوجه أخيه الذي ظهر أمامه .

لكن ما إن لامس الجلد البارد ، حتى انفتحت العيون ، وخرجت من الفم يدان طويلتان من الظلام ، التفتا حول عنقه ، وجذبته إلى أسفل الماء .

كايَن قفز نحوه فوراً ، لكن يده لم تلتقط سوى فراغ بارد ، ثم شعر بشيء يمسك ساقه من الأسفل .

الماء انفجر فجأة ، وأشكال بشرية بلا عيون خرجت ، أجسادها ممزقة ، لكن الدم يسيل منها كما لو كانت حية .

كل منها كان يحمل ملامح مألوفة... أشخاص من ماضيهم .

الأرض تحت أقدامهم اختفت... صاروا يطفون ، والماء الآن حتى صدورهم .

كايَن ضربَ بسيفه ، لكن الشفرة مرت خلال أحد الأشباح وكأنها في هواء .

مع ذلك... شعر أن جزءاً من ذاكرته تمزق مع الضربة .

ليانا استخدمت خنجرها ، غرسته في عنق شبحٍ يشبه أختها ، لكن الخنجر خرج مغطى بدمها هي ، لا دمه .

زايل ، بعدما تحرر ، صرخ :

"إنهم لا يموتون... إنهم نحن!"

أورين ، وهو يخط رموزاً على سطح الماء بإصبعه :

"إذن... سنقتل أنفسنا ."

واحد تلو الآخر ، بدأ كل منهم يرى نسخته المظلمة تهاجمه .

كايَن واجه نفسه بلا قلب ، زايل واجه نفسه التي لم تتوقف عن القتل ، ليانا واجهت نفسها التي لم تبكِ بعد الجريمة ، وأورين واجه نفسه التي لم تتكلم أبدًا .

القتال لم يكن صراع سيوف... بل كل ضربة كانت ذكرى تُمحى أو تعود أقوى .

الماء من حولهم صار عاصفًا ، الأشباح تصرخ ، لكن الصوت كان داخل جماجمهم .

أول من انهار كان زايل ، ركع في الماء ، والدم يغلي من أنفه وأذنيه ، يضحك حتى وهو يغرق .

ليانا تبعته ، يداها ترتجفان وهي تحاول شق الماء بسلاحها ، لكن الأصابع الباردة أمسكت قلبها من الداخل .

كايَن كان يصرخ في صمت ، كلما ضرب شبحه ، أحس أن الضربة تصيبه هو .

أورين وحده ظل واقفًا ، ثم قال ببرود :

"المعبد لا يريد دمنا فقط... إنه يريد اعترافنا الأخير ."

في لحظة واحدة ، انسحب كل شبح إلى أسفل الماء ، كأنهم لم يكونوا موجودين قط .

الماء عاد ساكنًا... لكنه كان أحمر بالكامل .

الأربعة وقفوا في صمت ، الأنفاس ثقيلة ، والبرد ينهش العظام .

أورين نظر إلى السقف المظلم ، وقال :

"الدم الذي نعترف به... لا يغادرنا .

لكنه... يمنحنا المرور ."

من بعيد ، انفتح باب حجري ببطء ، وانسكب منه ضوء أزرق باهت ، كأن المعبد يبتسم لهم... قبل أن يبتلعهم من جديد .

الفصل التاسع والعشرون

الساعة الثالثة والعشرون – قبل سقوط الزمن

"حين تدق الساعة الثالثة والعشرون... لا يبقى من الزمن إلا ما يأكلك ."

الباب الذي عبروا منه أغلق خلفهم بلا صوت .
لم يكن ممراً... بل قوساً ضخماً يمتد إلى العدم .
الجدران بلا شكل محدد ، تتحرك ببطء ، كأنها تذوب .
الأرض تحتهم ليست حجراً ولا ماءً... بل مادة شفافة ، ترى من خلالها ظلالاً تتحرك في أعماق لا قرار لها .
كايَن تمتم :
"أشعر أننا نسير على الزمن نفسه..."
زايل ابتسم بخفة قاتمة :
"وإذا انكسر... نسقط إلى أين؟"
أورين ، وعيناه ثابتتان للأمام :
"إلى حيث بدأ كل شيء... وإلى حيث لم يبدأ قط ."
من بعيد ، دوى صوت معدني ثقيل ، ليس كدقات ساعة ، بل كتحطم بوابة ضخمة على مهل .
ومع كل دقة ، كان الضوء في الممر يخفت ، والبرد يزداد حتى صار الهواء نفسه مؤلمًا .
ليانا توقفت فجأة ، وضعت يدها على أذنها :
"أسمع شيئًا..."

زايل :

"ما هو؟"

ليانا :

"خطوات... لكنها ليست خطواتنا ."

التفتوا جميعًا .

في آخر الممر ، كان هناك شكل دائري ضخم ، عقارب ساعة سوداء تتحرك وحدها في الفراغ ، تسير ببطء... لكن كلما رمشوا ، صارت أقرب .

كايَن همس :

"لا تلتفتوا... الزمن لا يطارد إلا من يعترف به ."

زايل ، بابتسامة مستهترة :

"وماذا إن أمسك بنا؟"

أورين ، ببرود قاتل :

"إذن... نتوقف عن الوجود ، لكن نستمر في الشعور ."

مع أول صرخة للعقرب الكبير ، تغير الممر فجأة .

الأرض تحتهم تصدعت ، وظهرت أيدٍ بشرية من المادة الشفافة ، تمسك بأقدامهم وتشدهم للأسفل .

ليانا قطعت يداً بخنجرها ، لكن الدم الذي انفجر منها كان أسود كالزيت ، وسقط على جلدها ، يحترق ببطء .

كايَن رفع سيفه وضرب الأرض ، لكن الضربة ارتدت عليه ، كأن السيف قطع جزءاً من عمره بدلاً من الأرض .

زايل بدأ يضحك ، يركل الأيادي بلا توقف ، لكن عينيه اتسعتا فجأة وهو ينظر للأمام :

"هناك باب... لكنه لا يفتح إلا مرة واحدة!"

أورين :

"وفي المرة التالية... لا يكون بابًا ، بل فمًا ."

الممر صار يضيق بسرعة ، والساعة العملاقة خلفهم صارت تدق بلا توقف ، لكن كل دقة... تمحو لحظة من ذاكرتهم .

ليانا بدأت تبكي وهي تمشي :

"أشعر أنني أنسى ملامح أمي..."

كايَن ، بصوت متشقق :

"انسِ... سيسهُل الموت حينها ."

البابِ أمامهم صار قريبًا .

لكن عند العتبة ، كان يقف هو... رجل بلا وجه ، يرتدي ساعة ضخمة حول عنقه ، عقاربها تخترق جلده وتدور ببطء .

صوته خرج كصوت حجر يسقط في بئر :

"لن تعبروا إلا إذا تركتم آخر ثانية تملكونها ."

زايل تقدم خطوة ، ابتسم :

"خذها... لكنها مسمومة ."

كايَن أمسك ذراع زايل ، همس :

"إذا أعطيناه ما يريد... لن يبقى منا شيء ."

أورين :

"إن لم نعطه... لن يبقى المكان نفسه ."

العقرب الكبير للساعة خلفهم وصل إلى الرقم الأخير... والدقة التالية كانت كفيلة بتمزيق كل شيء حولهم .

كايَن صرخ :

"اركضوا!"

ركضوا جميعًا نحو الباب ، لكن اللحظة الأخيرة قبل عبوره كانت بيضاء بالكامل ، كأن الزمن نفسه محا صورته منها .
وعندما وجدوا أنفسهم في الجهة الأخرى... كانت الساعة قد اختفت ، لكن أصوات دقاتها لا تزال في قلوبهم ، تعدّ حتى شيء... لم يعرفوا اسمه بعد .

الفصل الثلاثون

اعتراف لم يُطلب

"الأسرار ليست تلك التي نخفيها... بل تلك التي نعرف أنها ستقتل شيئًا إذا نُطقَت ."

كان الممر الأخير في معبد الماء أشبه بأمعاء حجرية ملتفّة ، تتنفس من خلال قطرات تتساقط من سقف لا يُرى .
صوت اًلمياه يملأ المكان كوشًوشة لا تنقطع ،لكنها لم تكن مهدئة... بل تُذكِّر بأنّ شيئًا يراقبهم من الأعماق .
الممر انتهى بباب نصف غارق في بحيرة داخلية ، مياهها صافية إلى حد يجعل انعكاس وجوههم أكثر صدقًا من وجوههم الحقيقية .
زايل ، وهو يلمس سطح الماء بأطراف أصابعه :
"باردة... كأنها تحتفظ بآخر نفس لشخص غرق هنا ."
ليانا لم تجبه ، بل كانت تحدّق في انعكاسها ، تنتظر أن يرمش قبلها... لكنه لم يفعل .
أورين كان واقفًا بعيداً ، يقرأ النقوش على الجدران :
دوائر متداخلة ، تتكرر كأنها تُمّثل نبض قلب يتباطأ ببطء .
كايَن ، بصوت منخفض لا يسمعه إلا أورينً :
"هل قرأت ما يكفي لتعرف أين ينتهي هذا الطريق؟"
أورين نظر إليه نظرة جانبية ، ثم قال :
"أعرف... لكنك لن تحب الإجابة ."

حين اقتربوا من الباب الحجري ، وجدوا أنه بلا مقبض ، بلا قفل ، فقط لوح أملس .

لكن على سطحه ، وُضِعَت أربعة تجاويف بحجم راحة اليد .

أورين قال :

"إنه باب اعتراف... لن يفتح إلا إذا أعطيناه ما نرفض أن نُعطيه ."

زايل ضحك ببطء ، لكن نبرته لم تحمل أي فرح :

"ها نحن مجدداً... نخلع جلودنا لنمشي أحياء ."

ليانا سألت :

"وإن لم نُعطِه شيئًا؟"

أورين نظر إلَى المياه خلفهم :

"ستأخذنا البحيرة... قطعة قطعة ."

جلس الأربعة على الحافة الحجرية أمام الباب .

لم يكن أحد مستعداً لأن يكون الأول .

كل منهم يعرف أنّ ما سيقوله لن يكون كلامًا... بل مفاتيح لذكريات كان يجب أن تظل مغلقة .

زايل كان يطرق الأرض بأصابعه ، ليانا كانت تفتح قبضتها وتغلقها كأنها تخنق الهواء ، كايَن يحدّق في الفراغ ، وأورين يراقبهم جميعًا بوجهٍ لا يشي بما يفكر فيه .

ثم قال أورين ، بصوت بالكاد يُسمع :

"لنفتح الباب... واحداً تلو الآخر .

من يبدأ؟"

لكن لم يُجب أحد .

"أحيانًا ، حين نتحدث عن الماضي ، لا نحرره... بل نعيده إلى الحياة ."

اليد الأولى

زايل هو من تحرك أولاً .

وقف أمام الباب ، وضع كفه في التجويف الأيسر .

الباب امتص دفء يده ، ثم انبثق صوتٌ أشبه بفقاعات تنفجر تحت الماء .

زايل أغلق عينيه وقال ، صوته أشبه بضحكة مكسورة :

"كنتُ أظن أنني أنجو إن قتلت أكثر... لكني لم أكن أقتل أعدائي فقط .

قتلت صديقي... أخي... لأنني ظننت أنه يعيقني ."

توقف لحظة ، يبتسم بسخرية قاتلة :

"والحقيقة؟

هو من أنقذني طوال الوقت... وأنا من تركه يموت في الوحل ."

حين أنهى كلماته ، تجويف يده أضاء بلون أحمر داكن ، وشق صغير ظهر في منتصف الباب... ثم توقف .

اليد الثانية

ليانا تقدمت ببطء ، خطواتها ثقيلة كأن الماء ارتفع حول كاحليها .

وضعت يدها في التجويف الثاني ، وشهقت حين شعرت أن شيئًا يزحف من الحجر إلى جلدها .

"لم أقتل أول رجلٍ أحببته... لكنه مات لأنني لم أصرخ .

كنتُ على بعد خطوةٍ... ولم أصنع صوتًا واحداً ."

أخفضت رأسها ، وصوتها يزداد خشونة :

"ظنّوا أنني آلة قتل ، والحقيقة أنني كنت طفلة ، لكن الطفلة تعلمت كيف تسكت حتى لا ينكسر قلبها أمام أحد ."

إضاءة خافتة زرقاء ملأت التجويف ، والشق في الباب امتد أكثر... لكنه لم يُفتح .

اليد الثالثة

كايَن وقف طويلاً أمام التجويف الثالث .

نظر إلى الثلاثة الآخرين ، وكأن النظر إليهم أصعب من الاعتراف نفسه .

"أنا لم أحمِ أحداً... قط .

من أحببتهم ماتوا ، من وثقوا بي خانوا أجسادهم كي يحموني ، وأنا... كنت أنظر ."

اقترب صوته من الهمس :

"أردتُ أن أكون الجدار الذي يحميهم ، لكن الجدران لا تتحرك... وأنا كنت ثابتًا ، حتى حين كان عليّ أن أتحرك ."

حين أخرج يده ، كان الدم يسيل من راحته ، والضوء الأبيض الخافت ملأ التجويف ، والباب بدأ يئن كأنه يستعد للفتح .

اليد الرابعة

أورين لم يتحرك فوراً .

ظل ينظر إلى التجويف الرابع ، ثم وضع كفه ببطء ، وكأن الحجر كان ينتظره بالذات .

"أنا رأيت نهاياتكم... قبل أن تحدث .

كلها .

كل موت ، كل خيانة ، كل صرخة... رأيتها ."

رفع عينيه إليهم :

"وظننت أنني إن صمتُّ ، فإن ما أعرفه لن يتحقق .

لكني كنت مخطئًا... الصمت لم يمنع شيئًا .

فقط جعلني شريكًا ."

حين انتهى ، التجويف أضاء بلون أسود ، والشق في الباب اكتمل ،

لكن بدل أن يُفتح... بدأت المياه خلفهم ترتفع ببطء ، باردة حتى العظم .
"حين تمنح جداراً سرك... لا تنسَ أنه قد يبني به قبرك ."
الماء خلفهم ارتفع حتى غطّى نصف سيقانهم .
كان بارداً لدرجة أن العظم نفسه بدأ يصدر صوت تشقق .
لكن الصقيع لم يكن الألم الوحيد... كان هناك شعور آخر ، أعمق ، كأن الموجات التي تتمايل حولهم تحمل أصواتهم .
زايل التفت فجأة :
"هل... تسمعون ذلك؟"
ليانا ، وهي تحدق في الماء :
"إنه صوتنا... لكن ليس كما قلناه ."
الماء بدأ يغلي ببطء ، وفي وسط الغليان... ارتفعت فقاعات تحمل كلماتهم السابقة .
اعترافاتُهم لم تبقَ اعترافات ، بل صارت جُملاً مشوهة ، محمّلة بسخرية لا إنسانية :
"قتلتَ أخاك لأنك أردت أن تبقى حيًّا ."
"سكتِّ حتى يموت من تحبين ."
"كنتَ جداراً من حجر... ينهار على من احتمى به ."
"عرفت النهاية... وسكوتك صنعها ."
كل جملة كانت تتردد من أكثر من جهة ، حتى بدت وكأنها تخرج من تحت الجلد .
الماء أمامهم انفلق فجأة ، ومن داخله خرجت أجساد شفافة... لكنها ليست بلا ملامح .
كل جسد كان نسخة مشوهة من أحدهم .

وجه زايل المائي يحمل نفس الابتسامة ، لكنها ممتدة حتى الأذن ، بأسنان حادة كزجاج مكسور .
وجه ليانا المائي بلا عينين... لكن فمها مفتوح حتى الحلق .
كايَن المائي أضخم منه بعشرة أضعاف ، وكتفاه تنزفان ماءً أسود .
أما نسخة أورين... فلم تكن تتحرك .
كانت واقفة ، تراقب ، وابتسامتها أوسع من أن تكون بشرية .
الماء بدأ يسحبهم ، لكن ليس إلى الأسفل... بل إلى الأمام ، نحو الباب .
أورين صرخ :"إنه لا يفتح للخروج... إنه يفتح للابتلاع!"
زايل أخرج سيفه ، ضرب الكائن الذي يشبهه ، لكن السيف مرّ من خلاله ، وترك وراءه موجة من البرد اخترقت قلبه .
ليانا حاولت طعن وجهها المائي ، لكن الخنجر التصق بالجلد الشفاف ، وسحب يدها بالكامل إلى الداخل .
كايَن ، بصرخة ممتلئة بالغضب :
"لن أكون جدار قبركم...!"
وقف أمامهم ، موجهاً نفسه نحو التيار ، لكن التيار لم يحاول إسقاطه... بل فتح أمامه طريقاً خاصاً ، كما لو كان يريده أن يدخل أولاً .
اللحظة الأخيرة كانت صامتة .
لا صوت سوى الماء وهو يلتف حولهم مثل آلاف الأذرع .
أجسادهم بدأت تختفي تدريجيًا... أولاً الأقدام ، ثم الأرجل ، ثم الأيدي .
كانت البرودة قد أطفأت أي شعور بالخوف ، لكن في آخر ثانية ، سمعوا همسًا واحدًا ، كأن المعبد نفسه قاله :
"الآن... أنتم جزء من الخريطة ."
وانطفأ الضوء .

الفصل الحادي والثلاثون

درب الغياب

"الغياب ليس فراغًا... إنه شكلٌ آخر للحضور ، لكنك لا تعرف أين يقف ."

لم يستيقظوا على صوت ، ولا على ضوء ، بل على شعور بارد ، كأن أجسادهم وُضعت في قوالب ثلج شفافة ، وأرواحهم تُسحب ببطء عبر ثقوب غير مرئية .
زايل كان أول من فتح عينيه .
لكن ما رآه لم يكن مكانًا يمكن وصفه .
السماء كانت ماءً متجمّدًا ، والأرض لم تكن أرضًا... بل مرآة واسعة تعكس ظلالهم ، لكن الظلال تتحرك قبلهم بثوانٍ .
ليانا ، بصوت مشوش :
"أين... هذا؟"
أورين ، وهو يتفحص المرآة تحت قدميه :
"هذا ليس مكانًا... هذا ما تبقى بعد أن يبتلعك المكان ."
كايَن التفت فجأة ، كأنه سمع نداءً في أعماق رأسه .
"سمعتم...؟"
زايل ، وهو يبتسم ابتسامة باهتة :
"سمعنا ماذا؟"
كايَن ، ببطء :
"اسمي... لكن من فم لا أعرفه ."
الصوت عاد مجددًا ، لكن هذه المرة سمعه الجميع .

كان يخرج من كل الجهات ، كأنه صدى لأشخاص يعرفونهم . . أشخاص رحلوا .
"زايل... لماذا تركتني؟"
"ليانا... كان يمكن أن تختاري البقاء ."
"أورين... أنت من بدأ النهاية ."
"كايَن... لمَ لمْ تقتلني حين كان عليك؟"
كل جملة كانت كحجر يسقط في الماء ، تحدث دوائر ترتد إلى الداخل ، حتى تُصيب القلب مباشرة .
الطريق الذي لا ينتهي
أمامهم ظهر جسر طويل ، لكن الجسر لم يكن مصنوعًا من حجر أو خشب ، بل من نفس المرآة التي يقفون عليها .
وكانت تحته هوّة بلا قاع ، تتقلب فيها صورهم ، مرة أحياء ، ومرة جثثًا غارقة .
ليانا ، وهي تتنفس ببطء :
"إذا عبرناه... ماذا نجد؟"
أورين ، وهو يحدق في الأفق :
"في الغياب... لا يوجد وصول ."
زايل ، بابتسامة خفيفة :
"إذن فلنمشي... حتى نعرف إن كان مخطئًا ."
كلما مشوا ، ابتعدت ظلالهم أكثر ، حتى لم تعد خلفهم... بل أمامهم .
ظلالهم بدأت تتحول ، تُغيّر ملامحها ، وتضحك .
كايَن حاول أن يسرع الخطى للحاق بظله ، لكن الجسر تحت قدميه انكسر فجأة ، لتظهر تحته مياه سوداء ، تصدر صوت تنفس ثقيل .

زايل مدّ يده ليسحب كايَن ،لكن فجأة... يد كايَن نفسها خرجت من المرآة ، وسحبت زايل للأسفل .

ليانا صرخت ،لكن صوتها لم يخرج... بل سقط من فمها على شكل قطرات سوداء ، تدفقت إلى الهوّة .

أورين وحده ظل واقفًا .

لم يتحرك لينقذهم... لم يتحرك حتى ليقترب .

"لا فائدة... الغياب يأخذ من يريد ."

رفع رأسه نحو السماء المائية ، ورأى شيئًا... وجهًا ضخمًا ، بلا ملامح واضحة ، لكن عيناه كانتا كالبحر في عاصفة .

الوجه ابتسم ، وعندها فهم أورين... أن الغياب ليس شيئًا طارئًا ، بل هو المكان الذي كانوا يسيرون نحوه منذ البداية .

لم يكن الماء الأسود تحت الجسر ماءً... بل شيئًا أكثر فظاعة .

سطحه بدأ يتجعد ، ثم تكوّن عليه صور... لكنها لم تكن صورهم الآن .

زايل ، وهو يتدلى نصف جسده داخل الهوّة ، تجمّد .

عينيه اتسعتا كأنهما شهدا نبوءة حتمية .

"هذا... أنا .

لكن... ميت .

ليس في معركة... بل جالس... وحدي... أضحك ، ولا أحد يسمع ."

ليانا زحفت على ركبتيها لتساعده ،لكنها توقفت فجأة .

في الماء أمامها... رأت نفسها .

شعرها أطول ، وجهها أضعف ، وعيناها فارغتان من كل ضوء .

كانت تجلس قرب جدار ، وعلى حضنها سكين مكسور .

تتمتم بلا صوت .

"لا تقتربي... سيأخذك المشهد ."

قال أورين من خلفها ، صوته جاف .

كايَن كان على ركبتيه ، يحدق في انعكاسه .

رأى نفسه على أرض معركة ، لكن لا سيف في يده ، يداه فارغتان... وفمه يهمس باسم لن يقوله أبداً أمامهم .

"إنه يوم موتي..."

همس ، وكأن الجملة خرجت منه منذ سنوات .

الصوت عاد ، لكن هذه المرة كان أقرب... كأنه يخرج من داخل صدورهم ، لا من حولهم .

"لماذا تركتم الطريق يأخذكم؟"

"ألم يكن يمكن أن تختاروا غيره؟"

"كل خطوة مشيتموها كانت نحو هنا... كنتُ أنتظر ."

أورين ، دون أن يرفع عينيه عن المرآة ، قال :

"أعرفك... أنت لست الغياب ، أنت نحن... حين نكفّ عن البحث ."

الوجه الضخم في السماء انحنى أكثر ، حتى صار الماء المجمّد يقطر من أطرافه .

"إذن... توقفوا هنا .

لا يوجد أبعد من هذا ."

زايل ضحك... ضحكة قصيرة ، متكسرة .

"أبعد؟

هناك دائمًا أعمق .

وإذا كان علينا أن نموت ، فلنمُت في أبعد نقطة ، لا عند بابك ."

الجسر بدأ يتشقق تحت أقدامهم .

لم يكن لديهم وقت ليقرروا... لكن العجيب أنهم لم يحاولوا النجاة .

كايَن نظر إلى أورين :
"ستقفز؟"
أورين ردّ :
"لن أسقط... سأعود ."
زايل قال بابتسامة غريبة :
"من يعود... لم يذهب حقًا ."
ليانا أغمضت عينيها ، وكأنها تسلم جسدها لتيار غير موجود .
ثم ، في لحظة... انكسر الجسر بالكامل ، وسقطوا في الماء الأسود .
كان الغياب من الداخل مختلفًا .
لم يكن هناك إحساس بالسقوط... بل شعور بأن أجسادهم تُفرغ من الداخل ، كما تُفرغ جرة من الرمل .
رأوا لحظاتهم كلها ، لكنها معكوسة ، تبدأ من موتهم وترجع ببطء نحو طفولتهم .
زايل كان يصرخ ، لكن صوته يخرج على شكل دخان أبيض ، يندفع بعيداً في الظلام .
ليانا كانت تحاول الإمساك بأي صورة تمر أمامها ، لكن الصور كانت زلقة ، تتفتت في يديها .
كايَن كان يبتسم ، ابتسامة رجل يرى ما كان يخشاه ، ويجد أنه ليس أسوأ مما تخيل .
ثم... توقفت الصور .
وجدوا أنفسهم واقفين مجدداً ، لكن ليس على الجسر .
أمامهم طريق آخر... طريق ضيق ، مغطى بضباب أزرق ، يمتد نحو ضوء بعيد لا يُفسر .

أورين نظر إليهم جميعًا :

"إذا أخذنا هذا الطريق... لن نعود كما نحن ."

زايل ، بابتسامة مشوهة :

"ومن قال إننا نحن بعد الآن؟"

ليانا ، وهي تمسك خنجرها :

"فلنمشِ... قبل أن يقرر الغياب استردادنا ."

لم يقل أَحد كلمة أخرى .

مشوا .

وكان الصمت حولهم هذه المرة أثقل من كل الأصوات السابقة .

الفصل الثاني والثلاثون

حكاية من نسي نفسه

"أسوأ ما قد يحدث لك... أن تمشي الطريق وأنت متأكد أنك أنت... بينما أنت منذ زمن ،لم تعد كذلك ."

الضباب كان يتكاثف كلما ابتعدوا عن درب الغياب .
الأرض تحت أقدامهم لم تعد تصدر صوت الحصى أو العشب ، بل صوتًا ناعمًا... كأنهم يمشون على قماش قديم .
كايَن كان في المقدمة ، يمد يده أمامه ليفرق الضباب ،لكن الضباب كان يعود ليغلق الفراغ كجرحٍ يرفض الانفصال .
زايل قال بصوت منخفض :
"هذا الطريق... لا أراه ،لكنني أعرفه .
لقد مشيته من قبل... أو ربما حلمت بذلك ."
أورين رد ، دون أن يلتفت :
"إذا حلمت به ، فقد كان هو من حلم بك ."
ليانا رفعت حاجبها :
"طريق يحلم بنا؟
هل فقدتم عقولكم؟"
أورين نظر إليها من فوق كتفه :
"ومن قال إن العقل لم يتركنا منذ زمن؟"
بعد مسافة غير محسوبة ، وجدوا على جانب الطريق صفًا من الأحجار المسطحة ، كل حجر محفور عليه اسم .

أورين توقف عند أحدها .

انحنى ، ومرر أصابعه على الحروف المغبرة .

"زايل... تعال وانظر ."

زايل اقترب ، وعيناه اتسعتا ببطء .

على الحجر... كان مكتوبًا اسمه .

لكن تحت الاسم ، تاريخ وفاة... لم يصل بعد .

"هذا لعب أطفال ."

قال ، لكن صوته كان أضعف مما أراد .

كايَن وقف أمام حجر آخر ، قرأه بصمت ، ثم نظر للأفق ، كأنه يرفض أن يرى ما على الصخرة .

ليانا لم تقترب .

كانت تراقب من بعيد ، تحاول ألا ترى ، لكن في قلبها ، عرفت أن اسمها كان هناك أيضًا .

الضباب انفتح قليلاً ، ليكشف جدارًا حجريًا ضخمًا ، عليه نقوش باهتة .

اقتربوا ، وبدأت النقوش تتحرك... كأنها تتنفس .

زايل لمس الحجر ، وفجأة ، خرج صوت همس... ليس من الخارج ، بل من داخله .

"أنت... نسيت .

لكننا لم ننسَ ."

الصوت كان مألوفًا... كأنه صدى نفسه القديمة ، ذلك الرجل الذي كان قبل أن يبتلعه الدم .

ليانا لمست الجدار بدورها ، ورأت في ذهنها صورة فتاة صغيرة تبتسم لها ، ثم تدير ظهرها ، وتذوب في الجدار كما يذوب الملح في الماء .

كايَن لم يلمس الحجر .

كان يراقبهم جميعًا ، وكأنه يعرف أن من يلمسه... لن يخرج كما دخل .

بينما تابعوا السير ، بدأوا يسمعون صوتًا واحدًا يروي قصة .

الصوت لم يكن لرجل أو امرأة... بل خليط من الاثنين ، كأن العالم نفسه يتكلم .

القصة كانت عن أربعة أشخاص ، يمشون نحو مكان لا يعرفونه ، وفي الطريق ، يبدأ كل واحد منهم في نسيان اسمه .

وعندما يصلون ، لا يتبقى منهم سوى ظلال تمشي وحدها .

زايل قاطع الصوت بصراخ :

"كفى!

أعرف هذه الحكاية... وأعرف كيف تنتهي ."

الصوت لم يتوقف ، بل ضحك... ضحكة رقيقة ، كأن أحدهم يضحك من طفل يرفض الاعتراف بخوفه .

"أنت لا تعرف النهاية... لأنك لم تصل بعد ."

وأخيرًا... بدأ الضباب يخفّ قليلاً .

لكن ما ظهر لم يكن مريحًا .

في الأفق ، ارتفع بناء أسود ، لا سقف له ، جدرانه مشققة كأنها جلود محروقة ، وأعمدته تميل ببطء كأنها تتنفس .

أورين وقف ، وأمسك بالخريطة التي لم تعد خريطة ، بل صفحة فارغة .

"هنا... يبدأ النسيان الحقيقي ."

كايَن وضع يده على سيفه :

"إذن... نحن لم ننسَ بعد؟"

أورين نظر إليه طويلاً :

"بل نسيانك بدأ منذ أول خطوة... لكنك لم تلحظه ."

الفصل الثالث والثلاثون

احتراق الرؤيا – سقوط اليقين

"حين تغادر مكانًا... ولا يغادرك ، لا تكن واثقًا أنك حيّ ."

الريح كانت أبرد من كلّ ما شعروا به داخل معبد الماء .
كان الهواء بالخارج أثقل ، وكأنه يحتفظ برطوبة غريبة... رطوبة ليست من المطر ، بل من شيء ظل يتنفس خلفهم .
الممر الحجري المؤدي للخارج كان مظلماً رغم أنهم تركوا وراءهم غرفة مضاءة بالبلّورات .
خطواتهم على الحجر كانت أبطأ من المعتاد ، كأن أجسادهم تجُرّ جراً .
زايل كان أول من التفت للخلف .
لم يكن هناك شيء ، لكنّ العيون التي رأوها في أعماق المعبد بدت وكأنها لا تزال تحدّق .
قال ، بصوت منخفض :
"لا أظن أن الباب انغلق..."
كايَن تابع السير ، لكنه قال دون أن يلتفت :
"الباب لم يكن ليفتح لو لم يُرِد أن نبقى... ومع ذلك ، خرجنا .
هذا يجعلني أشك في كل ما رأيناه ."
ليانا وضعت يدها على جدار الممر ، كأنها تتحسس برودته :
"ربما... لم نخرج فعلاً ."
أورين ، الذي كان آخرهم ، أغلق عينيه لحظة ، ثم همس :
"أحيانًا ، العالم الخارجي ليس إلا الطابق العلوي من الجحيم ."

حين وصلوا إلى فتحة الخروج ، لم يكن هناك ضوء نهار .
كان هناك غيم أسود كثيف ، يمتص أي لون في المكان .
زايل أخذ نفسًا عميقًا ، لكنه سعل بعدها مباشرة .
رائحة المعبد لا تزال تملأ صدره .
"تظنون أننا أخذنا شيئًا معنا؟"
سأل ، وهو يفتح حقيبته .
كايَن نظر إليه بنظرة حادة :
"لا... نحن لم نأخذ شيئًا .
الشيء هو من أخذنا ."
ليانا أخرجت يدها من معطفها ، وأظهرت ندبة صغيرة جديدة على كفها .
"هذه لم تكن هنا قبل أن ندخل ."
أورين لم يتكلم .
كان يراقب أيديهم ، وجوههم ، وحتى ظلّهم على الأرض... كأنه ينتظر أن يرى تغيّرًا لا يجرؤ على قوله .
على بعد أمتار من المخرج ، كان هناك حقل جليدي صغير لم يكن موجودًا من قبل .
في منتصفه ، شعلة زرقاء ، تتحرك ببطء ، وكأنها تتنفس .
زايل اقترب منها ، لكن كايَن أوقفه بذراعه .
"لا تقترب . هذه ليست نارًا لتدفئك... إنها نار لتعرف أنك ما زلت تموت ."
ليانا ، وهي تحدق في اللهب :
"أشعر... وكأن هذه النار تعرف وجهي ."
أورين أخرج الخريطة البالية التي احتفظ بها منذ البداية .

كانت الخطوط على الورق تتقاطع بشكل غريب ، كأن الشعلة الزرقاء كانت مركزها .

"هذه ليست علامة... إنها عين .

والمكان ينظر إلينا ."

صوت خافت انبعث من بعيد ، يشبه تحطّم الزجاج في الماء .

الأرض تحت أقدامهم بدأت تتشقق ، لكن الشقوق لم تسقط . . . بل انفتحت وكأنها جروح ، ومن داخلها تسللت فقاعات هواء باردة .

زايل بصوت مرتجف قليلاً :

"أنا... أسمع شيء ."

كايَن :

"الهواء يهمس بأسماءنا ."

ليانا وضعت يدها على أذنها ، وكأنها تريد إيقاف الصوت :

"ليس فقط أسماؤنا... إنه يكرر آخر كلمة قلناها في المعبد ."

أورين ، وهو يراقب الشرخ يتسع :

"إذن... لم نخرج .

نحن فقط في غرفة أكبر ."

لم تمضِ دقائق على الشرخ الأول حتى بدأ الهواء من حولهم يثقل أكثر .

لم يكنِ ثقلاً عاديًا... بل ثِقل يشبه شعور الغرق ، لكن بلا ماء .

السماء فوَقهم صارت أقربَ ، كأنها تهبط ببطء ، والغيوم السوداء تلتف على بعضها ، تتقلّص الدائرة التي يرونها فوق رؤوسهم .

ليانا وضعت يدها على عنقها فجأة ، وقالت :

"أشعر... وكأن قلبي يغوص ."

زايل ضحك ، ضحكة قصيرة ومختنقة :

"إنه لا يغوص... إنه يُسحب ."

كايَن كان يراقب الأرض ، والشقوق التي فتحت سابقًا صارت تخرج منها خيوط شفافة تشبه الماء ، لكنها تتحرك كأفاعٍ صغيرة ، تبحث عن أقدامهم .

أورين بصوت منخفض :

"لا تدعوه يلمسكم... هذه ليست مياهًا ، بل ذاكرة المكان ."

مع كل خطوة ، بدأوا يرون انعكاسهم على الأرض .

لكن لم يكن انعكاساً لحاضرهم ، بل لوجوههم في لحظات مختلفة من حياتهم... لحظات لم يودّ أحدهم أن يراها مرة أخرى .

ليانا رأت نفسها في ذلك اليوم الذي غادرت فيه مدينتها ، وظهرها ملطخ بدم شخص لم تنظر إلى وجهه أبدًا .

زايل رأى أخاه يبتسم ، ابتسامة مكسورة ، قبل أن يسقط على ركبتيه... وهو يعرف أنه لم يلحق به .

كايَن رأى ليلة معينة ، كانت فيها يداه مغطاتين بدماء شخص لم يستحق القتل... لكنه قتله على أي حال .

أورين... رأى شيئًا ، لكنه أغلق عينيه سريعًا ، وكأن النظر ثانية واحدة كفيل بأن يقتله .

قال كايَن فجأة ، بنبرة منخفضة :

"هذه ليست انعكاسات... إنها محاكمات ."

الشعلة الزرقاء التي تركوها خلفهم لم تبقَ خلفهم .

حين استداروا فجأة ، كانت هناك ، تقف على بعد خطوات قليلة ، تتنفس ببطء ، وتتحرك معهم كلما تحركوا .

زايل ، بابتسامة عصبية :

"أخبروني أننا جميعًا نراها ."

ليانا ، وهي تحدق فيها :
"إن كانت حقيقية... فهي تعرف أننا خرجنا من المكان الذي لا يريدنا أن نخرج منه ."
أورين :
"لا ، هي ليست هنا لتمنعنا... بل لتتأكد أننا سنعود ."
الريح انقطعت فجأة .
لم يعد هناك صوت ، سوى أصوات أنفاسهم ، حتى هذه بدت غريبة... كأنها لا تخرج من صدورهم ، بل من خارج أجسادهم .
كايَن توقف في مكانه ، ثم نظر إلى الثلاثة الآخرين :
"أريدكم أن تتذكروا شيئًا... ربما لا نكون نحن من خرج ."
زايل تقدم خطوة ، ثم توقف ، وقال :
"أنت تقصد..."
كايَن ، وهو يثبت نظره على الشعلة :
"أقصد أن المكان قد يكون هو من خرج معنا ."
عندها... اهتزت الأرض بقوة ، والشقوق اتسعت ، واندفع منها ماء أسود كالحبر ، ارتفع حتى غمر أقدامهم .
الماء كان بارداً لدرجة الألم ، ومع كل موجة صغيرة ، كانوا يسمعون كلمات ، جملاً مقتطعة ، كأنها صدى لذكريات لم يعيشوها بعد .
أورين همس :
"المرحلة التالية بدأت ."
الماء الأسود لم يتوقف عند أقدامهم... بدأ يرتفع ببطء ، لكنه لم يبلل ثيابهم .
كان يخترقهم كما يخترق الضوء الزجاج ، يدخل عظامهم دون أن يترك أثراً خارجياً .

ليانا شهقت فجأة ، وضعت يديها على رأسها :
"أسمع أصواتًا... أصوات لا أعرفها... لكنها تعرفني ."
زايل انحنى قليلاً ، وكأنه يحاول أن يمنع شيئًا من الخروج من صدره ، وقال من بين أسنانه :
"إنه يفتح الأبواب... الأبواب التي لم نرِد أن تُفتح أبدًا ."
كايَن كان يتنفس ببطء ، وكأن أي نفس زائد سيُغرقه :
"تمسكوا... المكان يحاول أن يستبدلكم بأنفسكم ."
الغابة من حولهم اختفت... حل محلها فراغ رمادي يتماوج كالدخان .
وسط هذا الفراغ ، بدأت تظهر وجوه... ليست واضحة تمامًا ، لكنها مألوفة على نحو مؤلم .
أم ، أخ ، حبيب ، عدو... وجوه تنظر بلا رمش ، تبتسم أحيانًا ، وتصرخ أحيانًا ، وأحيانًا تتحرك شفاهها بكلمات لا يسمعونها .
ليانا ، وهي تحدق في وجه من أمامها :
"أعرفك... لكنك ميت ."
الصوت رد عليها من داخل رأسها ، لا من فم الوجه :
"أنا لست ميتًا... أنتِ التي لم تستيقظ بعد ."
زايل انفجر بضحكة مريرة ، لكنه لم يرفع رأسه :
"حتى وجوههم تتكلم مثلنا... كذب ، كله كذب ."
بين الضباب الرمادي ، ظهرت بوابة... ليست من حجر أو خشب ، بل من ماء داكن ، يتحرك ببطء ، وكأنه يتنفس .
فوقها ، رموز تتغير في كل ثانية ، لا تثبت على كلمة واحدة .
أورين مشى نحوها بخطوات محسوبة :
"هذه... ليست مخرجًا ."

كايَن :

"بل بداية أخرى ."

ليانا بصوت متردد :

"إلى أين تقود؟"

أورين ابتسم ابتسامة باهتة :

"إلى ما بعد الظل ."

زايل ، وهو يضع يده على مقبض سيفه :

"إذن... إما أن ندخلها ، أو نبقى هنا حتى نتفتت ."

قبل أن يخطو أحدهم ، بدأ الضباب من خلفهم يشتد ، كأنه جدار ماء قادم من بعيد ، يطوي الفراغ الرمادي ويبتلعه .

الشعلة الزرقاء التي تبعتهم طوال الطريق وقفت أمام البوابة ، وكأنها حارس .

أورين قال بهدوء مخيف :

"إن عبرنا... سنترك خلفنا شيئًا لن نسترده أبدًا ."

كايَن نظر إلى الثلاثة الآخرين ، ثم إلى البوابة ، وقال :

"لقد فقدناه بالفعل ."

وبلا كلمة أخرى... دخلوا .

آخر ما رأوه قبل أن يغمرهم الماء الداكن ، كان الظلال خلفهم تتحرك بسرعة ، وكأنها تركض للحاق بهم... لكن في اللحظة التي لامسوا فيها العتبة ، انطفأت الشعلة الزرقاء .

الفصل الرابع والثلاثون

الميثاق الملعون – توقيع من نزف

"الميثاق ليس ورقة... بل يدٌ لا تفلتك حتى وإن أردتَ أن تُفلتها ."

كانوا قد خرجوا من الغابة المائية التي تحيط بمعبد الماء ، والليل خلفهم يبدو وكأنه فقد صبره .
الأرض تحت أقدامهم ليست سوى تربة رمادية ، تتنفس بخاراً بارداً ، والهواء مُثقل برائحة معدنية تشبه الدم الذي مضى عليه زمن طويل .
كايَن كان يمشي في المقدمة ، خطواته متوترة ، يده ملامسة لقبضة سيفه ، كأنه يستعد لشيء لا يعرف شكله بعد .
زايل ، من خلفه ، ألقى نظرة سريعة نحو ليانا وأورين ، وقال بصوت خافت :
"أنتم تشعرون بذلك ، أليس كذلك؟
الأرض تنظر إلينا ."
أورين لم يرد فوراً ، لكن عينيه الضيقتين تابعتا حركة الضباب المتمايل بين الصخور .
أما ليانا ، فرفعت رأسها نحو السماء الداكنة :
"إنها نفس السماء التي فوق المعبد... لكنها تبدو وكأنها تنحني نحونا ."
لم يكن هناك ريح... ومع ذلك ، الأوراق اليابسة على الأرض كانت تتحرك ، تقترب منهم ثم تتراجع ، كما لو كانت تزنهم بعينٍ لا يملكون القدرة على رؤيتها .
على بعد عشر خطوات من حيث وقفوا ، ظهر حجر أسود ضخم ، نصفه مدفون في الأرض .

سطحه أملس ،لكن في وسطه كانت هناك شقوق دقيقة متداخلة ، تتوهج بخيط أحمر خافت .

اقترب كايَن ، انحنى ليتفحص النقوش .

زايل ، بوجه جاد على غير عادته :

"لا تلمسه ."

لكن كايَن كان قد مد يده بالفعل ، وأطراف أصابعه لامست الحجر .

الوهج الأحمر انتشر فجأة ، وكأن الحجر أخذ نفسًا عميقًا بعد نوم طويل .

ليانا ، بصوت منخفض :

"هذه ليست نقوش... هذه أوتار ."

أورين اقترب خطوة ، نظر إلى العلامات وقال :

"إنه ميثاق .

وأظن أننا لم نأتِ هنا لنقرأه... بل لنوقّعه ."

لم تصدر أي أصوات ، ومع ذلك ، شعر الأربعة بالكلمات تتسرب إلى داخلهم ، لا تُسمع بالأذن بل بالعظام :

"كلكم بلا طريق .

كلكم تحاولون الوصول... ولا تعرفون أنكم وُقّعتم منذ أول خطوة ."

زايل بصوت متحشرج ، وهو ينظر حوله :

"من الذي يتكلم؟"

"أنا المسافة بينكم وبين سقوطكم .

أنا الطريق الذي لا يمكن تجاوزه إلا إذا كنتَ مستعداً لتترك شيئًا لا يعود ."

ليانا أمسكت بمعصمها ، كأن يداً باردة شدتها من الداخل :

"وماذا يريد الميثاق؟"

"قطرة... من الدم الذي لا تنساه روحك ."

كان الحجر ينتظر .

لم يكن هناك وقت محدد ، ولا عدّ تنازلي ، لكن الشعور بالمهلة التي تتآكل داخل أرواحهم كان يزداد ثقلاً... كما لو أن الميثاق يعرف أن الصمت أداة ضغط أقسى من الصراخ .

كايَن كان أول من تحرك .

أخرج خنجراً صغيراً من حزامه ، ثم قال دون أن ينظر إلى أحد :

"إذا كان الدم هو الثمن... فأنا لا أتهرب من ديوني ."

جرح راحة يده ببطء ، حتى سال الدم وتقطر على الحجر .

لكن ما سال لم يكن أحمر تمامًا... كان داكنًا ، متخثرًا ، كأنه يحمل ظلال سنوات لم تُغفر .

الوهج الأحمر في الشقوق ارتفع لحظة ، كأنه يستنشق ، ثم انطفأ قليلاً... وكأنه اكتفى بنصف الوجبة فقط .

زايل ابتسم بخفة مظلمة :

"جشع... حتى وهو حجر"

ليانا تقدمت .

لكنها لم تجرح كفها ، بل سحبت الخنجر نحو أسفل ساعدها ، تاركة خطًا طويلاً من الدم الحار .

دمها كان أفتح ، لكن رائحته قوية ، تملأ الهواء بما يشبه العطر المالح للدموع القديمة .

حين لمس الحجر ، ترددت اهتزازة قصيرة في الأرض... وشعرت هي بوخز يرتفع من معصمها إلى قلبها ، كأن شيئًا ما أخذ نسخة من نبضها وخبأه داخله .

أورين وقف طويلاً أمام الحجر .

يده لم تتحرك ، لكنه بدأ يتمتم بكلمات بطيئة ، أشبه بنشيد مقلوب .

ثم فجأة ، بدأ الدم يخرج من عينه اليمنى ، قطرة بعد أخرى ، حتى سقط على الحجر .
زايل ، وهو يحدق :
"دم العين...؟"
أورين بصوت مبحوح :
"إنه أوفى من دم اليد ."
وأخيراً... زايل .
لم يقترب فوراً ، بل جلس على ركبتيه أمام الحجر وأخذ يضحك بخفوت :
"دم لا تنساه الروح... أعرف جيداً ما يعنيه ."
ثم فتح فمه ببطء ، وعض على لسانه حتى انكسرت ذرات الدم في أسنانه ، وسالت على ذقنه ، تساقطت على الحجر كنقاط من غضب حيّ .
الوهج هذه المرة اشتعل حتى غطّى السطح كله ، وبدأ الحجر يئن... نعم ، أنين ، لا يشبه صوت الصخور بل صوتاً بشرياً غارقاً في الألم .
فجأة ، من بين الشقوق ، خرج خيط من الظلام السائل ، التفّ في الهواء ، ثم بدأ يتشكل إلى هيئة طويلة ، بلا وجه ، لكن لها حدود جسد بشري .
الصوت الذي سمعوه سابقاً صار الآن أوضح ، وأكثر قسوة :
"الميثاق وُقّع .
الطريق لن يعود كما كان .
أنتم الآن... ملك الدائرة ."
مد الكيان يده ، وبدأ الظلام ينتشر تحت أقدامهم كبحيرة تنمو بسرعة .
حاول كايَن أن يرفع سيفه ، لكن الأرض تحته انهارت ، وسقط الأربعة دفعة واحدة في السواد ، بينما الغابة والحجر وكل ما كان حولهم يتلاشى بعيداً .
حين توقفوا عن السقوط ، وجدوا أنفسهم في أرض غريبة .

سماء بيضاء باهتة ، بلا شمس ، وأرض من طين أسود يمتد بلا نهاية ، تتصاعد منه فقاعات بطيئة كأنها أنفاس شيء مدفون تحته .

ليانا ، وهي تنظر حولها :

"أين... نحن؟"

أورين أغلق عينيه للحظة ، ثم قال :

"لسنا بعيدين عن المعبد... لكننا أيضًا لسنا قريبين ."

زايل مد يده نحو الفقاعات ، ضحك بصوت منخفض :

"جميل... يبدو أن الطريق إلى الظلال لن يكون جافًا ."

والكيان ، الذي أصبح الآن بعيداً كظل يذوب في الأفق ، قال بصوت يتلاشى :

"سيروا... أو دعوا الطين يتذكركم ."

الفصل الخامس والثلاثون

كاهنة الرماد – رسالة من أول ختم

"ليست كل الرسائل تُقرأ بالحبر... بعضها يُكتب على قلوبنا بالنار ، ويُترك ليمحو كل ما كان قبلها ."

لم يكن هناك زمن بين اللحظة التي حدّق فيها الكيان الغريب فيهم ، واللحظة التي شعروا فيها بأن الأرض انزلقت من تحت أقدامهم .
هواء كثيف كالماء اجتاح رئاتهم ، أصوات بعيدة ، كأنها تأتي من بطن جبل ، وإحساس بالانكماش... ليس أجسادهم فقط ، بل أفكارهم أيضًا .
زايل حاول أن يصرخ ، لكن فمه لم يتحرك .
ليانا شعرت بيد غير مرئية تجرّها إلى الخلف ، رغم أن جسدها يتقدم .
أورين أغلق عينيه ، وكأن ذلك قد يحميه من مشهد لم يُخلق بعد .
أما كايَن... فقد ظل ثابت الملامح ، وكأنه يعرف أن المقاومة بلا معنى .
ثم... سقطوا .
حين فتحوا أعينهم ، وجدوا أنفسهم في أرض رمادية بالكامل .
لا سماء ، ولا أفق ، بل ضباب ثقيل يغطي كل شيء .
الأرض تحتهم كانت من رماد بارد ، كل خطوة تترك أثرًا عميقًا يختفي بعد ثوان ، كأن المكان يرفض أن يتذكر أنهم مرّوا من هنا .
زايلٍ تمتم :
"هل... نحن أموات؟"
أجابه أورين بصوت خافت :
"لو كنا أمواتًا ، لما شعرنا بهذا البرد... الموت لا يحتاج أن يذكرك بأنك حي ."

ليانا التفتت حولها ، وبصوت حذر قالت :

"شخص ما... أو شيء ما... يراقبنا ."

في البداية ، كانت مجرد خيالات تتحرك في الضباب .

ثم ، بدأت أصوات خافتة... همسات قريبة من الأذن ، لكنها لا تأتي من جهة واحدة .

"ارجعوا ."

"لن تصلوا ."

"الختم لا يُكسر... إلا بدمكم ."

كايَن توقف فجأة ، نظر إلى الضباب ، وكأنه يحاول أن يراه رغم استحالته :

"أعرف هذا الصوت... لكنه ليس من الماضي .

إنه من مكان... لم أزره بعد ."

زايل ابتسم ابتسامة مريرة :

"إذا كان هذا ترحيبهم ، فكيف ستكون وداعتهم؟"

من بين الضباب ، بدأت ملامح تتضح .

شخصية طويلة ، ملتفة بعباءة سوداء متفحمة ، وجهها مغطى بقناع من الطين المتشقق ، وعيناها... جمرتان مطفأتان .

لم تمشِ ، بل انزلقت فوق الرماد حتى صارت أمامهم .

قالت بصوت كصوت النار حين تموت :

"أنتم الأربعة... من سيكسر أول ختم .

لكن كل ختم... يطلب قلبًا ليحترق ."

ليانا تقدمت خطوة :

"وماذا لو رفضنا؟"

ابتسمت الكاهنة ، وكانت ابتسامتها كسقوط جدار قديم :

"الختم... سيختار من يحترق ، حتى لو لم تمدوا أيديكم ."

مدّت الكاهنة يدها ، وفي راحة يدها ورقة من رماد متماسك ، كتبت عليها حروف حمراء ، كأنها محفورة في اللحم قبل أن تُطبع على الورقة .

أعطتها إلى أورين .

"اقرأ... قبل أن يتفتت كل شيء ."

أورين فتحها ببطء ، وعيناه تتسعان مع كل كلمة .

ثم قال بصوت منخفض ، كأنه يقرأ نبوءة من فم الموت نفسه :

"من يدخل معبد الظلال... لن يخرج... إلا إذا ترك وراءه اسمه ."

ما إن انتهى أورين من قراءة الكلمات ، حتى اهتز الرماد من تحت أقدامهم .

صوت أشبه بطَرق ثقيل تحت الأرض ، ثم بدأ الضباب يتراجع . . . لا ليكشف ، بل ليبتلع .

زايل قفز للخلف ، وهو يصرخ :

"الأرض تتحرك!"

ليانا أمسكت بسيفها ، لكنها لم تجد ما تقاتله .

كايَن ثبت قدميه ، وصوته منخفض لكنه حاد :

"ليست الأرض التي تتحرك... نحن الذين نسقط ."

وفعلاً... كان الرماد يتساقط تحتهم في دوامات ، تبتلع آثارهم قبل أن يتركوا الخطوة التالية .

وسط الفوضى ، الكاهنة بدأت تنزلق مبتعدة ، حركتها أبطأ من أن تهرب ، لكن أسرع من أن تلحقها بسهولة .

أورين صاح :

"لا تدعوها تختفي! هي الوحيدة التي تعرف ما ينتظرنا ."

انطلقوا خلفها ، كل خطوة لهم كانت تُطلق سحبًا من الرماد ، كأنهم يركضون فوق بحر من الغبار الميت .

زايل ، وهو يلهث :

"كأنها... تقودنا إلى فخ ."

أورين لم يرد .

ليانا قالت وهي تركض :

"كل الطرق تؤدي إلى فخ... لكن بعضها فقط يمنحك فرصة للخروج ."

فجأة توقفت الكاهنة ، وأشارت بإصبعها إلى الرماد أمامهم .

الأرض تحولت إلى مرآة من طين أسود ، وصارت تعكس وجوههم... لكن الوجوه لم تكن كما هي الآن .

كايَن رأى نفسه محاطًا بجثث رفاقه ، ويده تقبض على سيف غارق في دم ليس غريبًا عنه .

ليانا رأت خناجرها تخترق صدر من تحبه ، وعيناه تملؤها بالخيانة قبل أن تنطفئ .

زايل رأى نفسه وحيداً في ساحة معركة ، صرخاته لا يسمعها أحد ، والسماء تمطر رماداً من عظام إخوته .

أورين... لم يصف ما رأى .

لكنه انحنى وأغلق المرآة بيده ، فتحول الطين إلى رماد مرة أخرى .

الكاهنة تكلمت أخيراً :

"أول ختم لن ينفتح إلا إذا عرف أحدكم... من سيحترق أولاً ."

زايل بصوت غاضب :

"لن نحترق لأي ختم!"

ابتسمت الكاهنة ، ثم همست :

"إذن... سيختار الختم ."

ومع كلماتها ، بدأ الرماد يتشكل من جديد ، يصعد من الأرض ليأخذ شكل يد عملاقة ، أصابعها تمتد نحوهم ، تحاول الإمساك بأحدهم .

كايَن صاح :

"تحرّكوا!"

انطلق الأربعة في اتجاه الضباب ، لكن الضباب لم يكن انسحابًا... بل جدارًا من برد خانق ، يتكاثف أمامهم ليغلق المسار .

أصابع اليد العملاقة المصنوعة من الرماد كانت تجرّ نفسها على الأرض بصوت احتكاك جاف ، كل حركة منها تترك شقوقًا عميقة كأنها تُقسم الأرض إلى نصفين .

زايل اندفع أولاً ، قفز فوق شقٍ متسع ، وسيفه يجرّ أثرًا من الشرر ، وهو يصرخ :

"لن أكون الأول!"

لكن الأصابع لحقت بظله ، كادت تلتف حول ساقه ، لولا أن كايَن جذب ذراعه في اللحظة الأخيرة ، دافعًا إيّاه نحو الأمام .

ليانا انزلقت تحت الغبار ، ضربت بقبضة خنجرها قاعدة اليد ، فتناثرت قطع الرماد مثل شظايا زجاج أسود ، لكن هذه القطع نفسها بدأت تتحول إلى كائنات صغيرة ، تلتف حول أقدامهم لتبطئ حركتهم .

أورين ، وهو يلهث ، مد يده نحو الهواء وكأنه يمسك بخيط غير مرئي ، ثم مزقه فجأة... فاهتزت الأرض تحت اليد العملاقة ، وتراجعت نصف خطوة ، كأنها شعرت لأول مرة بالخوف من شيء لا تراه .

لكن الكاهنة... كانت تبتسم من بعيد .

لم تهرب .

لم تختفِ .

بل رفعت يدها ، وأغلقت قبضتها... فارتفع الرماد كله من حولهم في دوامة عظيمة ، حجبت الغابة ، حجبت السماء ، حجبت حتى أجسادهم عن أعين بعضهم .

آخر ما سمعوه كان صوتها ، يتردد في أعماقهم لا في آذانهم :

"الختم الأول... اختار ."

ثم اختفى كل شيء .

الضوء ، الأرض ، وحتى إحساسهم بأجسادهم .

لم يبقَ سوى ظلمة باردة... وبداخلها ، شعور مرعب بأنهم لم يعودوا أربعة .

بل أقل

الفصل السادس والثلاثون

غبار الكلمات التي ماتت

"حين تموت الكلمة ، لا تصمت... بل تتحول إلى غبار ، يغزو فمك حتى لا تعرف أيّها خرج منك ، وأيّها دخل إليك ."

كان أول ما شعر به كايَن... هو الصوت .
ليس صوتًا من الخارج ، بل من داخله ، كأن عظامه تتنفس ، وكل مفصل يهمس بما لم يُقل يومًا .
فتح عينيه فلم يجد ظلامًا... بل فضاءً رماديًا متحركًا ، وكأن الغبار نفسه صار هواءً .
لم يكن هناك أرض... ومع ذلك ، كان واقفًا .
لم يكن هناك جدران... ومع ذلك ، كان محاصراً .
تذكّر الرماد... تذكّر اليد العملاقة... والكاهنة .
لكن البقية؟ أين ذهبوا؟
"زايل؟"
لم يأتِ أي جواب ، إلا تردد صوته نفسه في الغبار... لكن الصدى لم يكرر الكلمةَ ، بل حوّرها .
صار الصدى يهمس :
"قابلتَ نهايته ."
شعر بوخز في أصابعه ، نظر إليها... ورأى أن الغبار بدأ يلتصق بجلده ، يصنع طبقة رقيقة ، تكتب حروفًا بلون أسود على ساعده .
حروف لم يعرف معناها... لكنها بدت مألوفة بشكل مزعج .

زايل أفاق وهو جالس على ما بدا أنه سطح هائل من العظام المكسورة .
الغبار هنا كان أثقل ، يهبط مثل المطر ، لكن كل ذرة منه تحمل شكلاً صغيراً من كلمة... كلمة واحدة فقط .
كانت الكلمة "خيانة" .
كلما لمست كلمة من هذه الكلمات جلده ، شعر بحرقة ، وكأنها تحاول الدخول في جلده لا عبر أذنه .
"جميل..." قال لنفسه بابتسامة ميتة .
"حتى هنا ، ما زالوا يعرفون كيف يكتبون نهايتي ."
حاول أن يقف ، لكن العظام تحركت من تحته ، كأن السطح نفسه لا يريد السماح له بالرحيل .
وفجأة ، من بين الغبار ، ظهر ظل طويل... ظل يشبهه ، لكن بلا وجه .
"من أنت؟"
أجاب الظل بصوت زايل نفسه :
"أنا الجملة التي لم تنطق بها حين كان عليك أن تقولها ."
ليانا لم تستيقظ وهي واقفة... بل وهي معلقة في منتصف الفراغ ، خيوط سوداء مشدودة من أطراف أصابعها إلى سقف غير مرئي .
الغبار حولها كان يتجمع في أشكال ألسنة بشرية ، تتحرك وتلتصق ببعضها ، وتهمس بلغات لا تعرفها ، لكنها تشعر بأنها تعرف معناها تماماً .
كل همسة كانت تحكي سراً من أسرارها... لكنها لم تقلها لأحد .
أسراراً مدفونة لسنوات ، حتى عن نفسها .
حاولت الصراخ ، لكن خيطاً أسوداً خرج من حلقها ، صاعداً إلى الأعلى ، مشدوداً لشيء في الظلام .
"أعيدوا لي صوتي!"

صرخت بعينيها ، إذ فمها لم يتحرك .
ردّ عليها أحد الألسنة :
"صوتك ما زال هنا... لكننا لن نعيده حتى تقولي ما لا تريدين قوله ."
أورين استيقظ جالساً على طاولة طويلة بلا نهاية .
أمامه أكوام من الكتب ، لكن كل صفحة كانت فارغة... إلا من ذرة غبار واحدة في منتصفها .
مد إصبعه ليمسحها... فانفجرت الصفحة بصرخة مكتومة ، وظهرت عليها عبارة واحدة :
"أنت لست أنت ."
رفع عينيه ، فرأى أن كل الكتب بدأت تفتح صفحاتها وحدها ، والغبار يتطاير منها ليملأ الغرفة .
كل ذرة غبار كانت جملة ناقصة... جملة تنتظر أن يكملها .
لكن المشكلة؟
كل الجمل كانت تبدأ باسمه .
كان الغبار يزداد كثافة ، حتى صار كل نفس يدخل صدورهم ثقيلاً مثل بلع الحجر .
لكن الغريب... أنهم بدؤوا يسمعون أصوات بعضهم البعض ، لا من حولهم ، بل من داخل رؤوسهم ، وكأن المكان ربط أفكارهم بخيط واحد .
صوت ليانا في عقل كايَن :
"إنه يختبرنا... المكان يطلب منا أن نعترف ."
صوت زايل في عقل أورين :
"لن أقول شيئًا .
إن خرجت من هنا ، سأخرج بكلماتي معي ."

صوت كايَن في عقل الجميع :

"إن لم نتكلم... سنبقى هنا إلى الأبد ."

لكن حين نطق كايَن بجملته ، تغيّر لون الغبار حوله من الرمادي إلى الأحمر الداكن .

الأرض الرمادية تحته بدأت تتشقق ، وظهرت عيون ميتة تنظر إليه من الأعماق .

زايل كان أول من انهار .

وقف في وسط العظام التي تتحرك ، يحدّق في ظله بلا وجه ، وقال بصوت مشقق :

"أنا... تركته يموت .

أخي... تركته في الميدان لأعيش .

لم أعد إلى الوراء... لم أنظر حتى إلى جسده ."

مع هذه الكلمات ، ارتجّ سطح العظام ، وتحوّل جزء منه إلى رماد طائر ، طار إلى الأعلى واختفى في الغيم .

ظل زايل تراجع للخلف ، ملامحه بدأت تظهر لأول مرة... لكن وجهه كان مغطى بالرماد بدل الجلد .

كايَن كان يضغط على قبضته حتى نزف جلده ، والغبار يتجمع على دمه مثل حبر أسود .

رفع رأسه ، وصوته خرج كهدير مكتوم :

"قتلتُ من وثق بي .

لم يكن يريد القتال... لكنني جررته ، ثم طعنته بيدي حين تردّد ."

مع هذه الجملة ، السيف الذي يحمله بدأ يصدأ أمام عينيه ، ثم انكسر إلى نصفين... لكن مكانه ، ظهر في يده سيف آخر ، مغطى بالغبار وكأن المكان نفسه منحه إياه .
الخيوط السوداء التي تربط أصابعها بدأت تتقطع مع كل كلمة لم تقلها... حتى شهقت أخيراً ، وخرج صوتها ممزوجًا بالدموع :
"كنتُ أستطيع إنقاذها... الفتاة التي علّمتني كيف أبتسم... لكني بعتُ مكانها مقابل حياتي ."
الخيوط التي تخنقها احترقت فجأة ، والألسنة التي تحيط بها ذابت في الهواء كأنها لم تكن أبداً .
أورين كان يقرأ صفحات الكتب التي تنفتح أمامه ، وكلها تصرخ بصوت واحد :
"قلها... قلها..."
أغلق عينيه ، وقال :
"أنا... لستُ الساحر الذي تظنون .
كل قوتي مسروقة... سرقتها من معلمي حين كان يحتضر ."
مع هذه الكلمات ، كل الكتب اشتعلت في لحظة ، والغبار الذي خرج منها صار عاصفة سوداء ، اجتمعت فوق رؤوسهم الأربعة ، وبدأت تدور بسرعة حتى ابتلعت المكان كله .
حين فتحت أعينهم من جديد ، كانوا واقفين وسط أطلال ممر حجري طويل ، سقفه محطم ، والماء يتساقط من بين الشقوق في الأعلى .
لم يكن هناك أثر للغبار... ولا للكاهنة .
لكن على الجدار أمامهم ، كُتبت جملة واحدة بالدم :
"الختم الأول... انكسر .

والثاني بانتظاركم ."

زايل نظر للآخرين وقال ببرود :

"إذا كان هذا هو ثمن كل ختم... لا أريد أن أعرف كم سيتبقى منّا عند النهاية ."

الفصل السابع والثلاثون

قلب لا ينقض وعده... إلا حين ينبض

"القلب لا ينقض وعده... إلا إذا أدرك أن الوعد كان كذبة ."

بعد أن ابتعدوا عن الساحة التي ابتلعتها يد الرماد ، توقفوا أخيراً .
جلسوا على حافة صخرة جرداء ، والسماء فوقهم تمطر غباراً خفيفاً ، كأن السحابة التي تبعتهم منذ بداية الرحلة قررت أن تفتح فمها هنا فقط .
زايل ألقى سيفه بجانبه ، أغمض عينيه ، وقال بصوت متعب :
"أكره الصمت... لأنه يذكرني بأننا لم ننجُ ، بل تأجل موتنا ."
ليانا كانت تمسح دماً جافاً من على نصل خنجرها :
"الموت المؤجل... أحياناً أسوأ من الموت الفوري ."
كايَن لم ينطق .
كان جالساً على طرف الصخرة ، عينيه مثبتتين على الأفق الذي لم يكن أفقاً ، بل جداراً من الظلال الملتفة ، يتحرك ببطء ككائن ضخم نائم .
أورين جلس بعيداً عنهم ، يكتب رموزاً على الأرض بإصبعه ، ثم يمسحها قبل أن يكتمل شكلها .
زايل نظر إليه وسأله :
"ألا تملّ من كتابة أشياء لن تقرأها حتى أنت؟"
أورين اكتفى بجملة واحدة :
"أكتبها... حتى لا تكتبني ."
ليانا فجأة رفعت رأسها ، وكأن فكرة ضربتها :

"كايَن... أنت أكثرنا صمتًا ، لكنك الوحيد الذي لم يتهرّب من وعده حتى الآن ."

كايَن لم يلتفت ، قال بصوت خافت :

"الوعد الذي تعيش به... هو نفس الوعد الذي يقتلك ."

زايل ابتسم بسخرية :

"جميل... إذن نحن جميعًا أموات بنصف قلب ."

ليانا نظرت في عيني كايَن مباشرة :

"أجبني... ماذا وعدت؟"

صمت طويل .

ثم ، بصوت بالكاد يُسمع :

"أن لا أسمح لما في داخلي... أن يخرج ."

زايل ضحك ضحكة قصيرة لكنها بلا أي مرح :

"متأخر ، يا صديقي... أظنه خرج بالفعل ، ونحن نراه أكثر مما تراه أنت ."

فجأة ، بدأ الهواء يبرد بسرعة .

الغبار الذي كان يتساقط صار يتحول إلى رقائق جليدية صغيرة ، والصمت الذي كان يريحهم نسبيًا صار يخنقهم .

أورين رفع رأسه ، عينيه تتسعان :

"تسمعون ذلك؟"

ليانا شدّت يدها على خنجرها :

"لا أسمع شيئًا ."

أورين :

"بالضبط... لا أسمع حتى قلوبكم ."

كايَن وقف ببطء ، وضع يده على صدره ، ثم همس :

"قلبي... توقف ."

زايل ، بابتسامة مشوهة :

"أوه... إذن جاء وقت الوعد ."

الفصل الثامن والثلاثون

الممر الذي لا يمشي فيه أحد

"بعض الطرق لا تُقطع... بل تبتلعك .
وفي النهاية ، تكتشف أن الممر لم يكن طريقًا ، بل فمًا ."

لم يكن هناك أرض... أو ربما كانت ، لكنها مصنوعة من شيء أشبه بالزجاج الميت .
كل خطوة لهم كانت تصدر صدى معدنيًا باهتًا ، وكأنهم يمشون فوق ضريح فارغ يمتد إلى الأبد .
المكان كله مضاء بضوء رمادي... لا هو نهار ولا ليل ، كأن الزمن نفسه عالق هنا ، يرفض أن يتحرك حتى خطوة واحدة .
زايل نظر خلفه ، فتجمّد في مكانه :
"أخبروني... أين آثار أقدامنا؟"
ليانا التفتت بسرعة ، لتجد أن الزجاج الميت خلفهم عاد أملس كما كان .
"المكان لا يريد أن يتذكرنا ."
كايَن ظل يحدق إلى الأمام ، كأن ما يراه هناك أهم من أي شيء آخر :
"المكان لا يحتاج أن يتذكر... لأنه يعرف إلى أين ننتهي ."
بعد ساعة من المشي بلا أي تغيير ، كسر الصمت صوت أورين :
"هذا الممر... ليس ممرًا حقيقيًا ."
زايل :
"وماذا يكون إذًا؟"
أورين ، وهو يلمس الزجاج الميت بباطن كفه :

"انعكاس لشيء آخر .
كأننا نسير داخل ذاكرة لا تخصنا ."
ليانا :
"ذاكرة من؟"
أورين :
"من... لم يخرج ."
صمت ثان ، أثقل من الأول .
حتى أنفاسهم صاروا يسمعونها وكأنها قادمة من فم شخص آخر يمشي بجانبهم .
بعد مسافة طويلة ، بدأت تظهر على جانبي الممر أبواب سوداء ، لا مقابض لها ، ولا فواصل بينها وبين الجدار ، وكأنها مرسومة بالحبر على سطح لا يمكن خدشه .
زايل ، وهو يقترب من أحد الأبواب :
"هل تظنون أن خلفها مخرجًا؟"
كايَن :
"لا .
خلفها... أسباب دخولنا ."
أورين اقترب بدوره ، وضع يده على أحد الأبواب ، وفجأة شعر بشيء يضع يده من الجهة الأخرى .
تراجع فوراً ، والباب عاد مسطحًا كما كان .
ليانا ، وهي تحدق بالأبواب :
"هذه ليست ممرات... هذه قبور منتظرة ."
الصوت جاء أولاً كهمس بعيد ، ثم صار واضحًا كأن الممر نفسه يفتح فمه :

"أنتم... آخر من سيمشي ."

زايل رفع سيفه ، رغم أن لا مكان يهاجمه :

"أين أنت؟"

الصوت :

"أنا حيث لم تصلوا بعد... وأنا حيث بدأتم ."

أورين بصوت بارد :

"المكان نفسه واعٍ ."

كايَن همس وكأنه يكلّم نفسه :

"بل... هو الذي اختارنا ."

من تحت الزجاج الميت ، بدأ يظهر شق صغير ، يمتد تحت أقدامهم بسرعة ، وصوت تشقق معدني يملأ الفضاء الرمادي .

ليانا :

"أسرعوا!"

لكن الشق بدأ يفتح نفسه على شكل دوائر ، كأن الممر يريد أن يكشف ما تحته .

من العمق ، ظهر شيء يشبه اليد البشرية ، لكنها مكوّنة بالكامل من العظام ، وفي وسط كفها... عين مفتوحة ، تحدق فيهم دون أن ترمش .

زايل اندفع للأمام ، سيفه يضرب الزجاج ، لكن الضربة ارتدت وكأن الأرض نفسها رفضت أن تجُرح .

أورين رفع يده وقال بصوت حاد :

"لا تؤذِ الممر... إذا جرحته ، سيغلق علينا ."

ليانا :

"وماذا نفعله إذًا؟"

أورين :

"نمشي... حتى يتعب هو من ملاحقتنا ."

كايَن ، بنبرة باردة :

"الممر لا يتعب... لكنه قد يشبع ."

بعد ما بدا وكأنه أيام ، اختفى الزجاج من تحت أقدامهم فجأة ، وصاروا يقفون على أرض حجرية مغطاة بضباب أسود .

زايل أخذ نفسًا عميقًا :

"هل... انتهى؟"

لكن كايَن أشار إلى الأمام ، وهناك... كان يقف كيان غريب ، بلا وجه ، يمسك بخريطة تحترق ببطء ، ويشير لهم كي يتبعوه .

أورين ، بصوت لا يخلو من السخرية :

"حسنًا... يبدو أننا وجدنا الممر الذي لا يمشي فيه أحد ."

اقتربوا من الكيان الغريب ، والخريطة في يده كانت تشتعل بلهب بارد ، لهب لا يضيء... لكنه يأكل الورق حتى العظم .

زايل ، بحذر :

"ماذا تريد؟"

الكيان لم يرد ، لكن الخريطة تحولت فجأة إلى رماد ، وتطايرت حولهم ، ثم التصقت بأجسادهم... كأن الممر نفسه يحاول تمييزهم ، ووسمهم .

ليانا ، وهي تحاول مسح الرماد :

"إنه يضع علامة علينا ."

أورين ، وهو يراقب :

"ليعرفنا... حين يحين وقت العودة ."

حاولوا الالتفات للخلف... لكن الممر لم يكن موجودًا .

محله الآن فراغ رمادي يمتد بلا نهاية ، وفي قلبه ، كانت تظهر وتختفي وجوههم هم أنفسهم ، لكن مشوهة ، وكأنها تعود من مستقبل لا يريدون رؤيته .

كايِن بصوت منخفض :

"العودة... لم تعد خيارًا ."

زايل ابتسم ابتسامة قاتمة :

"كأنها كانت خيارًا يومًا ما ."

الأبواب السوداء التي على جانبي الممر بدأت تصدر أصوات خشخشة ، لم تُفتح بالكامل ، لكنها تركت شقوقًا صغيرة .

من كل شق ، انبثق صوت مختلف :

ضحكة امرأة ، بكاء طفل ، أنين جريح ، دعاء يحتضر .

ليانا توقفت عند أحد الأبواب ، حدقت داخله فرأت نفسها جالسة في غرفة فارغة ، تحيك ثوبًا أسود على ضوء شمعة . . . لكنها لم تكن تعرف لمن .

زايل جرّها بعيدًا ، وهمس :

"لا تفتحِ... ما في الداخل سيحاول أن يفتحك أنت ."

الممر بدأ ينحني تدريجيًا ، لا إلى الأعلى أو الأسفل... بل نحو الداخل ، كما لو كان يلتف حول نفسه ليغلق الدائرة .

أورين ، وهو يضغط على صدعيه :

"نشعر بالدوار لأن الممر يعيدنا... لكن ليس إلى البداية ."

كايَن نظر إلى الكيان الغريب :

"هو يعرف أين النهاية ."

الكيان أومأ مرة واحدة ، ثم تابع السير .

بينما يمشون ، انفتح شق آخر في الزجاج الميت ، ومن تحته ظهرت يد أخرى... لكن هذه المرة ، كانت تحمل عينين بدلاً من واحدة ، وعلى حدقة كل عين ، نقش لرمز يشبه الختم .

ليانا شهقت :

"هذا... هو نفس الرمز على صدر الكاهنة ."

أورين شدّ أنفاسه :

"يعني أن الممر... مرتبط بالختم الأول ."

زايل ، وهو يرفع سيفه :

"إذًا... نحن لم نخرج منه قط ."

وصلوا إلى نقطة كان الممر فيها يضيق لدرجة أن أكتافهم لامست الجدارين في آن واحد .

الكيان توقف هناك ، مد يده ، فاختفى الجداران فجأة ، وتحوّل الممر إلى فراغ أسود سائل ، أشبه ببحيرة لا قاع لها .

كايَن ، بصوت خافت :

"قفزة واحدة... أو البقاء هنا إلى الأبد ."

زايل ضحك بسخرية :

"كأن البقاء خيار ."

دون تحذير ، بدأ الفراغ يبتلع الأرض تحتهم ، أقدامهم غرقت أولاً ، ثم أرجلهم ، حتى أصبحوا جميعًا غارقين حتى الخصر .

الكيان الغريب ألقى نظرة أخيرة عليهم ، ثم همس بصوت لم يكن صوتًا :

"الطريق الذي تبحثون عنه... يبحث عنكم أيضًا ."

وفي لحظة ، سقطوا جميعًا في العتمة ، لا يعرفون هل يسقطون في الماء... أم في ذاكرة أخرى .

عندما فتحوا أعينهم ، وجدوا أنفسهم في سهل رمادي ، السماء فوقهم متكسرة كزجاج ، ومن بعيد... كانت تلوح أطلال مدينة غارقة في الظل .

أورين ، وهو ينهض ببطء :

"أظن أن الطريق إلى معبد الظلال... بدأ الآن ."

زايل نظر إلى الأفق ، ابتسم ابتسامة باهتة :

"لكن الممر... لم يتركنا حقًا ."

ليانا بصوت مرتجف :

"ولا أظنه سيفعل ."

الفصل التاسع والثلاثون

معبد الظلال – الندبة الخامسة

لم يكن أمامهم باب بالمعنى المعروف .
كان فجوة في الهواء ، يحيط بها ضوء أسود... ضوء يسطع إلى الداخل لا الخارج .
كايَن ، بصوت منخفض :
"هذا ليس مدخلاً... إنه فم ."
زايل ابتسم ابتسامة باهتة :
"جميل... ندخل إذاً لنجرب الطعم ."
أورين مد يده نحو الفجوة ، لكن أصابعه اختفت قبل أن تلمس شيئًا ، وكأنها غُمرت في ماء لا يتسرب منه أي شعور .
ليانا ، وهي تراقبه :
"إنه يبتلع الحواس قبل أن يبتلعك ."
حين خطوا إلى الداخل ، سقطت أصواتهم عنهم أولاً ، ثم سقطت ظلالهم...
ثم بدأ شعور الوزن يختفي ، وكأن أجسادهم لم تعد تلامس الأرض .
زايل همس :
"نحن نمشي... لكننا لا نترك أثرًا ."
أورين :
"لأن المكان لا يريد أن يتذكرنا ."
انفتح أمامهم فضاء واسع ، الجدران سوداء كالفحم ، لكن عليها شقوق تتوهج بضوء أحمر ، وكأن المعبد نفسه ينزف من الداخل .

ليانا توقفت :

"هل تسمعون ذلك؟"

صوت خافت ، أشبه بهمهمة جماعية ، يأتي من كل اتجاه . . . أصوات تتهجى أسماءهم ببطء .

اقترب كايَن من أحد الشقوق ، ووضع يده عليه .

في اللحظة التي لمسها ، انفتح الجرح في الجدار ، وكشف عن عين بشرية تنظر مباشرة إليه .

زايل ، ببرود :

"إذاً هذا هو معنى الندبة الخامسة... إنها ترى ."

في منتصف القاعة ، كانت هناك طاولة حجرية دائرية ، عليها أربع كؤوس ، كل كأس مليء بسائل أسود يتصاعد منه بخار بارد .

أورين قرأ نقشاً حول الطاولة :

"من يشرب... يتذكر ما لا يجب تذكره ."

ليانا ، وهي تحدق في السائل :

"وماذا لو لم نشرب؟"

أورين :

"حينها... سيتذكرنا المعبد بدلاً عنّا ."

زايل رفع الكأس وشرب .

على الفور ، تجمد في مكانه ، وعيناه انقلبتا إلى السواد .

رأى نفسه يقاتل على جسر ينهار ، لكن هذه المرة... لم يكن أخوه معه ، بل كان يقاتل نفسه ، نسخة أعنف وأكثر جنوناً .

حين عاد ، كان يتصبب عرقاً ، لكنه ابتسم :

"لطيف... الدور على من بعدي ."

بينما شرب الباقون ، سمعوا خطوات... لكنها لم تأتِ من الأرض ، بل من السقف فوقهم .
كايَن رفع رأسه ، ورأى كائنًا يمشي على أربع ، وجهه مغطى بأيدٍ بشرية متشابكة ، وكل يد فيها عين تحدق مباشرة بهم .
فجأة ، سقطت ظلالهم من أجسادهم على الأرض ، وبدأت تتحرك وحدها ، تقترب من الطاولة ، وتحاول شرب ما تبقى من السائل الأسود .
أورين ، وهو يسحب خنجره :
"إذا شربت ظلالنا... سنموت في مكانين في آن واحد ."
ركضوا خارج القاعة ، ليجدوا أنفسهم في ممر متشقق ، الجدران فيه مصنوعة من مرايا سوداء ، تعكس صورهم... لكن بأعمار مختلفة .
ليانا رأت نفسها عجوزًا ، زايل رأى نفسه طفلاً ، كايَن رأى نفسه جثة ، أورين رأى نفسه... بلا رأس .
الممر بدأ ينحدر إلى الأسفل ، والحرارة انخفضت بشكل مفاجئ ، حتى صار النفس يتحول إلى ضباب كثيف .
زايل ، وهو يفرك ذراعيه :
"البرد هنا... ليس من الهواء .
إنه من الداخل ."
بينما كانوا ينزلون ، سمعوا صوتًا يهمس بكلمة واحدة :
"أعيدوه..."
التفتوا جميعًا ، لكن لم يكن هناك أحد .
الهمس عاد ثانية ، لكن هذه المرة خرج من أفواههم هم ، من دون أن يحركوا شفاههم .
ليانا وضعت يدها على فمها ، وعيناها تتسعان :

"المعبد... يتكلم من داخلنا ."

انتهى الممر إلى قاعة غارقة بالماء ، لكن الماء لم يكن يعكس الضوء ، بل يعكس مشاهد من أماكن أخرى... أماكن لا يعرفونها ، لكنها تعرفهم .

زايل ركع ولمس السطح ، فرأى مشهداً له وهو يضحك ، وجسده مغطى بدماء أصدقائه .

سحب يده بسرعة ، وقال بصوت خافت :

"الماء هنا... يشربك قبل أن تشربه ."

بينما اجتازوا القاعة ، أحد الجدران بدأ يصدر صوت شهيق وزفير ، وكأنه صدر عملاق يملأ المكان .

كايَن ، وهو يضع يده على مقبض سيفه :

"إذا كان يتنفس... فهو حي .

وإذا كان حيًا... فهو يشعر بنا ."

شق في الجدار بدأ يفتح ببطء ، مطلقًا رائحة لحم محترق .

ومن داخله ، خرجت يد بشرية ، لكنها مغطاة بالرماد حتى المعصم .

أمسكت بكتف أورين ، وصوت من داخل الجدار قال :

"أنت لم تكمل ما بدأته ."

في لحظة ، انطفأ كل شيء... لا ضوء ، لا جدران ، لا ماء .

وجدوا أنفسهم في فراغ أسود ، وأصواتهم تتردد من أماكن بعيدة جداً .

زايل ، وهو يصرخ :

"هل أنتم هنا؟"

لكن الرد جاء بصوته نفسه... يقول :

"لا ."

عاد الضوء فجأة ، لكنهم لم يكونوا في المكان نفسه .

القاعة تغيرت ، الطاولة عادت ، والكؤوس الأربعة أمامهم ممتلئة من جديد .
أورين بصوت حاد :
"المعبد يعيد ترتيبنا ."
عند المخرج البعيد ، كان يقف كائن طويل جداً ، رأسه يميل على جانبه كما لو كان مكسوراً ، وعيناه فارغتان... لكنهما تنظران إليهم .
كل خطوة يخطوها ، تطفأ شعلة في القاعة .
كايَن قال :
"إذا بقينا ، سنصير جزءاً من المعبد .
إذا هربنا ، سيخرج معنا ."
زايل ضحك ضحكة قصيرة :
"جميل... إذاً نختار الموت الأقل إزعاجًا ."
هربوا عبر ممر ضيق ، لكن الجدران بدأت تنبض وتتحرك ، تضيق عليهم كما لو كانت أحشاء حيوان ضخم .
ليانا ، وهي تلهث :
"إنه يبتلع الممر نفسه!"
الأرض تحتهم انهارت ، سقطوا في فراغ أسود ، والهواء صار ثقيلاً لدرجة أنهم لم يستطيعوا الصراخ .
سقطوا على أرض باردة من الحجر ، أمامهم جدار هائل ، عليه نقش لخمسة وجوه بشرية... أربعة منها مطموسة ، والخامس لا يزال فارغًا .
أورين ، وهو يلمسه :
"هذا المكان ينتظر من يكمل الصورة ."
عند لمس النقش ، تشققت الأرض ، وخرجت يد سوداء ضخمة ، أمسكت بهم جميعًا دفعة واحدة .

الصوت العميق قال :

"لقد وصلتم إلى الندبة الخامسة... الآن ، ستتركون ندبتكم ."

كايَن مزق السيف من غمده ، وضرب اليد ، لكن الشفرة اخترقتها كالماء .

زايل حاول قطع الأصابع ، لكنها صارت أكثر إحكامًا .

فجأة ، انفجر الجدار الفارغ ، وظهر ممر من الضوء الرمادي ، يسحبهم بعيدًا عن اليد السوداء .

لم يقاوموا... بل تركوا الضوء يبتلعهم .

حين فتحوا أعينهم ، لم يجدوا أنفسهم خارج المعبد... بل في أرض غريبة ، سماءها بنفسجية ، وأشجارها بيضاء كالرماد ، وأصوات بعيدة تناديهم بأسمائهم .

زايل ، وهو يبتسم ابتسامة قاتمة :

"جميل... خرجنا من الظل ، لكننا دخلنا في فمه الآخر ."

الفصل الأربعون

الخيانة الثانية

"في أرض الظل... الخيانة لا تأتي من يدٍ تُمسك خنجراً ، بل من عينٍ تعرفك أكثر مما تعرف نفسك ."

كانوا يمشون بصمت ، أقدامهم تغوص قليلاً في أرضٍ باردة كالحديد ، والجدران على جانبي الممر تلمع كأنها مبللة ، لكنها لم تكن ماءً... بل شيء أثقل ، أبطأ ، وأشد التصاقًا .

أورين كان يتقدمهم ، وعيناه لا تتحركان عن الطريق أمامه .

زايل مشى في الخلف ، رأسه منخفض ، وكأنه يحمل ثِقلاً لا يريد أن يشاركه أحد .

ليانا وكايَن في الوسط ، خطواتهما متناسقة... لكن عيون كلٍ منهما على الآخر أكثر من الطريق .

ليانا بصوت خافت :

"أورين... هل تشعر بشيء غريب؟"

لم يرد .

زايل رفع رأسه ، نظرة سريعة ثم قال :

"الغريب ليس المكان... الغريب أننا ما زلنا معًا ."

كايَن ابتسم ابتسامة قصيرة ، بلا دفء :

"الآن... ليس وقت التفكك ."

زايل :

"بل هو وقته تمامًا ."

وصلوا إلى قوس حجري ، عليه رموز محفورة... نفس الرموز التي كانت على أحد الأختام التي كسروها من قبل .

لكن هذه المرة ، الرموز كانت مقلوبة .

أورين ، وهو يمد يده ليلمس الحجر :

"هذا... ليس ممر خروج ."

ليانا :

"وماذا إذن؟"

زايل بصوت منخفض :

"إنه باب... لكن ليس لنا جميعًا ."

هبت ريح باردة من القوس ، لكنها لم تحمل برودة عادية... كانت تحمل رائحة مألوفة جداً لكل واحد منهم .

بالنسبة لليانا... كانت رائحة دم رجل قتلته وندمت عليه .

بالنسبة لزايل... كانت رائحة ساحة معركة فقد فيها شقيقه .

بالنسبة لكايَن... كانت رائحة الدخان من ليلة احترق فيها كل شيء عدا هو .

بالنسبة لأورين... لم يقل ، لكنه شد قبضته علًى عصاه وكأنها قد تنكسر .

زايل وقف عند القوس ، ويده تلمس الخنجر على جانبه .

نظر إلى كايَن ، ثم قال بهدوء غير مألوف :

"أتعلم... هناك أشياء لم أقلها لك ."

كايَن :

"ليس الآن ."

زايل :

"الآن... أو لا أبداً ."

ثم اقترب خطوة ، وصوته صار أكثر حدّة :

"أتذكر عندما سقطنا في معبد الأرض؟ من الذي تركني هناك لأموت؟"

كايَن ، وهو يثبت نظره عليه :

"لقد اخترت البقاء... اخترت القتال ."

زايل :

"اخترت... أو أُجبرت؟"

ليانا تقدمت خطوة بينهما :

"كفى .

لسنا هنا لنفتح جروحًا قديمة ."

زايل ، بنظرة باردة :

"الجروح القديمة هي التي تنزف الآن ."

أورين ، بصوت جاف :

"كلاكما على خطأ... وكلاكما على حق ."

لكن حين قالها ، ارتجف القوس الحجري... وكأن الكلام هو ما فعّله .

من داخل القوس ، ظهر ظلٌّ بشري... ليس لأحدهم ، لكن ملامحه كانت تتغير بسرعة ، تارة تأخذ ملامح كايَن ، تارة زايل ، تارة أورين ، وأحيانًا ليانا .

الظل بصوت متهدج :

"الخيانة الثانية... لم تحدث بعد ."

زايل قبض على خنجره :

"ومن سيقوم بها إذن؟"

الظل :

"أحدكم... سيختار... بعد قليل ."

كايَن التفت إلى ليانا :

"إذا كان هذا فخًا... فأنتِ الوحيدة التي يمكنها كشفه ."

ليانا نظرت له بحدة :

"هل تشك بي؟"

زايل ضحك بسخرية :

"هو يشك بالجميع... حتى بنفسه ."

أورين وقف بين الثلاثة :

"هذا ما يريده الظل... أن نصبح سهامًا موجهة لبعضنا ."

الأرض اهتزت ، وانفتحت شقوق في الجدران ، منها خرجت أذرع من ظل خالص ، كل ذراع تمسك شخصًا منهم ، تبعده عن الآخر .

زايل وهو يقاوم :

"كايَن! إذا كان لك يد في أي مما حدث... سأقتلك هنا!"

كايَن ، بصوت هادئ رغم المقاومة :

"قل هذا... بعد أن تنجو ."

الظل من القوس صرخ :

"واحد فقط سيعبر... والبقية ستبقون هنا إلى الأبد ."

أورين صاح :

"لن نختار!"

الظل :

"إذن... سأختار أنا ."

وفجأة ، بدأ الظلام يلتف حول عنق ليانا .

كايَن اندفع إلى الأمام ، قطع الظلام بسيفه قبل أن يطبق على عنقها .

زايل ، في اللحظة نفسها ، رمى خنجره نحو القوس... لكن الخنجر ارتد وكاد يصيب أورين .

أورين التفت بحدة :

"هل فقدت عقلك؟!"

زايل ، بابتسامة قاتمة :

"ربما... أو ربما وجدت عقلي أخيراً ."

الظل تراجع ، القوس بدأ ينهار ، والجدران تموجت كأنها سطح ماء يُسحب إلى قاعه .

أورين صرخ :

"إلى الوراء... الآن!"

لكن قبل أن يبتعدوا ، همس الظل للمرة الأخيرة ، صوته يخترق العظام :

"الخيانة الثانية... بدأت للتو ."

ثم انغلق القوس ، تاركًا الصمت أثقل من أي سلاح .

الفصل الحادي والأربعون

الأربعة المتحوّلون

"بعض التحوّلات ليست اختيارًا... بل اعترافًا متأخرًا بما كنّا عليه منذ البداية ."

كانوا يقفون في قاعة مظلمة من معبد الظلال ، الجدران ترتفع بلا نهاية ، وأعمدتها مغطاة بنقوشٍ تتحرك ببطء كأنها تتنفس .
الهواء ثقيل... ليس من الرطوبة ، بل من إحساسٍ غير مفسَّر ، كأن الظلّ نفسه يضغط على رئاتهم .
زايل كان أول من شعر بها... رعشة غريبة بدأت من أطراف أصابعه ، صاعدة نحو كتفيه ، وكأن عظمه ينصهر ويعيد تشكيل نفسه .
همس بصوت متقطع :
"هناك... شيء فينا... يتغير ."
ليانا أغلقت عينيها للحظة ، لكنها حين فتحتها ، كانت رؤيتها مختلفة... أكثر حدّة ، وأكثر قتامة .
كل شخص أمامها صار ظلاً يشتعل من الداخل .
أورين لم يتحرك ، لكنه كان يعلم أن ما يحدث ليس جسديًا فقط .
كان يراقب جلودهم وهي تتصدع وكأنها قشرة قديمة تنفصل عنهم .
كايَن... ظل ساكنًا ، لكن قبضته على سيفه اشتدت حتى انبعثت منه خيوط سوداء تمتص النور المحيط .
ثم جاء الصوت .
لم يكن في الهواء ، بل في عروقهم .

صوتٌ أقرب إلى همهمة حادة ، تتخلل الدماء نفسها ، تدعوهم نحو شيء... أو ربما نحو أنفسهم الحقيقيةً .

ليانا ضغطت على صدغيها :

"هل... تسمعون ذلك؟"

زايل ابتسم ابتسامة مائلة ، نصفها ألم ونصفها نشوة :

"إنه ليس صوتًا... إنه دعوة ."

كايَن نظر إلى أورين ، وعيناه تلمعان كقطع زجاج سوداء :

"لا يمكن مقاومته ."

أورين لم يرد ، لكنه أغلق عينيه... وفي الظلام الداخلي ، رأى شكله وهو يبتسم له ابتسامة لا يعرفها .

بدأت القاعة نفسها تتغير .

الأرضية تشققت ، وخرج من الفجوات بخار أسود كثيف ، يلتف حول أقدامهم ويصعد ببطء نحو صدورهم .

النقوش على الجدران صارت تتحرك أسرع ، حتى صار من المستحيل تمييز شكلها .

زايل شعر أن البخار يدخل في رئتيه بدل الهواء ، ومع كل نفس ، ازداد ثقلاً وقوة... لكن أيضًا ، ازداد غضبًا .

ليانا أحست أن أصابعها أصبحت أخف ، أسرع ، كأن كل حركة منها يمكن أن تقتل قبل أن تُرى .

أورين أحس بأن شيئًا يكتب على جلده من الداخل ، حروفًا نارية تتشكل بلا إذن منه .

كايَن... كان صامتًا ، لكن سيفه صار ينبض كقلبٍ حي ، وكل نبضة تبعث موجةً من الظلام في القاعة .

فجأة ، انطفأ كل شيء .
لم يعد هناك جدران ، أو أرض ، أو سقف... فقط فضاء أسود بلا أفق ، وهم واقفون في منتصفه .
ثم ظهر أمامهم ما يشبه المرآة ، لكنها لم تعكس صورهم الحقيقية ، بل ما أصبحوا عليه الآن .
زايل رأى نفسه عملاقًا ، كتفيه مغطاة بعظام أعدائه ، وعيناه تشتعلان بجنون الحرب .
ليانا رأت ظلاً يملك مئة يد ، كل يد تمسك بخنجر موجه نحو قلب مختلف .
أورين رأى جسداً بلا ملامح ، لكن عينيه كانتا مليئتين بالكتب المحترقة .
كايَن رأى نفسه مغطى بوشاح من العدم ، لا يخطو على الأرض ، بل على قلوب من هزمهم .
المرآة لم تكن مجرد انعكاس... كانت بداية .
من قلب الصور ، خرج الضوء... لكنه لم يكن أبيض ، بل أسود لامع ، حاد كالزجاج المكسور .
اخترق أجسادهم من الصدر ، كأن شيئًا فيهم انفتح لابتلاع هذا الظلام .
زايل سقط على ركبتيه ، يلهث... وكل نفس يخرج منه كان على شكل بخار دموي .
ليانا أمسكت برأسها ، وأظافرها تركت خدوشًا في جلدها ، لكنها لم تشعر بألم .
أورين فتح ذراعيه وكأنه يحتضن هذا التيار القاتم .
كايَن ظل واقفًا ، لكن الأرض من تحته تشققت ، كأن وجوده صار أثقل من أن تحمله الحجارة .
ثم بدأت التغييرات... هذه المرة ظاهرة .

زايل ، جسده تضخم ، عضلاته اتخذت لونًا داكنًا كالفحم ، وعروق حمراء تلمع تحت الجلد .
ليانا ، بشرتها صارت باهتة ، وعيناها تلونتا بفضي بارد ، وشعرها انساب كظل سائل .
أورين ، أطرافه صارت محاطة بهالة رمادية تتناثر منها أحرف متوهجة ، وكأن السحر نفسه يتساقط منه .
كايَن ، سيفه صار أطول ، أغمق ، وأطرافه تقطر بدم لا ينتمي لهذا المكان .
لم يكن الصوت الذي خرج منهم بشراً .
زايل أطلق زئيراً هز الفضاء الخالي ، كأن الجدران التي لم تعد موجودة اهتزت رغم ذلك .
ليانا أصدرت صفيراً حاداً ، أقرب لصوت شفرات تتقاطع في الهواء .
أورين تمتم بلغة لم يعرفها أحد ، لكن كلماتها تركت أثر حروق على الهواء .
كايَن... لم يصدر صوتًا ، لكن مجرد نظرته جعلت البخار الأسود ينقسم كأنه يهرب .
أمامهم ، ظهرت أربعة ممرات ، كل واحد منها يبتلع الضوء بشكل مختلف .
صوت غامض قال :
"لستُم أربعة... بل أربعة أعداء ، حتى يثبت الدم العكس ."
زايل نظر للبقية ، وعيناه تقولان إنه مستعد للقتال .
ليانا ابتسمت ابتسامة باردة... لم تكن مطمئنة .
أورين أغلق قبضته على عصاه ، كأنه ينتظر أول حركة .
كايَن لم يتحرك ، لكنه كان أول من دخل الممر .
كل واحد منهم وجد نفسه في مكان مختلف .

زايل ، وسط ساحة معركة ، يقاتل نسخة منه ، لكن أكثر وحشية ، بلا عقل ولا رحمة .
ليانا ، في غرفة ضيقة ، أمام ظلها الذي يسبق كل حركتها بنصف ثانية ، مما يجعل طعناته تسبق طعناتها .
أورين ، في مكتبة لا تنتهي ، حيث الكتب تصرخ وهو يحاول قراءتها ، وكل صفحة تحرق جلده .
كايَن ، على جسر من الظلام ، يقاتل رجلاً يشبهه... لكن بلا وجه ، وبسيفين بدل واحد .
زايل كسر عنق ظله... لكنه وجد أن الجسد لم يسقط ، بل تحول إلى رماد يلتف حوله ليزيده قوة .
ليانا غرزت خنجرها في قلب ظلها... فابتسم لها ، واختفى ، تاركًا إحساسًا باردًا في صدرها .
أورين مزق الصفحة الأخيرة... فتدفقت منها مئات الأيادي التي حاولت جذبه لداخل الكتاب .
كايَن أسقط خصمه في العدم... لكنه وجد نفسه ينظر لأسفل ، ليرى نفس الجسر ينهار تحته مرة أخرى .
عادوا... لكن ليسوا كما خرجوا .
كل منهم كان مغطى ببقايا من الظل الذي قاتله ، كأن المعركة تركت وشمًا داخليًا لا يزول .
زايل أصبح أكثر ضخامة ، وصوته أعمق .
ليانا تحركت بصمت مطلق ، حتى أن أنفاسها لم تُسمع .
أورين كان يلمع من الداخل ، خطوط رمادية تحت جلده كخرائط جديدة .
كايَن ، سيفه صار يجرّ خلفه خطًا من السواد أينما مر .

الصوت الغامض عاد ، لكن هذه المرة أقرب ، كأنه يتكلم من داخل قلوبهم :

"لقد تحوّلتم... لكن التحوّل هدية مسمومة .

كل قوة تأخذونها... تدفعون ثمنها من أرواحكم ."

زايل ضحك بخفة :

"ثمن رخيص ."

ليانا نظرت إليه وقالت :

"لا تقل ذلك... فالثمن لا يُدفع مرة واحدة ."

أورين كان صامتًا ، لكن عينيه قالتا إنه يعرف ما يعنيه الصوت .

أما كايَن... فقد كان يبتسم ابتسامة صغيرة ، وكأنه يرى في البعيد ما لا يراه أحد .

الفصل الثاني والأربعون

الدائرة الأخيرة

"كل دائرة هي باب... وكل باب يفتح إلى دائرة أعمق ."

المدخل الذي لا يُرى

لم يكن هناك باب .

الممر الحجري انتهى فجأة ، وابتلعهم فراغٌ لا حدود له .

لكنهم لم يسقطوا... ولم يقفوا .

الظلال رفعتهم كما يرفع البحر جسد غريقٍ لم يختَر العودة .

كايَن رفع عينيه إلى الأعلى ، حيث لا يوجدً "أعلى" :

"هذه ليست دائرة... هذا هو الداخل ."

زايل ضحك ، ضحكة قصيرة كأنها حشرجة :

"الداخل إلى ماذا؟"

أورين أجاب ، لكن صوته خرج وكأنه صادر من خلفه لا من فمه :

"إلى نحن ."

ليانا كانت تحدّق في المسافة أمامهم .

المسافة كانت تحدّق بها .

استدعاء الدوائر السابقة

أول ما رأوه... لم يكن المعبد .

كان هو الماضي ، يزحف على جدران الظلام .

الدائرة الأولى — دم الضياع — تنبض كجرحٍ مفتوح ، تتساقط منه الذكريات التي ظنوا أنهم نسوها .

الدائرة الثانية – الولاء المكسور – حيث الوعود التي خانتهم تعود وتُقال مرة أخرى ، بنفس النبرة ، بنفس الكذب .

الدائرة الثالثة – الانطفاء – المشاعل التي كانت تنير طرقهم ، تُطفأ جميعها دفعة واحدة .

ليانا همست وكأنها تتحدث لنفسها :

"إنه يعيدنا... لكنه يسرق ألوان العودة ."

زايل أشار إلى الصور التي تتحرك حولهم :

"هذه ليست ذكريات... هذه نحن ، لو بقينا ."

ملامحهم في المرآة المكسورة

الأرض تحتهم تحولت إلى زجاج أسود ، يعكس وجوههم .

لكن انعكاس كايَن كان بلا عيون .

انعكاس أورين كان يبتسم ابتسامة لم يتعلمها قط .

انعكاس ليانا كان يحمل خنجراً مغطى بدمه هو .

أما انعكاس زايل... فلم يكن هو .

كان شخصاً لم يولد بعد .

كايَن مد يده نحو صورته ، والزجاج تشقق من لمسته ، فاهتز الفراغ كله حولهم .

أورين بصوت متماسك رغم الارتجاف الذي سكن ملامحه :

"كسر المرآة هنا... يعني كسر الطريق ."

أصوات بلا أصحاب

الظلام بدأ يتكلم .

لم تكن هناك أجساد ، لكن الأصوات كانت مألوفة :

أم كايَن وهي تدعوه للعودة قبل فوات الأوان .

ضحكة أخ زايل وهو يصرخ في ساحة المعركة .

صوت معلم أورين وهو يقرأ التعويذة الأخيرة قبل أن يحترق .
صوت أنثوي ناعم يهمس لليانا :
"لقد انتظرتكِ... وأنتِ لم تنتظريني ."
زايل أدار رأسه ببطء :
"المكان يحاول أن يشتري خطواتنا... بوجوهنا ."
ليانا أغلقت عينيها :
"لا... إنه يحاول أن يشتري قلوبنا ."
بداية الدائرة الأخيرة
الأرض انحدرت تحت أقدامهم .
لم يكن سقوطًا ، بل انزلاقًا إلى أعمق نقطة ، حيث الظلال لم تعد ظلالاً ، بل مادة لزجة تُمسك بجلودهم .
أورين فتح عينيه على اتساعهما :
"هذه ليست دائرة... هذا ختم ."
كايَن رد ، وصوته بدا أثقل من الحديد :
"وكل ختم يحتاج إلى مفتاح... ونحن الأربعة ."
حين تصير الخطوة قيداً
الأرض تحت أقدامهم صارت أشبه بصفحة ماء سوداء ، تتماوج دون أن تبتل ، لكن كل خطوة عليها كانت تُصدر صوتاً معدنياً ، كما لو أنهم يسيرون فوق قيود .
كايَن توقّف فجأة ، حدّق في الأسفل ، وقال بصوت لا يخلو من التوتر :
"هذه الأرض... تحفظ وزن كل من مشى عليها .
لا أحد يخرج منها أخف مما دخل ."
ليانا شدّت قبضتها على خنجرها ، لكنها لم ترد .

شعرت بأن السواد تحتها يلتهم شيئاً غير ملموس... شيئاً لا يمكن استرداده .
الدائرة التي تتسع وهي تغلق
الدائرة حولهم بدأت تتحرك ببطء ، تتسع وتضيق في الوقت ذاته ، وكأن المسافة تتلاعب بهم .
زايل قال وهو يراقب الخطوط المتوهجة :
"كأنها تتنفس... كل مرة نتحرك فيها ، تزداد جوعاً ."
أورين ، الذي ظل صامتاً منذ فترة ، رفع رأسه أخيراً :
"الدائرة الأخيرة... ليست جداراً ، إنها فم ."
الأصوات التي تعود من الماضي
من الضباب ، بدأت الأصوات تظهر .
أصوات أحبائهم ، أعدائهم ، وحتى أصواتهم هم أنفسهم... لكن بصيغ مشوهة .
ليانا سمعت صوت أمها وهي تهمس :
"أنت السبب..."
زايلَ سمع أخاه يصرخ :
"كان يجب أن تكون أنت ."
كايَن سمع نفسه يضحك... ضحكة لم يسمعها يوماً ، لكنها كانت منه بلا شك .
انعكاسات لا تطابق صاحبها
سطح الأرض تحوّل إلى مرايا مشروخة ، كل واحدة تعرض نسخة مختلفة منهم .
أحد الانعكاسات كان يبتسم بثقة ، وآخر كان غارقاً في الدم ، وثالث بلا ملامح على الإطلاق .

أورين بصوت منخفض :

"الدائرة تختبر نسخنا... تبحث عن أضعفها ."

بداية التشقق

الأرض اهتزت ، وبدأت الخطوط المضيئة تتشقق ، ويخرج منها ضوء أحمر كدم يغلي .

زايل قال بحدة :

"مهما كان ، لا تدعوا أحداً يسقط في الشقوق... من يسقط ، لن يعود ."

الظل الذي يسبق صاحبه

من بين الضباب ، ظهرت أربعة ظلال ، كل منها يشبه أحدهم ، لكنها أطول ، أنحف ، وأعينها تلمع بلون غريب .

ليانا شهقت :

"إنها... نحن ."

الظلال لم تتكلم ، لكنها بدأت تتحرك ، مقلدة خطواتهم... خطوة بخطوة ، حتى صار من المستحيل التمييز بين من يتبع ومن يقود .

الفقد البطيء

كلما استمرت المواجهة ، بدأوا يشعرون أن شيئاً في داخلهم يتسرب .

ذكرياتهم ، أصواتهم الداخلية ، وحتى إحساسهم بمرور الوقت .

كايَن شعر بأن ماضيه يبهت ، كما لو أنه يتذكره من خلال زجاج مغبش .

الانفجار الصامت

الدائرة توقفت عن التمدد فجأة ، وكل الأضواء انطفأت .

الصمت كان خانقاً ، حتى الأنفاس لم تعد تُسمع .

ثم ، من المركز ، ارتفع عمود من الظلام النقي ، وابتلع الأشكال الأربعة في لحظة .

القرار

أورين ، بصوت مبحوح :

"إذا لم نعبر الآن... سنبقى هنا ."

زايل ابتسم ابتسامة شاحبة :

"وهل نحن متأكدون أننا نريد العبور؟"

ليانا نظرت إلى الاثنين ، ثم إلى كايَن ، الذي لم يرمش :

"أحياناً... الخيار الوحيد هو أسوأ الخيارات ."

الخروج إلى ما وراء

بخطوة واحدة ، اندفعوا جميعاً إلى قلب الدائرة ، والظلام ابتلعهم دفعة واحدة .

لكن بدلاً من السقوط... شعروا بأنهم يسيرون على أرض جديدة ، أبرد من الجليد ، أعمق من القبر .

في الأفق... باب حجري ضخم ، محفور عليه رمز يشبه عين مغمضة .

وكان هذا الباب... بداية ما وراء ختم استرافا .

الفصل الثالث والأربعون

ما وراء ختم استرافا

"بعض الحقائق لا تُقال... لأنها لا تعرف كيف تتوقف بعد أن تبدأ ."

كانوا يظنون أن الختم يقف على بوابة... لكن البوابة لم تكن أمامهم ، بل تحت صدورهم ، حيث كان القلب يدق بطريقة غريبة ، كأن كل نبضة تدعو شيئًا غائبًا للعودة .
الجدار الأسود أمامهم كان ساكنًا ، لا نقوش ، لا صدع ، إلى أن لمس كايَن سطحه... فانشقّ ببطء ، ليس كحجر يتصدع ، بل كجلد حيّ يتمزق من الداخل .
أورين ، وهو يراقب بعين متسعة :
"هذا ليس مدخلاً... هذه ذاكرة ."
ليانا بخطوات حذرة :
"ذاكرة من؟"
كايَن بصوت خافت ، وكأنه يخاف مما سيقوله :
"ذاكرتي... وذاكرته ."
ما إن اتسع الشق ، حتى خرجت منه رائحة معدنية ثقيلة... رائحة دم قديم ، ممتزج بالرماد البارد .
العالم من حولهم بدأ يذوب ، كأن الجدران والظلال تتحول إلى ماء أسود يتدفق نحو الداخل .

زايل حاول التراجع ، لكن الأرض تحولت تحت قدميه إلى سطح زجاجي ، شفاف بما يكفي ليرى تحته جثثًا... تتحرك ببطء ، وكأنها تغوص أعمق مع كل ثانية .
أورين بصوت متوتر :
"الختم لا يفتح على مكان... إنه يفتح على زمن ."
كايَن رفع رأسه ، وملامحه أصبحت أقسى :
"بل يفتح على ما كان يجب أن يُمحى ."
اندفعوا جميعًا إلى الداخل ، أو هكذا بدا... لكنهم لم يمشوا ، بل سقطوا .
سقطوا في ظلام يشبه الحبر ، لكن الضوء الذي كان يلمع فيه كان أحمر قانيًا .
هناك ، وسط الدوامة ، بدأت الصور تتضح :
ساحة معركة ، سيوف مرفوعة ، رايات سوداء ، وجوه غارقة في الغضب واليأس .
في المركز... شابان يواجهان بعضهما ، يحملان نفس الدرع ، نفس الشعار ، نفس الندبة على الجبين .
لكن أحدهما كانت عيناه بلون الفولاذ ، والآخر كانت عيناه بلون الجمر .
زايل همس :
"إنهما... متشابهان ."
أورين قال ببطء ، وكأنه يكتشف الحقيقة مع كل كلمة :
"ليسا متشابهين... إنهما... إخوة ."
ظهر المشهد واضحًا :
كايَن... واسترافا .
شابان يقفان وسط بحر من الجثث ، دماؤهما على السيوف ليست من أعدائهما فقط... بل من رفاقهما أيضًا .

صوت ثقيل اخترق الصمت ، لم يعرفوا إن كان ذاكرة أو كيانًا حاضرًا :

"في ذلك اليوم... لم نقسم على حماية المملكة ،

بل على كسرها إن حاولت كسرنا ."

ليانا نظرت إلى كايَن ، وجهها نصفه سؤال ونصفه خوف :

"هذا... صوتك ."

كايَن أغلق عينيه ، وكأنه يجرح نفسه بإعادة التذكر :

"هذا صوتنا... معًا ."

الرسالة الثانية — القسم الذي وُقّع بالدم

الأرض تحت أقدامهم تحولت إلى طاولة حجرية دائرية ، سطحها محفور بخطوط متداخلة ، كأنها خرائط لممرات تحت الجلد .

في وسطها... خنجر قصير ، نصلُه أسود لامع ، وعليه بقايا دمٍ لم يجف ، رغم أن ما يرونه عمره مئات السنين .

كايَن كان هو أول من تحرك ، يمد يده نحو الخنجر ، لكن يده ارتجفت... وكأن ذاكرة الألم ما زالت هناك ، تنتظر أن تعود لتُكمل .

أورين بصوت مبحوح :

"هذا هو... أول ختم ."

ليانا ، وهي تحدق في الخنجر :

"ختم ماذا؟"

كايَن نظر إليها طويلاً... ثم قال :

"ختم الأخوّة... الذي تحول إلى لعنة ."

تبدل المشهد فجأة ، لم تعد الطاولة موجودة... بل معسكر مضاء بنيران مشتعلة ، والأصوات من كل اتجاه : ضحكات ، خطوات ، صليل أسلحة .

وسط ذلك... كان كايَن واسترافا يجلسان قرب النار ، يقتسمان كسرة خبز ، ويتحدثان بصوت منخفض .

استرافا :

"حين يسقط الملك... لن يكون بيننا من يأمر الآخر ."

كايَن :

"لن نسقطه لأجل العرش... بل لأجل أنفسنا ."

الصورة اهتزت فجأة... النيران انطفأت... وصوت الحديد وهو يخترق اللحم دوى في الفراغ .

زايل تراجع خطوة ، عيناه متسعتان :

"أحدكما... طعن الآخر ."

كايَن همس :

"كنت أنا... لكنه لم يمت ."

عادوا إلى الطاولة الحجرية ، لكن هذه المرة ، الخطوط التي كانت محفورة على سطحها بدأت تتوهج بضوء أحمر ، والخنجر ارتفع ببطء في الهواء ، كما لو أن شيئًا غير مرئي يقدمه لهم .

أورين حاول لمس النصل ، لكن حرارة حادة دفعته للخلف ، وكأن الدم الذي يغطيه ما زال طازجًا .

ليانا نظرت إلى كايَن :

"هذا الختم... هل هو السبب في كل ما يحدث؟"

كايَن أجاب ، وصوته مشبع بمرارة لا تشبه أي مرارة أخرى :

"الختم لم يُنشئ اللعنة... بل منعها من الموت ."

الأرض تحتهم بدأت تتصدع ، لكن الشقوق لم تكشف عن فراغ أو نار... بل عن مشاهد من عصور مختلفة :

معارك ، وجوه ، أماكن...كلها تدور حول نفس اللحظة :
كايَن واسترافا ، في مواجهة ، دائمًا ، أبدًا .
زايل بصوت مرتجف :
"إنه ليس زمنًا واحدًا... إنها دوائر ."
أورين ، بعينين تلمعان بخوف حقيقي :
"والختم... هو المحور ."
الرسالة الثالثة — المحكمة التي بلا قاضٍ
الدوائر الزمنية بدأت تدور أسرع ، وكل دورة تصطدم بالأخرى حتى تشققت السماء فوقهم ، لتسقط منها سلاسل من ضوء أسود ، تلتف حول أذرعهم وأعناقهم ، وتجبرهم على النظر .
وسط هذا السحق البصري ، ظهر استرافا ، لكن ليس كما يعرفونه... لم يكن عدواً ، ولا محارباً ، بل واقفًا أمام بوابة حجرية ضخمة ، يمسك بيده نفس الخنجر الذي رأوه قبل قليل ، وعيناه ليستا سوداوين... بل شبيهتان بعيني كايَن .
استرافا :
"أنا الحارس الأول... وأنت الوريث .
إذا فتحت الختم... لن يكون هناك من يغلقه ثانية ."
كايَن ، وهو يختنق من السلاسل التي تضغط صدره :
"كنتَ أخي... لماذا وقفت ضدي؟"
استرافا يبتسم... ابتسامة بلا فرح :
"لأ ني كنت أعرف أنك ستقف ضدي ."
المكان تغير إلى قاعة هائلة ، جدرانها مغطاة بوجوه محفورة في الحجر ، كل وجه ينظر إليهم بعينين فارغتين ، لكنها تتحرك ببطء ، تتابعهم ، تحاسبهم .

أورين شعر بأن شيئًا ما في الهواء يقرأ أفكاره ، يقلب ذكرياته ، يكشف أسراره أمام الجميع .
صوتٌ بلا جسد :
"كل ختم يحتاج إلى دم... دم من خان ودم من خُونِ ."
ليانا التفتت نحو كايَن :
"وهذا الدم... كان دمك ودمه؟"
كايَن لم يجب... لكن الأرض تحتهم بدأت تمتلئ ببقع حمراء ، تتشكل منها دوائر تحاصرهم .
من وسط القاعة ، ارتفع عمود من الزجاج الداكن ، كل سطح منه يعكس مشهداً مختلفًا :
مرةً يرون استرافا يقتلهم جميعًا ، ومرةً يرون كايَن يفعل الشيء نفسه ، ومرةً يرون أنفسهم... يقفون معًا كأخوة ، لكن البسمة على وجوههم تتحول إلى دماء تلطخ الشفاه .
زايل تقدم خطوة ، يحدق في انعكاسه :
"كم مرة... كررنا هذا المشهد؟"
أورين بصوت منخفض :
"مرات أكثر مما يسمح به العمر... وأكثر مما يسمح به العقل ."
الانعكاسات تحطمت فجأة ، وشظاياها تحولت إلى أسراب من الظلال ، كل ظل يطابق أحدهم ، لكن عيونه مملوءة برغبة قتل لا تهدأ .
استرافا عاد للظهور في وسط القاعة ، لكن هذه المرة ، ظهر بينه وبين كايَن خط من الدم يمتد من قلب كل منهما إلى الآخر .
استرافا :
"القسم الذي أخذناه... لم يكن على النصر أو الموت ،

بل على البقاء في الدائرة... حتى تبتلعنا ."
ثم ألقى الخنجر بينهما ، والدم الذي كان على نصله بدأ يقطر... لكن لم يصل إلى الأرض .
كل قطرة تحولت إلى دائرة جديدة ، تدور ببطء... بانتظار من يكملها .
الرسالة الرابعة — الدم الذي لا يجف
الخنجر في الأرض كان يئن... نعم ، يئن ، كما لو أن المعدن نفسه يتألم من بقائه بعيداً عن يد صاحبه .
حول النصل ، بدأت الدائرة الدموية تتسع ، خطوطها تنقش نفسها على الأرض كأنها تكتب كتاباً لا يستطيع أحد قراءته .
الظلال التي تشبههم تقدمت خطوة واحدة .
صوتها لم يكن صادراً من أفواهها ، بل من قلوبهم... من أعمق ذكرياتهم ، كأنها تتكلم بلسان الندم الذي لم يعترفوا به .
ظل كايَن :
"أنتَ من كسرت العهد ."
ظل استرافا :
"وأنتَ من ترك الباب مفتوحاً ."
كايَن نظر نحو أخيه ، لم يجد فيه ملامح العدو ، ولا ملامح الصديق... فقط ملامح رجل ظل واقفاً على نفس العتبة ألف مرة ، ولم يعبرها .
استرافا رفع يده ، فاشتعل الهواء بينه وبين كايَن برؤيةٍ غير مرئية للآخرين : مشهد قديم ، أرض مغطاة بجثث ، سماء مخضبة بلونٍ الغروب الميت ، وهما يقفان وسط الدمار ، يضعان سيفيهما فوق بعض ، ويقطعان كفيهما ، يمتزج الدم على الفولاذ ، ويقولان بصوت واحد :
"نقسم على أن نبقى حارسين للختم... حتى تعود الدائرة ."

لكن ما لم يُسمع يومها... كان الصوت الثالث ، الخفي ، الذي همس خلفهما :
"ومن يكسر القسم... سيُحكم عليه بالبقاء في كل الدوائر... بلا موت ."
الظلال هاجمت .
لم تكن معركة جسدية فحسب ، بل كل ضربة كانت تعيد لهم شعور موتٍ سابق ، طَعنات قديمة ، خيانات لم تلتئم ، أصوات أحبائهم وهم يسقطون في فترات لم يعودوا يتذكرونها إلا الآن .
زايل كان يواجه ظله ، لكن كلما ضربه ، انفتحت على جلده ندوبٌ من معارك لم يخضها بعد .
ليانا طعنت ظلها ، لكنها شعرت بأن الخنجر اخترق قلبها هي ، وأنها لم تعد تعرف أيّهما الحقيقي .
أورين وقف ثابتًا ، يراقب... حتى اقترب منه ظله ، وهمس في أذنه بشيء لم يسمعه أحد ، لكن وجهه تغيّر... وكأن شيئًا قد انكسر داخله .
وسط الفوضى ، بدأ الخنجر في الأرض يرتفع ، كأن يدًا غير مرئية تحمله ، وخط الدم بين كايَن واسترافا اشتد لمعانًا ، ثم بدأ ينقسم إلى خيوط تمتد نحو أورين ، ليانا ، وزايل .
استرافا قال بصوت يطغى على كل شيء :
"الختم... يحتاج دم الجميع ."
كايَن صرخ :
"وماذا لو رفضنا؟!"
استرافا ابتسم ، لا بغضب ولا بشفقة... بل بحقيقة باردة :
"الختم لا يسأل ." وبينما تسحبهم الدائرة إلى مركزها ، أدركوا جميعًا أن ما وراء الختم لم يكن مجرد سجن لاسترافا... بل كان السجن الذي صُمم لهم جميعًا ، منذ اللحظة التي اختاروا فيها أن يمشوا معًا .

الفصل الرابع والأربعون

غرفة 0 – لا أحد دخلها وخرج

"هناك أبواب لا تُفتح... لأنها لم تُغلق أبداً ."

الدائرة لم تنفجر... بل انقلبت .
الأرض تحولت إلى سقف ، والسماء إلى حفرة ، وكل شيء انسكب نحو الأسفل كأن الجاذبية قررت أن تغير ولاءها .
لم يكن سقوطهم سقوطًا جسديًا فقط ، بل كان إحساسًا بالانحدار عبر ذكرياتهم .
كل لحظة ندم... كل موت شهدوه... تمر أمامهم كأرضيات تهشموا فوقها ، ثم يتركونها وراءهم .
ارتطموا بأرض من الحجر الأسود .
لكن هذه الأرض كانت مائلة ، بحيث إذا وقفتَ ، شعرت أن جسدك يُسحب نحو الظلام في أحد الزوايا .
الضوء الوحيد جاء من خط أحمر رفيع ، يمتد على الجدار كجرح قديم لم يلتئم .
زايل مسح العرق عن جبينه :
"أين... نحن؟"
أورين نظر حوله ببطء :
"غرفة بلا رقم ."
في أحد الجدران ، كان هناك باب معدني ضخم ، لكن ملامحه لم تكن ثابتة... كأن المعدن نفسه يتنفس ، وتحت لمعان الصدأ ، ظهرت انحناءات تشبه فمًا يبتسم .

ليانا ، بصوت منخفض :

"هل ترون...؟"

كايَن قاطعها ببرود :

"نعم .

إنه ينظر إلينا ."

لم يكن أحدهم متأكداً إن كان الباب يقترب... أم أن الجدران هي التي تنحسر للخلف .

كلما اقتربوا من الباب ، سمعوا وقع أقدام خلفهم... لكن حين التفتوا ، لم يجدوا أحداً .

ثم جاء الصوت :

منخفض ، أجوف ، يردد أسماءهم ، لكن ليس كما تُنطق عادة بل كما تُقال في لحظات الاحتضار .

ليانا شدّت قبضتها على خنجرها :

"هذا المكان... لا يردد أصواتنا .

إنه يعيد آخر مرة نطقنا فيها أسمائنا ."

أورين توقف فجأة ، ونظر إلى زاوية مظلمة... هناك ، بين تشققات الحجر ، كانت عين بشرية كاملة ، تحدق به دون رمشة ، ثم تذوب في الجدار كقطرة ماء .

زايل ، متوتراً :

"رأيتها ، أليس كذلك؟"

أورين بصوت هادئ :

"لا تنظر مرتين... من ينظر مرتين لا يخرج ."

اقتربوا من الباب ، فتوقف عن التنفس ، ثم تكلم بصوت حديدي جاف :

"لا أحد دخل... وخرج ."

كايَن تقدم خطوة :

"سنرى ."

لكن الباب ضحك... ضحكة معدنية ، قصيرة ، كأنها صفعة .

"أنتم لستم الداخلين... أنتم ما كان في الداخل ."

حين لمس كايَن الباب ، انشقّ الخط الأحمر على الجدار فجأة ، وخرج منه ضوء غامق... نعم ، غامق ، كأن النور نفسه فقد لونه .

هذا الضوء مرّ على وجوههم ، وفي لحظة خاطفة ، رأى كل منهم الآخر... ميتًا .

زايل برأس محطم ، ليانا بعينين مفتوحتين بلا روح ، أورين غارق في دم ليس له ، وكايَن نفسه... مختفي من المشهد .

ليانا همست :

"لقد رأيت... موتنا جميعًا ."

أورين بصوت أشبه بالهمس :

"إنه لا يعرض لنا ما سيحدث... بل ما يريد أن يحدث ."

الجدران بدأت تتحرك ببطء ، ليس إلى الداخل أو الخارج ، بل وكأنها تتنفس هواءهم .

مع كل شهيق ، كانت رائحة العفن والحديد الصدئ تتضاعف ، ومع كل زفير ، كانت الأرض تهتز كنبض قلب ضخم تحتهم .

زايل ، وهو يبتعد للخلف :

"هذا المكان... حي ."

كايَن ، بصوت منخفض :

"لا... هذا المكان جائع ."

في الزوايا البعيدة ، ظهرت مرايا رفيعة ، منتصبة في أماكن لم تكن موجودة قبل لحظات .
لكن انعكاساتهم كانت بطيئة... كأنها تفكر قبل أن تقلدهم .
زايل اقترب من انعكاسه ، فابتسم الانعكاس قبله ، ورفع السيف ، بينما هو لم يفعل شيئًا .
ليانا جذبته للخلف بعنف :
"لا تعطِهم وقتًا للنظر فيك ."
من بينِ همسات الغرفة ، بدأت تُمحى أسماؤهم من النداء .
في البداية نطق الصوت أسماءهم ناقصة ، ثم تحولت إلى أنين غير مفهوم .
أورين وقف ساكنًا ، كأنه فهم شيئًا :
"حين ينسى هذا المكان اسمك... ينسى أنك كنت موجوداً ."
زايل بصوت حاد :
"وهذا يعني...؟"
أورين ، ببرود :
"يعني أنك تصبح جزءاً منه ."
كايَن تقدّم خطوة نحو الباب... لكن لم يُسمع أي صوت لخطوته .
كأن قدميه لم تلمسا الأرض .
حين التفتوا ، وجدوا أن ظلّه ما زال واقفًا في الخلف .
الظلّ التفت إليهم... ثم ابتسم ، واختفى .
كايَن ضغط على مقبض سيفه بشدة :
"لن يكرر ذلك مرتين ."
دون أن يلمسه أحد ، انفتح الباب ببطء ، صوت احتكاك المعدن بالحجر كان كأنين حديد يُسحق .

خلفه... لم يكن هناك ممر أو غرفة .
بل فراغ أسود ، يتصاعد منه بخار بارد ، ورائحة ماء آسن... مع دم قديم .
ليانا بصوت هامس :
"هذه... ليست وجهتنا ."
الباب أجاب ، ببطء :
"ستكون ."
لم يتكلم أحد .
الأربعة عبروا عتبة الباب ، لكنهم شعروا أنهم لم يتحركوا .
كان المشهد خلفهم كما هو... ومع ذلك ، أغلق الباب ، وكأنه لم يكن موجوداً أصلاً .
الأرض تحت أقدامهم لم تكن حجراً ولا ترابًا ، بل سطحًا زجاجيًا أسود ، يُظهر تحتهم أشكالاً تتحرك في الظلام .
أيد كثيرة ، بعضها بشرية ، بعضها ليس كذلك... تمتد وتصعد ، لكنها لا تكسر السطح .
ليانا وضعت يدها على سلاحها ، همست :
"إذا انكسر الزجاج... نحن معهم ."
عند أول خطوة ، خرجت من الجدران ظلال رفيعة ، دخلت في أجسادهم دون أن تمنحهم فرصة للمقاومة .
زايل انحنى ، يلهث بشدة :
"كأن أحداً يزحف داخل عروقي ."
أورين وضع يده على صدره ، وقال بصوت متقطع :
"إنها تبحث... عن أماكن فارغة فينا ."
كايَن شدّ قبضته على سيفه :

"لن تجد شيئًا فارغًا عندي ."

لكن ليانا نظرت إليه نظرة حادة :

"كلنا فيه فراغ... وإلا لما جئنا ."

بينما كانوا يتقدمون ، بدأ السقف يهبط ببطء ، ليس ليسحقهم . . . بل ليضع فوق رؤوسهم طبقة من الرماد البارد ، يلتصق بجلودهم ويخترق مسامهم .

أورين تراجع خطوة ، لكن الرماد تبعه ، حتى غطى كتفيه ورقبته .

"هذا ليس رماد حجر... إنه رماد أحياء ."

زايل ، بضحكة قصيرة مظلمة :

"إذن نحن الآن نرتدي موت أحدهم ."

لم يكن هناك إحساس بالوقت .

لم يعرفوا كم ساروا ، لكن فجأة ، وجدوا أنفسهم جميعًا أكبر سنًا .

تجاعيد على وجوههم ، شعور بثقل في العظام .

ليانا تحسست وجهها ، ارتجفت :

"لقد... سرقوا سنوات من حياتنا ."

أورين بصوت منخفض :

"لا... هم جعلونا نعيشها هنا ."

وصلوا إلى ممر مستدير ، يمشون فيه ، لكن كل مرة ينتهون عند نقطة البداية .

أحيانًا يلتقون بأنفسهم قادمين من الاتجاه الآخر... لكن النسخ الأخرى كانت صامتة ، وعيونها فارغة .

زايل رفع صوته :

"أيّنا الحقيقي؟"

كايَن بصوت بارد :

"كلنا... حتى نموت ."

جدار الأسماء في قلب الممر ، ظهر جدار محفور عليه آلاف الأسماء ، لكن عند اقترابهم ، وجدوا أسماءهم جميعًا منقوشة عليه... وبجانب كل اسم ، تاريخ وفاة .
الغريب... أن التاريخ لم يأتِ بعد .
ليانا بخوف :
"هذا... موعدنا ."
أورين مد يده ، ومحا اسمه بظفره :
"لا يوجد موعد... إذا رفضناه ."
لكن ما إن محا الاسم ، حتى انطفأ جزء من الضوء في الغرفة .
أصوات بدأت تتردد في رؤوسهم ، ليست كلمات ، بل نبضات ، كل نبضة تقطع خيطًا من ذكرياتهم .
زايل توقف فجأة ، سأل :
"من أنتم؟"
كايَن أمسكه بقوة :
"تذكر... قبل أن تأكلك الغرفة ."
لكن أورين كان ينزف من أنفه ، عيناه مغطات بسواد يتسع .
الجدران انشقت فجأة ، وفصلت كل واحد منهم في ممر مختلف .
لم يعودوا يرون بعضهم ، لكن أصواتهم بقيت... مشوهة .
ليانا سمعت كايَن يقول بصوت غريب :
"لقد تركناهم ، لنعود سالمين ."
زايل سمع ليانا تضحك ضحكة لا تشبهها .
وأورين سمع نفسه... يصرخ .
كل واحد منهم واجه "نسخته الأخرى" .

نسخة بلا رحمة ، تسعى لإقناعه أن يبقى في الغرفة إلى الأبد .
النسخ كانت تعرف كل أسرارهم ، وتطعنهم بها بلا تردد .
كايَن واجه نفسه وهو يهمس :
"لقد كنتَ ظل استرافا منذ البداية ."
زايل سمع صوته الآخر يقول :
"أخوك لم يمت في الحرب... أنت قتلته ."
ليانا سمعت :
"أنتِ لم تحُبّي أحداً... إلا حين مات ."
عندما حاولوا الرد ، بدأت أجسادهم تتشقق من الداخل ، ليس كجروح ، بل كأنهم تماثيل حجرية تنهار ببطء .
أورين صرخ ، وانفجرت حوله دوامة من طاقة سوداء ، كسرت أوهام الغرفة لثوان .
"ليسً بعد... لن آكلكم ."
عند تلك اللحظة ، اندفعت القوة المظلمة فيهم جميعًا .
كايَن صار أضخم ، عيناه تلمعان كالدم ، زايل اشتعل هالة من الغضب حوله ، ليانا اختفت من البصر وظهرت خلف عدوها ، وأورين صار ظلاً متجسداً .
تحطمت الجدران ، وتقلصت الغرفة كأنها تخافهم .
وقبل أن يغادروا ، سمعوا صوتًا واحدًا في عقولهم جميعًا :
"أنتم لم تدخُلوا هذه الغرفة... أنتم وُلدتم فيها ."
ارتجفوا ، لكن لم يتوقفوا ، اندفعوا نحو الباب الذي عاد للظهور .
الخروج... أم الدخول؟
عبروا الباب... ليجدوا أنفسهم في ممر جديد ، لكن كان بنفس الجدران السوداء... وباب آخر في نهايته مكتوب عليه :

"غرفة 1" .

زايل ، بابتسامة مرة :

"يبدو أننا... لم نخرج بعد ."

وهنا... أُغلق الباب خلفهم .

الفصل الخامس والأربعون

لم نكن أربعة فقط...

كان الممر ساكنًا... حتى انكسر الصمت بصوت لم يكن بينهم ، صوت بشري تمامًا ، لكنه جاء من خلفهم :
"أخيراً... تحركتم من مكانكم ."
الأربعة تجمدوا ، التفتوا في وقت واحد ، ولم يكن هناك أحد... في البداية .
ثم ، من الظل على الجدار ، بدأت ملامح رجل تتكوّن... ببطء ، كما لو أن الظل نفسه كان يتردد قبل أن يمنحه شكلاً .
من هو؟
الرجل كان طويل القامة ، جلده شاحب كمن لم يرَ الشمس منذ قرون ، لكن عيناه كانتا صافيتين على نحو مخيف ، تحملان لون الماء في ليلة بلا قمر .
زايل أول من تكلم :
"من أنت؟"
ابتسم الرجل ابتسامة هادئة ، بلا فرح :
"أنا... الذي سار في هذه القاعات قبل أن تفتحوا أعينكم على العالم ."
ليانا ، وهي تضيق عينيها :
"هذا مستحيل... لا أحد يبقى هنا أكثر من أيام قبل أن يُبتلع ."
الرجل :
"إلا إذا كنتُ أنا... الذي يبتلع المكان ."
جلس الرجل على حجر بارز من الجدار ، وكأنه في منزله ، وبدأ يتكلم وكأن الوقت لا يعني شيئًا :

"عشتُ قرونًا في قارة الوحوش ، بين ممالك الدم ومجالس العظام ، بين أسياد لا يرحمون ، وملوك لا يموتون... وتعلمت أن البقاء لا يعني أن تكون الأقوى ، بلً أن تكون منسيًّا بمًا يكفي ."

أورين ، ببرود :

"لماذا تظهر الآن؟"

الرجل ، وهو يحدق في كايَن :

"لأنكم بدأتم تقتربون من السؤال الخطأ ."

كايَن رفع حاجبه ، صوته يزداد صلابة :

"وما هو السؤال الخطأ؟"

الرجل اقترب حتى صار ظلُّه يلتف على ظلهم :

"اسمٌ... لا يُقال إلا قبل الموت ."

زايل ، بضحكة جافة :

"جيد... لأننا نموت كثيراً هنا ."

الرجل ، بابتسامة خافتة :

"اسمه... استرافا ."

الهواء تجمد ، وكأن الجدران سمعت الاسم وارتجفت .

"أحيانًا... من ينجو ليس الأقوى ، بل الأشد إصرارًا على ألا يُنسى ."

كانت خطواتهم في ممر معبد الظلال أشبه بضربات قلب خافتة ، تتردد على جدران تلتهم الصوت بدل أن تعيده .

وفجأة ، انشقت الظلال أمامهم... ليس لتفرج عن وحش ، بل عن رجل .

شَعره ملبّد ، بشرته متشققة كالأرض العطشى ، وعيناه بلون رماد قديم .

قال بصوت لا يليق بمن يتنفس :

"أخيراً... جئتم أنتم الأربعة .

أو... الخمسة ."
زايل ضحك ببرود :
"خمسة؟
يبدو أنك فقدت العد منذ زمن ."
لكن الرجل ابتسم ابتسامة لا تُرى إلا على وجوه من شاهدوا قرونًا من الخراب :
"أنتم لا تذكرون... لكنكم لستم البداية ."
عيناه تعرفان ما لا يجب أن يُعرف .
اقترب كايَن ، حدّق فيه طويلاً ، وكأن ذاكرتين متناقضتين تتصارعان في عقله .
سأل ببطء :
"كيف... بقيت حيًا هنا؟"
أجاب الرجل وهو يرفع يده ليكشف عن ندوب ملتفة حول ساعده :
"حين يرفضك الموت... تصبح ملكًا لقارة الوحوش ."
ليانا تمتمت ، وفي صوتها لمحة من خوف خافت :
"لا يوجد بشر يعيش هنا أكثر من أيام... فكيف لقرون؟"
الرجل :
"الأيام والقرون وجهان لنفس الظلام... إذا عرفت كيف تُغلق فم الوقت ."
أورين شد قبضته على كتابه ، صوته منخفض لكن مشحون :
"أنت تعرف من كان هنا قبلنا ."
الرجل نظر مباشرة إلى كايَن قبل أن يجيب :
"أعرفهم... واحدًا واحدًا .
وأعرف ذاك الذي تسمونه الآن استرافا الساقط... كان يومًا يقف حيث تقفون ، ويقسم بسيفه مع من بجانبه... أخوه بالدم والقسم ."

زايل :

"تقصد...؟"

الرجل قاطع بابتسامة ميتة :

"كايَن... لم يكن خصم استرافا ، بل كان نصفه الآخر ."

كلمات الرجل كانت كحجر يُلقى في بئر راكدة .

صمت ثقيل خيّم ، حتى الهواء بدا كأنه يحاول أن يتراجع إلى الخلف .

ليانا حدّقت في كايَن :

"هل هذا... صحيح؟"

كايَن لم يرد .

لكن عينيه ، اللتين كانتا دائمًا تشعّان بغضب هادئ ، أظهرتا ومضة من شيء أعمق... حزن قديم ، مختوم ، لا يزول .

الرجل تقدم خطوة :

"ما كان بينهما ليس مجرد دم... بل وعد .

ووعدٌ كُسر... يصنع وحشًا أقوى من أي لعنة ."

اقترب الرجل منهم حتى صار صوته يختلط بصدى أنفاسهم .

قال :

"الوعد بين استرافا وكايَن... لم يكن أن يعيشا معًا ، بل أن يموتا معًا .

لكن أحدكما ترك الآخر ليتعفّن بين أنياب الظلال ."

كايَن همس ، كمن يجرح نفسه بالكلمات :

"لم أتركه... لقد... اخترتُ أن أُختَم معه ."

الرجل :

"لكن الختم لم يأخذك... أخذ هو فقط .

والشيء الذي خرج من الختم... لم يعد أخاك ."

ليانا شعرت ببرودة غير طبيعية تسري في جلدها ، وكأن الجدران استمعت لما لا يجب أن يُقال .
الرجل أدار ظهره ، وأشار إلى ممر جانبي غارق في سواد كثيف .
"تلك الغرفة... تحمل أسماء جميع من دخل هذه الأرض ، ونجا ."
زايل بسخرية جافة :
"إذن لن نجد أسماء كثيرة ."
الرجل لم يلتفت :
"بل لن تجدوا سوى اسم واحد .
اسمي ."
أورين تمتم وهو يخطو :
"وما قيمة البقاء... إذا كنت وحيداً في قائمة الناجين؟"
الرجل :
"القيمة... أنك تصبح الشاهد الأخير على أكاذيب الجميع ."
حين دخلوا الممر ، بدأ الهواء يتغير... صار أثقل ، وكأنهم يسيرون داخل صدر كائن ضخم يتنفس ببطء .
الجدران بدت وكأنها مغطاة بطبقة لامعة من العظام المسحوقة .
الرجل قال وهو يمرر يده عليها :
"هذه القارة لا تنسى .
كل صيحة ألم ، كل وعد مكسور ، كل موتٍ بلا شاهد... يُحفر هنا ."
كايَن بصوت خافت :
"وكيف عشت مع هذا... لقرون؟"
الرجل ابتسم ابتسامة لا فرح فيها :
"لم أعش... أنا فقط لم أمت ."

وصلوا إلى قاعة صغيرة ، في وسطها دائرة محفورة في الأرض .
رموزها تشبه تلك التي كانت على الختم الذي احتجز استرافا ، لكن مع تعديل واحد... رمز إضافي في المركز .
أورين ركع ليتفحصه :
"هذا... ختم أخوي .
نُقش ليستوعب روحين بدل واحدة ."
زايل نظر نحو كايَن :
"إذن... كان يجب أن تُختم معه بالفعل ."
الرجل بصوت حاد :
"لكن الختم فشل... لأنه في اللحظة الأخيرة ، اختار قلب أحدكما الحياة ."
الهواء في القاعة بدأ يبرد بسرعة ، والنور الخافت الذي كان يتسرب من الشقوق في الجدران انطفأ واحداً تلو الآخر .
ليانا أمسكت بخنجرها :
"هناك من يقترب... ليس إنسانًا ."
الرجل رفع رأسه ، وعيناه تغوصان في الظلام القادم :
"إذن... لقد شعر أننا نتحدث عنه ."
من الظلام العميق ، برزت كف هائلة ، مشوهة ، مغطاة بجلد متشقق ينبعث منه بخار أسود .
أصابعها لم تلمس الأرض ، بل كانت تطفو... كأنها تحمل شيئًا أثقل من الحجر .
كايَن رفع سيفه ، لكن الرجل أوقفه :
"لا... إذا ضربته الآن ، سيتذكر وعده معك ."
كايَن بحدة :

"دعه يتذكر إذن!"

الرجل بابتسامة غامضة :

"ربما... لكن تذكّره سيكون بداية النهاية ."

قبل أن تلامس اليد الأرض ، وقف الرجل بينهم وبين الظل ، مدّ ذراعيه كمن يسلّم نفسه .

همس :

"لقد نجوت لقرون... لكن ربما كنت فقط أعيش لأصل إلى هذه اللحظة ."

ثم نظر إلى كايَن :

"هو سيأتي بك... سواء كنتَ معه أو ضده ."

وقبل أن يرد أحد ، انغلقت الظلال حول الرجل وسحبته في صمت... كأنها تعيد شيئًا ضاع منذ زمن بعيد .

تركهم الممر أحياء... لكن أقل عدداً .

الفصل السادس والأربعون

نزف لا يظهر في الجسد

"بعض الأسماء ليست لتعريفك... بل لتذكيرك بأيّ روح قتلتك ."

الضباب كان يلتفّ حولهم كأفعى بطيئة ، يمدّ عنقه على شكل ممر ضيق .
الأربعة مشوا بحذر ، حتى توقفت ليانا فجأة .
عينان بعيدتان كانتا تلمعان وسط الظل... أقرب من أن تكونا عيني وحش ، وأبعد من أن تنتميا لبشر .
خرج الرجل من بين الضباب ، خطواته بلا أثر على الأرض .
ملابسه داكنة ، وكتفاه يكسوهما جلد حيوان لا يعيش إلا في الحكايات القديمة .
زايل وضع يده على سلاحه :
"من أنت؟"
الرجل ابتسم :
"اسألوا قارة الوحوش عني... يقولون عني الميثوس ."
أورين :
"لكن هذا ليس اسمك الحقيقي ."
الرجل توقف لحظة ، وكأنه يزن إن كان الوقت مناسباً :
"الميثوس لقب... اسمي الحقيقي هو إيردوس فالين ."
كايَن لم يتحرك ، لكن عيناه ضاقتا قليلاً .
إيردوس التفت نحوه فجأة ، وصوته صار أعمق :
"أنت... أعرفك ."

إيردوس خطا خطوة للأمام ، عينيه تحفران في وجه كاين :

"أنت هو... أنت أخ والدتي .

أنت... عمي ."

زايل حدّق في كاين بصدمة :

"عَمّك؟!"

ليانا نظرت إلى الاثنين ، ثم قالت :

"وهذا يعني..."

أورين أكمل عنها :

"أن دماءكم... متشابكة ."

كاين لم يرفع صوته ، لم يغيّر ملامحه :

"وماذا يعني لك هذا؟"

إيردوس ، بابتسامة شاحبة :

"يعني أن الدم الذي فيك... نصفه من دمها .

والنصف الآخر... من لعنةٍ لم أسمح لنفسي أن أرثها ."

ليانا ، بفضول قاتل :

"أي لعنة؟"

إيردوس نظر إليها ، ثم إلى كاين :

"اسألوه... لكن احذروا من جوابه ، إن قرر الإجابة ."

كاين أدار ظهره قليلاً ، وكأنه يرفض أن يُعطيهم أي مفتاح .

إيردوس بصوت متماسك ، لكن مملوء بالغضب المكبوت :

"أمي ماتت بيد استرافا .

وأنت ، أيها العم... أين كنت؟"

كاين نظر إليه أخيراً ، ونبرة صوته أشبه بحدّ سكين باردة :

"كنت في المكان الذي لا يمكنه قتلي فيه... وإلا لقتلتُه قبل أن يلمسها ."
زايل ، بنبرة تحد :
"إذا كنتما دمًا واًحداً... لماذا لا تتحدان ضده؟"
إيردوس ضحك ضحكة قصيرة ، بلا أي دفء :
"لأن العم يخفي أكثر مما يُظهر... وأنا لا أثق بمن يملك قوة ولا يستخدمها ."
الميثوس – إيردوس – أخرج أحد سيفيه ، والنصل يعكس لونًا أحمر غريب .
"هذا السيف شرب من دماء أكثر مما رأته عيونكم .
إن لم نلتقِ مرة أخرى ، فهذا لأن أحدنا صار في سيف الآخر ."
دون أي إشارة ، اختفى الرجل بين الضباب ، كما لو أن المكان ابتلعه .
لكن قبل أن يختفي صوته تمامًا ، ترك لهم جملة أخيرة :
"حين يسقط الختم الأخير... سأكون هناك ، سواء أردتم أم لا ."
الأرض بدت كما هي ، لكن أورين لمح شيئًا غريبًا... ظل كاين على الأرض كان يتحرك ببطء ، بعيداً عن جسده ، قبل أن يعود لمكانه فجأة .
أورين بصوت منخفض :
"أخذ منك شيئًا... ولا أظنك تعرف ما هو ."
ليانا :
"سنراه مجدداً... أليس كذلك؟"
كاين ، وهو يشيح بوجهه :
"دمه... ودمائي... لا يسمحان لنا بالهرب ."

الفصل السابع والأربعون

خطوات على العدم

"ليس كل من يمشي... يعرف إلى أين يذهب ، لكن العدم يعرف دائمًا إلى أين يأخذك ."

الضباب بدأ يتلاشى حولهم ، لكن بدل أن يكشف طريقًا ، فتح أمامهم امتدادًا من فراغ أسود ، بلا أرض ولا سماء .
كل شيء كان يبتلع الضوء ، وكأنهم يسيرون في معدة الليل نفسه .
زايل تمتم :
"هذا... ليس ممرًا ."
أورين ، وعيناه تتحركان في كل اتجاه :
"بل فراغ ، صُمّم ليجعلك تنسى أنك كنت في مكان قبل ثوانٍ ."
كاين مشى بثبات ، وكأن العدم أرض يعرفها :
"تابعوا السير... لا تنظروا خلفكم ."
مع أول خطوة ، لم يصدر صوت .
لا صدى ، لا احتكاك ، لا إحساس بالوزن .
ليانا جربت أن تطرق الأرض بقدمها... فلم تجد الأرض أصلاً .
"نحن... نطفو؟"
سألت بصوت منخفض .
كاين أجاب بلا تردد :
"نحن نسير على ما يسمح لنا بالعبور .
لا تختبري صبره ."

من بعيد ، في الضباب الأسود ، ظهرت أشكال تتحرك على نفس خط سيرهم .
ظلال بشرية ، لكن بلا وجوه .
كانت تتبعهم بنفس الإيقاع ، وكأنها تحاكي خطواتهم .
زايل انكمش قليلاً :
"ليست ظلالنا... صحيح؟"
أورين ، وهو يتابعها بعينه :
"لا... هذه آثار من لم يخرجوا من هنا ."
ليانا عضّت على شفتها :
"وهل نحن... في طابور الانتظار للموت؟"
دون مقدمات ، اخترق عقولهم صوت عميق ، وكأنه يتكلم من مكان لا زمن فيه :
"الخطوة التالية... ستكلفكم ذكرى ."
زايل التفت سريعًا :
"من يتحدث؟"
الصوت ضحك ، ضحكة بطيئة :
"منذ دخلتم الظل... أنتم تتحدثون إليّ ."
أورين فجأة لمس كتفه الأيسر ، وكأنه شعر بلسعة باردة .
حين نظر ، لمح على جلده خطًا أسودًا رفيعًا ، يشبه بداية وسم .
"أخذ منك شيئًا..."
قالها كاين من الخلف دون أن يلتفت .
أورين رفع نظره :
"إيردوس...؟"
كاين :

"هو لا يغادر إلا ومعه جزء من مَن يلتقيهم ."
الأرض — أو ما يشبه الأرض — اهتزت فجأة .
بينهم وبين الظلال الأخرى ، انفتح خط من سواد أكثر عمقًا ، كأنه فم ، وابتلع المسافة بينهم .
ليانا حاولت أن تقفز فوقه ، لكن كاين مد يده وأوقفها :
"القفز هنا ليس خيارًا... بل دعوة للسقوط الأبدي ."
الظلال التي كانت تتبعهم بدأت تتقارب... حتى انفصلت كل واحدة منها لتقف أمام صاحبها .
ظلالهم ، لكن مشوهة :
ظل كاين كان أطول ، وأوسع كتفًا ، وعيناه تحترقان بضوء أحمر .
ظل ليانا كان يقطر دمًا من خناجر لا تحملها .
ظل أورين كان محاطًا بكتب محترقة تتفتت مع كل حركة .
ظل زايل كان يضحك ضحكة لا يضحكها .
الصوت عاد ، أكثر قربًا هذه المرة :
"العدم لا يقتل... هو فقط يريك ماذا كنت ستصبح لو لم تُوجد ."
زايل شهق :
"لماذا... ظلّي يضحك؟"
كاين بصوت بارد :
"لأنه ينتظر اللحظة التي تأخذ مكانه ."
أمامهم ، على بعد خطوات ، ظهر نفس الشكل الذي رأوه قبل قليل...
إيردوس .
لكن هذه المرة ، لم يقترب أكثر من خطوة .
"لم أقل إننا انتهينا ."

ابتسم وهو يراقبهم .

"أنتم الآن تمشون على آخر ذكرى لكم في هذا العالم... حين تتركونها خلفكم ، سأعرف إن كنتم تستحقون أن تصلوا ."

إيردوس بدأ يتلاشى مرة أخرى ، لكن هذه المرة ، الظلال بقيت .

خطت كل منها خطوة إلى الوراء... ثم سقطت إلى الوراء في العدم ، تاركة إحساسًا ثقيلاً في صدورهم .

ليانا همست :

"أشعر أن جزءًا مني... لم يعد هنا ."

كاين لم يرد .

لكن في عينيه ، لأول مرة ، كان هناك بريق لم يروه من قبل... بريق يشبه الاستعداد .

الفصل الثامن والأربعون

حدّ العزلة

"أقسى السجون... تلك التي لا تعرف فيها من أنت ، ولا تملك فيها حتى أن تصرخ ."

لم يكن هناك باب ، لم يكن هناك جدار ، ومع ذلك... وجدوا أنفسهم متفرقين .
كل واحد منهم في فراغ بلا أفق ، كأن الهواء نفسه يرفض أن يحمل أصوات الآخرين .
لم يكن هناك ضوء ، لكنهم كانوا يرون... ليس العالم ، بل أنفسهم .
كاين وقف على أرض من زجاج أسود ، تحته بحر من العيون الميتة .
كل عين كانت تنظر إليه وكأنها تعرفه ، وكأنها كانت يوماً ضحية له .
صوت بعيد قال له :
"أنت لا تنقذ... أنت تؤجّل الموت فقط ."
لكنه لم يرد .
يده كانت على سيفه ، والبرودة حوله ليست من المكان ، بل من داخله .
ليانا كانت في ممر طويل ، على جانبيه مرايا محطمة .
كل انعكاس لها في تلك القطع الزجاجية لم يكن ليانا الحالية ، بل نسخ منها ، أصغر وأضعف ، بعضها تبكي ، وبعضها تحمل خنجراً موجهاً نحوها .
كلما تقدمت ، تحركت الانعكاسات خلفها ، أسرع منها بخطوة .
زايل وجد نفسه في ساحة معركة خالية ، السماء مغطاة بالرماد ، والأسلحة مغروسة في الأرض بلا مالك .

صوت صديقه وأخيه الراحل كان يتردّد في الأفق :
"أين كنت عندما متُّ؟"
زايل ركع على ركبتيه ، والرماد بدأ يتساقط على كتفيه كأنه يُدفن حيًا .
أورين كان وسط دائرة من الرمال ، تتحرك تحت قدميه كساعة رمل مقلوبة .
كل حبة رمل كانت لحظة من حياته ، تتساقط في الفراغ .
رأى نفسه طفلاً ، ثم شابًا ، ثم عجوزًا... وكل النسخ تنهار فجأة قبل أن تلمس الأرض .
بين العزلات الأربعة ، كان هناك صوت واحد يعرف الطريق إليهم جميعًا...
الميثوس .
صوته جاءهم جميعًا في وقت واحد ، لكن بكلمات مختلفة لكل واحد منهم ، كأنه يقرأ قلبهم مباشرة .
لكاين :
"أنت تخاف أن تعرف قوتك الحقيقية ."
لليانا :
"الذين قتلتيهم... ينتظرونك هنا ."
لزايل :
"القوة التي تبحث عنها... ستأخذ آخر من تحب ."
لأورين :
"أنت لست سيد هذا السحر... بل أسيره ."
ليانا غرزت خنجرها في فراغ الممر ، فاهتز الجدار الوهمي ، لكنها وجدت نفسها في نفس النقطة ، كأنها لم تتحرك .
زايل حاول أن يركض في الساحة ، لكن الأرض كانت تطوى من تحته ليعود إلى مكانه .

كاين لم يتحرك خطوة واحدة... وكأنه يعرف أن الحركة عبثية .
للحظة ، التقت عوالمهم الأربع .
رأوا بعضهم على هيئة ظلال مشوهة ، تتفتت أقدامها إلى غبار أسود .
الميثوس كان يقف بينهم ، بلا ظل... بلا انعكاس... وكأن المكان لا يعترف بوجوده .
أورين صاح عبر الفراغ :
"لماذا تفعل هذا؟"
الميثوس ابتسم :
"لأعرف أيّكم سيسقط أولاً... وأيّكم سيقف حتى النهاية ."
زايل ردّ بحدة :
"وأنت؟"
الميثوس :
"أنا لا أسقط... أنا أختفي ."
كاين أغمد سيفه فجأة في الأرض الزجاجية تحته .
الصدع انتشر في كل العوالم الوهمية دفعة واحدة ، والمرايا عند ليانا تحطمت ، وساحة زايل بدأت تتلاشى ، والرمال عند أورين تناثرت في الهواء .
الميثوس نظر إليه بصمت... كأنه رأى شيئًا لم يكن مستعداً له .
كاين تقدّم خطوة واحدة نحو الميثوس ، الهواء صار أثقل ، والظلال انسحبت للخلف ، وكأن المكان نفسه خاف أن يكون قريبًا منه .
الميثوس همس :
"أنت... لست كما تظن ."
كاين :
"وأنت... ستكتشف ذلك بنفسك ."

الفراغ كله بدأ يتفتت ، وكأنهم داخل لوح زجاجي يسقط من ارتفاع هائل .

أصوات صراخ بعيدة جاءت من أماكن لا يعرفونها ، وكأن مئات الأرواح كانت محتجزة هنا .

في لحظة ، سقطوا جميعًا في الظلام .

استفاقوا في أرض الظل مجدداً ، لكن خطوات الميثوس كانت أمامهم ، وكأنه خرج قبلهم بلحظات فقط .

ليانا همست :

"لماذا... أشعر أن شيئًا بقي هناك؟"

كاين ، وهو يشيح بنظره :

"لأن العزلة الحقيقية... لا تتركك حتى لو خرجت منها ."

الفصل التاسع والأربعون

السكون الحي – حين توقف العالم عن الكلام

"هناك صمت... وصمت آخر يبتلع المعاني قبل أن تولد ."

بعد أن خرجوا من عزلة الميثوس ، لم يكن هناك صوت خطوات ، ولا حتى حفيف أنفاس .
الأرض تحتهم كانت صلبة ، لكنها بدت بلا حياة .
حتى الظلال توقفت عن التمدد ، وكأن الضوء – القليل – تجمّد في مكانه .
زايل توقف فجأة ، ونظر حوله .
"أأحدكم يشعر... أن العالم توقف؟"
ليانا لم تجب ، لكنها شدّت قبضتها على خنجرها ، وسمعت في رأسها خفقة قلبها... ثم لم تسمعها .
أورين حاول أن يتمتم بتعويذة ، لكن الكلمات سقطت من شفتيه بلا صوت ، كأن الهواء رفض حملها .
نظر إلى كاين ، الذي كان واقفًا بلا أي رد فعل ، وكأنه توقّع ما يحدث .
ظلّ كاين كان ممدداً أمامه... لكنه لم يتحرك رغم أنه تقدم خطوة .
ليانا أشارت إلى ظل زايل ، فوجدته أيضًا متجمّدًا ، كأنهم صور معلقة في جدار غير مرئي .
الأرض تحتهم بدأت تتشقق بخطوط رفيعة ، لكنها لم تُصدر أي صوت للكسر .
كان المشهد مثل لوحة تتحطم خلف زجاج سميك ، والعجز عن سماعها جعلهم أكثر توتراً .

بين الشقوق ، ظهرت عيون صغيرة تلمع بالبياض ، بلا جفون ، تحدق فيهم من الأسفل .

زايل قفز للخلف ، لكن حتى وقع قدميه لم يُسمع .

ليانا شعرت بشيء يمرّ بجانب وجهها ، باردًا كالموت ، لكنها لم ترَ شيئًا .

أورين أشار إلى الهواء أمامهم ، وكأنه يرى موجة حرّ ، لكن بلا حرارة... بل فراغ .

كاين رفع سيفه ، ولوّح به بقوة في الهواء... لم يصدر أي صوت .

لكن أثر الضربة ظهر على الأرض ، كخطّ أسود محروق ، وكأن السيف قطع طبقة بين الواقع وما بعده .

شق كبير انفتح أمامهم ، وامتد حتى اختفى في الأفق .

من داخله ، تسرب ضوء أبيض مائل للزرقة ، لكنه لم يضيء... بل سحب الألوان من كل شيء حوله .

ليانا شعرت أن قدميها تتحركان بلا إرادة نحو الصدع .

زايل أمسك بها ، لكن حتى صراخها لم يخرج من فمها .

أورين بدأ يرسم دائرة حماية بيديه ، لكن الرموز اختفت قبل أن يكتمل الخط الأول .

كاين وقف أمام الصدع ، وصدره يرتفع وينخفض ببطء .

نظر إلى الفراغ داخله ، وقال بلا حركة شفاه ، كأن المعنى انتقل مباشرة :

"أعرف أنك هنا ."

الضوء الأزرق تلاشى فجأة ، وعاد اللون إلى العالم ، لكن الهواء ظل ساكنًا .

الأصوات عادت ، ببطء ، كأنهم يستعيدون حاسة منسية .

أول صوت سمعوه... كان ضحكة بعيدة ، لم يعرفوا إن كانت لرجل أو امرأة .

زايل بلع ريقه :

"من... هذا؟"

كاين :

"ليس مَن... بل ما ."

بينما تحركوا بعيداً عن الصدع ، كان الظلام خلفهم يتشكل على هيئة جسد طويل ، بوجه لا ملامح له ، يراقبهم حتى اختفوا عن الأنظار .

كاين لم يلتفت... لكنه قال :

"الخطوة القادمة... لن يعود بعدها أحد كما كان ."

الفصل الخمسون

ذلك الذي ما زال ينتظر في الظل

"حين يكون الانتظار أطول من الحياة... يصير الظل نفسه جسدًا ."

الطريق أمامهم كان مستقيماً ، لكن الضباب كان يلتفّ حوله في دوائر ، كأن المكان يرفض خروجهم .
زايل حاول أن يقطع الدوامة بخطوات سريعة ، لكن الهواء نفسه كان أثقل ، وكأنه يحمل وزنَ زمنٍ لم يمرّ عليهم .
ليانا توقفت فجأة ، وهي ترفع يدها لإسكاتهم :
"هل... تسمعون ذلك؟"
أورين لم يسمع ، لكنه شعر بضغط في رأسه ، كأن كلمات تُلقى مباشرة في دماغه .
الكلمات لم تكن مفهومة ، لكنها كانت تشبه صوتًا يعرفه... من مكان لم يزره قط .
الأشجار من حولهم بدأت تفقد لونها ، تحوّلت إلى رماد رمادي ، وكأن كل ما فيها سُحب نحو مركز مجهول .
أورين أدرك أن الظلال من تحتهم بدأت تتحرك بشكل مختلف عن أجسادهم .
كاين توقف أولاً ، قبل أن ينطق أي أحد آخر :
"دم ."
ليانا لم ترَ أي أثر للدم ، لكنها شعرت بالرائحة ، ليست كرائحة دم جديد... بل دم قديم ، باقٍ من زمن لم يعد موجوداً .

زايل نظر أمامه ، ورأى شخصًا واقفًا على بعد خطوات... لكنه كلما اقترب ، بقي بنفس البعد .

الرجل كان يرتدي درعًا أسود ، وعيناه مضيئتان بضوء أحمر ثابت .

الصوت جاء من كل الاتجاهات :

"أخيراً... وجدتكم ."

لم تتحرك شفاه الرجل أمامهم ، لكن كل كلمة كانت ثقيلة في الصدر كضربة مطرقة .

أورين حاول أن يرفع تعويذته ، لكن أصابعه تجمدت في مكانها ، كأن الأوتار قُطعت فجأة .

كاين حدّق في الرجل طويلاً ، ولم يبدُ عليه أي مفاجأة ، وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة .

"كاين..."

عندما نطق الظل الاسم ، تغيّر الجو من حولهم .

الأرض تحتهم انخفضت بضعة سنتيمترات ، والضباب صار أقرب ، يلامس وجوههم .

ليانا شعرت أن الهواء البارد دخل إلى عظامها .

"لم يتبقَّ غيرك ."

الصوت كان موجّهًا إلى كاين ، لكن الجميع شعر به في قلوبهم .

زايل ، وهو يضع يده على سيفه ، قال :

"مَن هذا بحق الجحيم؟"

كاين ، بهدوء مطلق :

"استرافا ."

الظل أمامهم تمزّق للحظة ، ليكشف عن عيون بشرية تمامًا . . . لكن النظرة التي فيها كانت أكبر من العالم نفسه .
زايل تراجع خطوة بلا وعي ، وليانا شعرت أن أطراف أصابعها فقدت الإحساس .
"احفظ قوتك ، يا كاين... لن أقتلك الآن ."
الظل انحنى قليلاً ، في حركة لا تحمل أي احترام ، ثم اختفى دفعة واحدة ، تاركًا فراغًا يبتلع آخر ذرات الصوت .
أورين حاول أن يتكلم ، لكن حلقه كان جافًا .
ليانا نظرت إلى كاين ، وقالت :
"هو... يعرفك ."
كاين :
"هو لا يعرفني... هو ينتظرني ."
زايل مسح العرق عن جبهته رغم البرد :
"لو كان هذا مجرد انتظاره... فما الذي سيحدث حين يقرر التحرك؟"
كاين مشى للأمام ، وصوته بالكاد يُسمع :
"حينها... لن يكون في هذا العالم مكان آمن حتى للظل نفسه ."

الفصل الحادي والخمسون

أثر من لم يُولدوا بعد

"بعض الحقائق لا تُكتشف... بل تلتهمك حتى تعرفها ."

كانوا يقفون على حافة ما تبقى من الجسر الحجري في أرض الظل .
الهواء مشبع برائحة الرماد والمطر البارد ، والضباب يلتفّ حولهم مثل جسد أفعى يزداد سمكًا كلما اقترب منهم .
أورين كان يحدّق في الفراغ الممتد أمامه ، حيث كانت الظلال تتحرك ببطء... ببطء مريب .
ليانا همست وكأنها تخشى أن تستمع إليها الجدران السوداء المحيطة بهم :
"هناك... شيء ينتظر ."
كاين لم يرد .
زايل نظر إليه ، وكأن صمته أكثر إزعاجًا من أي تهديد قادم .
صوت خطوات ناعمة على الحجارة... بلا أي صدى .
من قلب الضباب ، ظهر إيردوس .
ملابسه ممزقة في بعض المواضع ، سيفاه يتدليان على جانبيه ، وعيناه تلمعان بلون دموي يزداد حدة مع كل خطوة يقتربها .
"وجدتكم ."
ابتسم ،لكن ابتسامته كانت مشدودة ، كأنها قناع على وجه لا يريد أن يكشف ما تحته .
زايل أمسك مقبض فأسه .

"لم نكن نحاول الهرب ."

إيردوس ابتسم ابتسامة أوسع ، لكنها بلا أي أثر للدفء :

"الهروب؟

أنتم في المكان الوحيد... الذي لا يمكن الهرب منه ."

أورين ، ببرود :

"لماذا عدت؟"

إيردوس :

"لأن القصة لم تنتهِ... ولأن النهاية ليست لكم ."

إيردوس رفع أحد سَيفيه ، والنصل عكس لونًا بين الفضي والقرمزي ، كأن المعدن شرب الدم حتى تشبّع .

نظر مباشرة في عيني كاين ، وقال ببطء :

"أعرفك... توأم استرافا ."

الصمت الذي نزل بعد هذه الجملة كان أثقل من أي سلاح .

ليانا تجمّدت ، وزايل شهق بصوت مسموع ، وأورين أغمض عينيه لثانية ، كأنه كان يعرف لكنه تمنى ألا يسمعها .

كاين... لم يتغيّر وجهه ، لكن أصابعه انقبضت على مقبض سيفه ببطء شديد .

إيردوس تقدم خطوة ، وصوته صار أكثر حدة :

"وأنا... ابن أختكما ."

ليانا بصوت متحشرج :

"...ماذا؟"

إيردوس :

"أمي... أختكما .

التي قتلها استرافا بيده ."

زايل أدار وجهه من شدة الصدمة :

"إذن... دمكم واحد ."

أورين قال ببطء ، كأنه يكتب الكلمات على الحجارة :

"دم واحد... وعداوة واحدة ."

إيردوس :

"أعرف أنكما وُلدتما في نفس اللحظة ، تحت نفس النجم لكنكما لم تكونا نفس الشخص .

أحدكما أخذ النور ، والآخر... أخذ الظل ."

كاين ، ببرود مميت :

"الظل والنور... كلاهما يحرق ."

إيردوس :

"لكن الظل... يقتل دون أن يُرى ."

الضباب انقسم نصفين .

من بينه خرج جسد طويل ، عريض الكتفين ، يكسوه درع داكن أشبه بقطعة من الليل ذاته .

استرافا .

صوته لم يكن عاليًا ، لكنه حمل ثقلاً جعل الأرض نفسها ترتجف :

"إيردوس... حان وقت النهاية ."

إيردوس رفع سيفيه واستعد .

"لن أهرب منك كما هرب عمي ."

استرافا ابتسم ابتسامة بالكاد تُرى :

"أنت لم تفهم... لن يكون هناك هروب ."

الهواء بينهما انضغط فجأة ، كما لو أن المسافة تلاشت .

ضربة واحدة من استرافا كسرت دفاع إيردوس ، وضربة ثانية اخترقت صدره بسيف أسود كأعماق الفراغ .

إيردوس تراجع ، الدم يملأ فمه ، لكنه ضحك ضحكة قصيرة :

"كاين... النهاية لك ."

ثم سقط ، وعيناه ما زالتا مفتوحتين ، تحدقان في السماء المظلمة .

استرافا نظر مباشرة إلى كاين :

"الآن... بقيت أنت ."

كاين رد بصوت منخفض ، لكنه اخترق الهواء مثل خنجر :

"كنت... وسأظل... آخر من تقف أمامه ."

استرافا ابتسم ، ثم اختفى في الضباب كما ظهر ، تاركًا الأرض مبللة بدم إيردوس ، وترك خلفه ثقلاً في الصدر... ثقل النهاية القادمة .

وقف الأربعة حول جثة إيردوس .

الغريب أن الدم الذي نزفه لم يتجمد أو يبرد ، بل ظل يقطر ببطء ، وكأنه لا ينوي التوقف .

ليانا انحنت ، مدّت يدها لتغلق عينيه... لكنها تجمدت .

العينان كانتا ما تزالان تتحركان ، ببطء ، وكأنهما تتبعان حركة الضباب من فوقهما .

زايل بصوت خافت :

"الميثوس... لم يمت بعد بالكامل ."

أورين وضع يده على سيفه :

"لا تلمسوه... بعض القلوب تظل تنبض حتى بعد أن تُكسر ."

كاين لم يقترب من الجثة ، لكنه ركع بجانب السيفين اللذين تركهما إيردوس .

حين لمس مقبض أحدهما ، شعر بحرارة معدنه تنبض كنبض شريان ، ورأى أمامه صوراً متقطعة :
أرض غارقة في الدم ، أجنحة تنين تتساقط ، وصرخة امرأة تُقطع فجأة .
ليانا سألت بصوت متردد :
"ماذا رأيت؟"
كاين لم يرد ، لكن قبضته على النصل اشتدت حتى تلونت مفاصله بالبياض .
بينما هم يستعدون للمغادرة ، انفتح الجدار الحجري من تلقاء نفسه ، محدثًا فراغًا دائريًا أسود في المنتصف .
الفراغ لم يكن يشف عن أي مكان خلفه ، بل كان أشبه بجرح مفتوح في الهواء .
أورين قال ببرود :
"هذا ليس مخرجًا... هذا استدعاء ."
زايل نظر حوله بقلق :
"استدعاء من ماذا؟"
صوت بعيد ، عميق ، خرج من داخل الفراغ :
"من حيث لا يولد أحد... ولا يموت أحد ."
كاين تقدم أولاً ، وقف على الحافة ، نظر إلى الضباب خلفهم ثم إلى الفراغ أمامهم .
قال بهدوء :
"قارة الوحوش... تنتظر ."
لم يلتفت إلى البقية ، بل قفز في الفراغ مباشرة ، وكأن الجاذبية سحبت روحه قبل جسده .

ليانا تبعته بعد تردد قصير ، ثم أورين ، وأخيراً زايل وهو يتمتم :
"آمل أن يكون ما ينتظرنا أقل سوءاً مما خلفناه... لكنني أعرف الجواب ."
الفراغ ابتلعهم جميعًا ، وانغلق كما لو لم يكن موجوداً ، تاركًا جثة إيردوس وحدها ، وعيناها ما تزالان تتبعان شيئًا... بعيداً في الظلام .

الفصل الثاني والخمسون

المعبد المنفي - الصوت الذي حُبِس

"بعض الأصوات لا تحتاج إلى لسان... بل تحتاج دمك ليفهمها ."

كانت السماء فوقهم بلون لا يعرفه البشر ، خليط بين أزرق ميت ورماد سائل .
الممر أمامهم انتهى بجدار حجري أسود ، منقوش عليه دوائر متداخلة ، كل دائرة تحتوي على عين مغلقة .
لم يكن هناك باب ، ولا أي علامة على وجود مدخل... لكن الهواء كان يتسرب من بين الحجارة ، وكأنها تتنفس .
زايل بصوت خافت :
"هذا ليس جدار... هذا مخلوق ميت ."
أورين لمس الحجر... وسحب يده فوراً ، فقد شعر بشيء يتحرك تحته .
ليانا كانت تحدق في النقوش ، حتى أدركت أن العيون المغلقة... كانت تفتح ببطء .
حين فتحت العين الأولى ، لم يسمعوا شيئًا... لكن دماءهم بردت فجأة .
لم يكن صوتًا عبر الأذن ، بل عبر العظم واللحم .
كلمات متقطعة ، كأنها تتسلل إلى عروقهم :
"أخيراً... عدتم ."
كاين لم يرفع رأسه ، لكنه رد بصوت بارد :
"لم نأتِ لنعود... جئنا لننهي ."
الصوت ضحك ، وكان الضحك أشبه بصرير مسامير على زجاج .
"من يدخل... لا يخرج .

ومن يسمعني... لن يصمت أبدًا ."

الجدار بدأ يتشقق ، لكن بدلاً من الغبار ، سال منه سائل أسود كثيف ، يقطر على الأرض ويغوص فيها .

زايل رفع سلاحه :

"هذا دم ، أليس كذلك؟"

أورين أشار إلى الشق :

"دم قديم... أقدم من كل شيء هنا ."

ليانا أخرجت خنجرها ، وجرحت إصبعها ، ثم وضعت الدم على أحد النقوش .

فجأة... تراجع الجدار إلى الخلف ، وانفتح على ممر ضيق يختفي في الظلام .

الخطوة الأولى داخله جعلت كل صوت يختفي .

حتى أصوات تنفسهم لم تعد موجودة ، لكنهم شعروا بها داخل رؤوسهم .

الجدران كانت تضيق وتبتعد في الوقت نفسه ، كما لو أن المكان لا يملك شكلاً ثابتًا .

أورين في صمت عقلي :

"هذا المكان... يعرفك أكثر مما تعرف نفسك ."

ليانا نظرت إليه بدهشة :

"كيف سمعتك... وأنت لم تتكلم؟"

زايل ، عبر أفكاره :

"لأننا... لا نتكلم هنا .

المكان... يتكلم بنا ."

في نهاية الممر ، ظهرت قاعة واسعة ، يتوسطها تمثال مكسور لرجل بلا وجه .

التمثال كان يمسك بين يديه جرساً صدئًا ، لكن حين اقتربوا... بدأ الجرس يهتز وحده ، بلا أي صوت .
كاين توقف فجأة ، ويده على سيفه :
"لا تقتربوا أكثر ."
لكن الوقت كان قد فات... ظل التمثال بدأ يخرج من الأرض ، ويأخذ شكلاً حيًا ، بلا ملامح ، لكنه يملك عينين من ظلام سائل .
الصوت عاد ، هذه المرة في قلوبهم مباشرة :
"أحدكم... لن يغادر هذه القاعة ."
الظل المكوّن من السواد السائل بدأ يتحرك ببطء نحوهم ، لكن خطواته لم تُصدر صوتًا .
كلما اقترب ، شعروا بثقل على صدورهم ، كأن الهواء صار أثخن من الماء .
ليانا همست عبر أفكارها :
"إنه يرانا... من الداخل ."
أورين أغمض عينيه للحظة ، وحين فتحهما ، قال ببرود :
"إنه يرى ذكرياتنا... يختار من يقتل أولاً ."
زايل صرخ بلا صوت ، فانطلق للأمام بفأسه .
لكن قبل أن يلمس الظل ، انغمس نصف جسده في الأرض الحجرية كما لو كانت سائلاً ، وعيناه اتسعتا من الرعب .
كاين اندفع نحوه ، جذب ذراعه بقوة ، فخرج زايل ، لكن آثار أصابع سوداء بقيت على رقبته... تحترق ببطء .
زايل ، عبر فمه هذه المرة ، بصوت مبحوح :
"لقد... لمس قلبي ."
الجرس في يد التمثال المكسور بدأ يهتز بعنف ، لكن لم يكن هناك صوت .

بدلاً من ذلك ، شعروا بشيء أشبه بارتطام موجة في عقولهم ، كأن الجرس يدق داخل جماجمهم .

ليانا أمسكت رأسها :

"سوف... يفجر دماغي ."

أورين رفع يده ، وألقى تعويذة حجب ، لكن الظل أوقف التعويذة قبل أن تكتمل ، وكأن الحروف السحرية تموت قبل أن تولد .

كاين مشى للأمام ، بخطوات هادئة ، وأدخل سيفه في قلب التمثال .

لكن بدلاً من أن ينكسر ، التمثال ابتلع السيف حتى النصل الأخير .

الصوت في رؤوسهم صار أكثر حدة :

"لن تأخذوا ما حُبس هنا... بل هو من سيأخذكم ."

الأرض انفتحت فجأة تحتهم ، لكنهم لم يسقطوا... بل بقوا معلقين في الظلام ، أجسادهم ثابتة ، وأرواحهم تتحرك .

من السواد أمامهم ، بدأ يتشكل وجه واحد... لكنه كان يتغير باستمرار :

مرة وجه أم ، مرة وجه حبيب ، مرة وجه عدو ، حتى استقر على وجه إيردوس .

ليانا شهقت :

"هذا... مستحيل ."

إيردوس في الظلام ، بابتسامة باردة :

"لم أنتهِ بعد ."

الوجوه بدأت تتكاثر ، حتى صار كل جدار من القاعة مغطى بوجوه يعرفونها... وبعضها وجوه لم يروها من قبل .

وجوه أطفال ، وجوه موتى ، وجوه تبتسم وهي تنزف .

زايل حطم أحد الجدران بفأسه ، لكن الجدار نزف دماً أسود على شكل كلمات لم يفهموها .

الظل اقترب منهم جميعًا ، ثم مدّ يده ولمس صدورهم الأربعة دفعة واحدة .
في اللحظة نفسها... شعروا بأن أنفاسهم سُرقت ، وأن قلوبهم توقفت لنبضة كاملة .
في تلك النبضة ، رأى كل واحد منهم لحظة موته المحتملة... ولم تكن في نفس المكان أو الزمان .
قبل أن يستعيدوا أنفاسهم ، فتحت العيون الحجرية كلها مرة واحدة ، وأطلقت ضوءاً أسود ، لا يضيء ، بل يمحو ما يراه .
ذلك الضوء ابتلع أجسادهم ، وشعروا كأنهم يُسحبون من داخلهم إلى مكان آخر .
لكن قبل أن يختفي المكان ، سمعوا الصوت يقول :
"قارة الوحوش... تنتظركم ."
آخر ما رأوه كان التمثال المكسور وهو يبتسم... ابتسامة بشرية ، بعيون حية .

الفصل الثالث والخمسون

قارة الوحوش – الخراب المقدّس

"في أماكن معينة... حتى الأرض تتذكر من قتل عليها ."

الباب الحجري للمعبد أغلق خلفهم ببطء ، صريره أشبه بأنين مريض يحتضر .
لم يكن أمامهم سوى سهل رمادي ، ممتد حتى الأفق ، أرضه مشققة كجلد متفحم .
الهواء أثقل من أي مكان مرّوا به ، وكأن كل نفس يسحب معهم ذكرى لم يعشوها .
زايل بصوت منخفض :
"هذه ليست أرضًا... هذا قبر كبير ."
كاين تقدم خطوة ، وعيناه تراقبان الظلال التي تتحرك على الأرض... ظلال بلا أجساد .
همس غريب جاء من الريح ، لم يكن صريراً ولا أنينًا... بل مقاطع كلمات .
أورين توقف وأمال رأسه ، يحاول التقاطها :
"إنها... أسماء ."
ليانا ، بحدّة :
"أسماء من؟"
لكن أورين لم يجب ، لأن أحد الأسماء التي همست بها الريح كان اسم كاين... واسم استرافا .
على مسافة ، ظهر ممر حجري ضيق ، نصفه محطم ، وكأنه تعرض لعضّ من فم عملاق .

الأرض حوله كانت مليئة بعظام حيوانات... وبشر .

بعض العظام كانت محفورة عليها رموز حمراء ، ما زالت تتوهج كجمرة حيّة .

ليانا مدت يدها نحو إحداها ، لكن كاين أمسك معصمها :

"هذه ليست عظام... إنها وسمٌ حيّ ."

من بين الضباب ، خرج كائن هزيل ، جلده مشدود على عظمه ، وفمه مشقوق حتى منتصف وجهه .

لكن صوته... كان بشريًا ، واضحًا :

"اتبعوني... أو ابقوا هنا حتى تنسوا أسماءكم ."

زايل رفع فأسه :

"ولماذا نثق بك؟"

المخلوق ابتسم ، فكشف عن أسنان ليست أسنان بشر ولا وحش :

"لأنني... الوحيد هنا الذي لم يقرّر قتلكم بعد ."

قادهم عبر ممر طويل حتى وصلوا إلى ساحة غريبة ، تملؤها أشجار متحجرة ، أوراقها حادة كالسكاكين .

في الوسط ، كان عمود حجري ضخم محفور عليه عين مفتوحة ، تراقبهم من كل زاوية .

أورين مرر أصابعه على الحجر :

"هذا ختم... لكنه ليس لإغلاق شيء ."

كاين نظر إليه :

"بل لحبسه هنا... حتى يقرر أحد أن يحرره ."

بينما هم واقفون ، سقطت قطرة دم على الحجر .

رفعوا رؤوسهم ، ورأوا جسدًا بشريًا يتدلى من فروع الأشجار ، مشقوق الصدر ، والدم يقطر ببطء .

كان الدم طازجًا... ما يعني أن القاتل قريب جداً .
ليانا رفعت سلاحها :
"لسنا وحدنا ."
المخلوق الحارس توقف أمام بوابة حجرية هائلة ، نصفها محطم .
الجماجم المثبتة على حوافها ليست بشرية بالكامل ، لكن ملامحها تحمل شيئًا مألوفًا .
زايل ، وهو يتفحصها :
"هذه ليست مدخل مدينة..."
أورين أكمل :
"بل مدخل حكم... حكم لا يرحم ."
قبل أن يخطوا للداخل ، مرّ أمام البوابة ظل طويل ، يحمل سيفين ، ويختفي بين أروقة المكان .
لم يسمعوا خطواته... فقط رأوا أثر الغبار يتطاير من حيث مرّ .
كاين رفع رأسه نحو السماء الرمادية :
"إنه يعلم أننا هنا ."
ليانا بصوت بارد :
"السؤال... هل يريدنا أن نخرج؟
أم ألا نخرج أبدًا؟"
ثم عبروا البوابة... ودخلوا قارة الوحوش رسميًا ، حيث حتى الخراب يبدو وكأنه يبتسم
حين تجاوزوا البوابة ، شعروا بثقل في الصدر ، وكأن الهواء نفسه يختبرهم قبل أن يسمح لهم بالبقاء .

رائحة الحديد والدم تخللت أنوفهم ، لكنها لم تكن كرائحة جرح... بل رائحة حرب لا تنتهي .
الأرض تحت أقدامهم بدت وكأنها نبضت لحظة ، نبضة بطيئة لكنها حقيقية .
زايل رفع قدمه فوراً :
"الأرض... حيّة ."
كاين رد بلا تعبير :
"هنا ، كل شيء حيّ... حتى ما ظننته ميتًا ."
المخلوق الحارس تابع سيره عبر جسر من عظام ضخمة ، بعضها مكسور وبعضها ملطخ بدم أسود جاف .
ليانا سألت بصوت منخفض :
"دم من هذا؟"
المخلوق لم يلتفت :
"دم من لم يعد لهم أسماء ."
أورين تمتم وكأنه يكتب تعويذة في ذهنه :
"الأسماء... هي أول ما يأكله هذا المكان ."
على أطراف الممر ، شاهدوا أربعة تماثيل حجرية ، كل منها يمثّل كائنًا مختلفًا : ذئب برأسين ، تنين بلا جناحين ، عملاق بعين واحدة ، وطائر ميت يحترق بلا رماد .
زايل توقف أمام تمثال الذئب :
"هؤلاء... ليسوا أوهامًا ، أليس كذلك؟"
المخلوق الحارس ضحك بصوت متقطع :
"هم ملوك هذه الأرض... ولكل واحد منهم ثمن لدخول منطقته ."
وصلوا إلى ساحة واسعة ، كانت أشبه بسوق مهجور .

الأكشاك الخشبية متعفنة ، لكن على طاولاتها بقايا أشياء لم يفهموها :
أقنعة جلدية عليها دم جاف ، قوارير زجاجية تحوي دخانًا يتحرك ببطء ،
وعملات معدنية عليها وجوه مشوهة .
ليانا التقطت إحدى العملات ، لكنها شعرت بحرارة مفاجئة تحرق أصابعها ،
فأفلتتها فوراً .
المخلوق قال :
"لا تلمسوا ما لا تملكون... هنا ، الملكية تلتهم صاحبها ."
مع كل خطوة ابتعدوا فيها عن السوق الميت ، بدؤوا يشعرون بنظرات خفية
تتسلل من كل مكان .
لم تكن هناك عيون يمكن رؤيتها ، لكن شعور المراقبة كان يزداد حتى صار
خانقًا .
أورين توقف فجأة ، ثم قال بصوت منخفض :
"هناك عقول... تتفحص أفكارنا ."
كاين رد :
"دعهم يروا ما يريدون... لكن لا تدعوهم يروا ما تخافونه ."
وصلوا إلى سور ضخم ، ليس من حجر أو خشب ، بل من لحم داكن مجدول
بحديد صدئ .
في منتصفه ، فجوة صغيرة تنزف دمًا أسود ببطء .
زايل ، وهو يضغط على مقبض فأسه :
"كيف نمرّ من هذا الشيء؟"
المخلوق الحارس أجاب ببرود :
"الجدار يعرف من يحق له العبور... وسيفتح أو يبتلعكم ."
كاين تقدم أولاً ، فوُجد أن اللحم تراجع وكأنه يخاف منه .

لكن حين حاول زايل العبور ، انغلق الجدار فجأة ، كأنه يتذوق دمه قبل أن يسمح له بالمرور .
بعد الجدار ، ظهرت ممرات ملتوية ، جدرانها من عظم مصقول ، وعليها نقوش حمراء تتحرك ببطء مثل ديدان الدم .
المخلوق قال :
"من هنا يبدأ حكم الأربعة... إن غضب واحد منهم ، ستغضب الأرض كلها ."
ليانا سألت :
"ومن هم الأربعة بالضبط؟"
المخلوق توقف والتفت إليها ، وفي صوته ارتجاف غريب :
"من لم تمحُهم الحلقات السابقة ."
أخيراً ، وصلوا إلى ساحة هائلة ، تتوسطها بوابة سوداء عالية لدرجة أن الضباب لم يكشف أعلاها .
على جانبي البوابة ، تماثيل ضخمة مغطاة بأقنعة حجرية بلا ملامح .
المخلوق الحارس استدار نحوهم :
"هنا ، ينتهي دوري... ومن هذه اللحظة ، كل خطوة قرار ."
قبل أن يخطوا نحو البوابة ، انفتحت من تلقاء نفسها ، وصوت عميق جداً همس في عقولهم جميعًا :
"ادخلوا... وانحنوا أو تحترقوا ."

الفصل الرابع والخمسون

عرش الوحوش الأربعة – من يُحكم لا يُرئ

"الحكم هنا لا يُمنح... بل يُؤخذ من أنياب الذين لا ينامون ."

عبروا البوابة السوداء ، وإذا بالعالم يتغيّر فجأة .
لم يعد هناك ضباب ، بل سماء داكنة بلا نجوم ، تحتها أرض ملساء كأنها لوح من الزجاج الأسود ، كل خطوة عليها تصدر صدى طويلاً ، وكأن الصوت يسافر عبر ممرات لا نهاية لها .
زايل تمتم وهو يلتفت حوله :
"أين المدينة؟"
أورين رد ببطء :
"هذه ليست مدينة... هذا هو العرش نفسه ."
في منتصف الفراغ ، أربعة عروش ضخمة ، كل واحد منها يختلف كليًا عن الآخر :
الأول من عظم التنين ، تتصاعد منه حرارة خانقة .
الثاني من جليد أسود ، لا يذوب لكنه يقطر ماءً بطيئًا على الأرض .
الثالث من جلود محروقة ، تتنفس ببطء كما لو كانت حية .
الرابع من صخور شفافة ، وفي داخلها تتحرك أشكال ظلّية كأنها محبوسة منذ الأزل .
لكن... العروش فارغة .
ليانا همست :
"أين الحكام؟"

صوت عميق ملأ الفراغ :

"أمام من تتحدثين ، يا ابنة الدم المراق ."

الجميع التفت في كل الاتجاهات ، لكن لم يروا شيئًا .

الصوت تابع :

"نحن هنا... لكنك لن ترينا ما لم نرد نحن ذلك ."

كاين رفع رأسه قليلاً ، وكأنه يستمع لما وراء الصوت :

"إذا كنتم تحكمون هذه القارة ، لماذا تختبئون؟"

ضحكة قصيرة أتت من كل مكان في آن واحد :

"الحاكم لا يختبئ... الحاكم لا يحتاج أن يراه أحد ."

فجأة ، الأرض تحتهم تحولت إلى مرآة دم ، وظهرت وجوههم عليها ، لكنها مشوهة ، مشحونة بكل خطاياهم .

أحد الأصوات قال :

"من يدخل عرشنا... يُعرض قلبه أولاً ."

أورين شعر ببرودة تسري في جسده ، ورأى نفسه في المرآة وهو يحرق مدينة كاملة بيديه .

زايل رأى نفسه يقطع رأس صديقه الذي مات من أجله في الماضي .

ليانا رأت نفسها تخنق طفلاً كان يتوسل لها .

كاين... لم يرَ شيئًا ، لكن انعكاسه لم يكن له عيون .

أحد الأصوات تمتم ببطء ، وكأن الجملة لم تكن موجهة لهم جميعًا ، بل لشخص واحد فقط :

"لقد تأخرتم... والختم يتحرك ."

أورين رفع رأسه :

"أي ختم؟"

لكن الصوت لم يرد... بل بدأ الفراغ يهتز ، والعروش الأربعة صدرت منها أنفاس عميقة ، كأنها كائنات عملاقة استيقظت للتو .
الأرض اهتزت تحت أقدامهم ، ليس كاهتزاز زلزال ، بل كنبض قلب هائل تحت الأرض .
من كل عرش انبثق خيط من الظلام ، اتجه إلى منتصف الساحة ، وبدأت الخطوط تلتفّ حول بعضها ، مكونة شكلاً دائريًا أشبه ببوابة .
ليانا أمسكت بسيفها :
"هل هذا... استدعاء؟"
أورين أشار بعينيه إلى العروش :
"بل هو اختبار ."
من كل عرش خرج كيان ، لكن لم يكن له وجه ولا جسد كامل ، مجرد أطياف هائلة ، كل واحد يحمل سلاحًا مختلفًا :
الأول يمسك رمحًا من نار تتلوى .
الثاني يمسك سيفًا جليديًا طويلاً .
الثالث يمسك سلسلة حديدية تتدلى منها جماجم .
الرابع يمسك قوسًا يطلق أسهُمًا من النور الأسود .
الصوت الأول قال :
"لكي تمروا... يجب أن تعرفوا أي وحش فيكم هو الأضعف ."
زايل ضحك بسخرية :
"لا يوجد ضعفاء هنا ."
لكن العروش ردّت بصوت واحد :
"ستعرفون... قريبًا ."

الرمح الناري انقضّ على ليانا أولاً ، لكن كاين اعترضه بلمحة واحدة ، وسيفه ارتطم بالرمح فأصدر صدى يشبه صراخ ألف روح .

زايل هجم على حامل السلسلة ، وضربة واحدة منه كسرت الأرض تحتهم ، لكن السلسلة لم تتمزق... بل التفّت حول عنقه فجأة .

أورين أطلق تعويذة ، لكن السهم الأسود من القوس ألغى سحره في لحظة ، وكأن السحر نفسه انتحر قبل أن يصل .

الصوت الثاني همس في أذن كاين ، رغم أن الآخرين لم يسمعوا شيئًا :

"التوأم الآخر... ينتظر دمك ."

كاين توقف للحظة ، وعيناه أصبحتا أكثر برودة ، لكن لم يرد .

ليانا رأت التغير في ملامحه :

"كاين... ماذا قالوا؟"

"لا شيء يهم ."

لكن صوته كان أعمق من المعتاد ، وكأن شيئًا داخله بدأ يتحرك .

زايل ، بصرخة غاضبة ، جذب السلسلة بكل قوته ، وجعل صاحبها يسقط أرضًا ، لتنكسر حلقة الظلام التي كانت تتشكل .

لكن بقية الأطياف الثلاثة صارت أكثر شراسة ، وبدأت تدفعهم باتجاه مركز الساحة .

أورين صاح :

"إن وصلنا للوسط... لن نخرج أحياء!"

كاين فجأة اختفى من مكانه ، وظهر خلف حامل القوس ، ضربة واحدة من سيفه مزّقت الكيان نصفين... لكن لم يسقط دم ، بل تساقطت أحرف مضيئة ، تبخرت قبل أن تلمس الأرض .

الصوت الثالث قال :

"لقد كسرت القاعدة... الآن سيرونك ."

وفعلاً ، لأول مرة منذ بداية المعركة ، ظهرت على العروش الأربعة ظلال أشخاص جالسين... ملامحهم غامضة ، لكن عيونهم كلها كانت مركزة على كاين وحده .

الصوت الرابع تكلم ببطء :

"كاين... نعرف من أنت ، ونريد ما تحمله .

إذا منحتنا جزءاً من وسْمك... سنسمح لكم بالعبور ."

ليانا :

"لا تفعل ."

زايل :

"لسنا بحاجة لصدقاتهم ."

أورين ، وهو يراقب كاين :

"سيأخذون أكثر مما يعطون ."

كاين لم يرد ، لكنه ابتسم ابتسامة قصيرة جعلت الأصوات الأربعة تصمت فجأة .

كاين غرس سيفه في الأرض ، فارتفع جدار من الظلام الحيّ بينه وبين العروش ، ثم اندفعوا جميعًا نحو البوابة التي كانت تتشكل .

الأطياف حاولت إيقافهم ، لكن البوابة انفتحت قبل أن تصلهم ، وابتلعتهم دفعة واحدة .

آخر ما سمعوه كان جملة همس بها أحد الأصوات :

"الوحوش ستعرفكم... حتى وإن لم ترَكم ."

وجدوا أنفسهم يسقطون وسط سماء حمراء ، والريح تصفع وجوههم بقوة ، بينما تحتهم قارة كاملة تمتد إلى الأفق ، جبالها على شكل أنياب ، وغاباتها تتحرك كأنها مخلوقات حية .

زايل ، وهو يصرخ مع الرياح :

"هذه... قارة الوحوش؟!"

أورين ، ببرود :

"بل هذه... بداية النهاية ."

هبطوا على أرض مغطاة بعشب أسود ، يلمع كأنه مبلل بالدم ، والسماء ما زالت حمراء فوقهم .

من بعيد ، سمعوا أصوات زئير هائل ، وأقدام ضخمة تقترب .

ليانا همست :

"شيء ما... قادم ."

كاين أدار رأسه ، وعيناه تلمعان في الظلام :

"دعوه يقترب... نحتاج أن نعرف من أول من سيستقبلنا ."

الفصل الخامس والخمسون

مدينة الأسياد – سادة الدم والظل

"من يظن أنه يدخلها كزائر... يكتشف أنه كان يُستدرج كفريسة ."

الطريق نحو المدينة كان صامتًا ، لكن الصمت لم يكن سلامًا ، بل انتظاراً .
ليانا توقفت فجأة ، يدها على مقبض خنجرها :
"أشعر... أن أحداً يتنفس في عنقي ."
أورين مسح الأفق بعينيه ، لكنه لم يرَ أحداً .
زايل بصوت منخفض :
"لم أرَ أحداً ، لكن منذ خرجنا من قاعة الوحوش الأربعة... الظلال أطول مما يجب ."
كاين قال ببرود :
"الذين يختبئون في الظلام... لا يريدون أن يُرى ظلهم .
هذا يعني أنهم يعرفوننا جيداً ."
وفي زاوية الرؤية ، بين الصخور ، كان هناك وميض أحمر صغير... كعين حيوان ، لكنها لم ترمش .
عند نهاية الطريق ، ظهرت بوابة سوداء ، شاهقة ، محفورة عليها رموز لا تشبه أي لغة عرفوها .
البوابة لم تكن مغلقة بسلاسل ، بل بظل كثيف يلتف حولها كضباب أسود .
زايل ، متوتراً :
"هذه ليست حراسة... هذا تحذير ."
ليانا همست :

"لكنهم لا يمنعوننا من الدخول ."

أورين لمس الظل ، فتراجع فوراً :

"إنه... دافئ ."

كاين نظر للأعلى ، حيث على أبراج البوابة وقفت أربعة تماثيل تشبه البشر ، لكن أفواهها ممتدة للخلف حتى الرقبة... كما لو أنها تصرخ منذ مئات السنين ولم تتوقف .

عند فتح البوابة ، دخل الأربعة إلى ممر حجري طويل ، على جانبيه أعمدة سوداء محفورة عليها وجوه مشوّهة .

في نهايته ، ظهرت المدينة... مدينة الأسياد .

كل مبنى كان بارتفاع قصر ، وألوان الجدران بين الرمادي المزرق والفضي الداكن ، لكن النوافذ ضيقة جداً... أشبه بعيون تتلصص من الداخل للخارج .

ليانا بصوت مندهش :

"لم أرَ مدينة بهذه العظمة..."

رجل مسنّ ، بثياب نظيفة ورائحة دماء باهتة ، كان يقف عند المدخل الداخلي . ابتسم وقال :

"أهلاً بكم في أعلى مرتبة من قارتنا .

لكن تذكروا... حكام القارة الأربعة؟

بالنسبة لنا ، هم مجرد حيوانات جائعة تُترك لتأكل من الحظيرة حتى يحين وقت ذبحها ."

زايل شدّ قبضته :

"وهل أنتم من يقرر وقت الذبح؟"

المسن ابتسم ابتسامة أوسع ، كاشفًا عن طرف ناب حاد :

"نحن لا نذبح... نحن نجفّف الدم حتى آخر قطرة ."

بينما كانوا يتبعون الرجل في شوارع المدينة ، لاحظ أورين أن كل نافذة وكل شرفة تحمل عيونًا تلمع في العتمة... عيون لا ترمش .

ليانا شعرت بوخز في عنقها ، وكأن شيئًا مرّ بجانبها سريعًا .

زايل بصوت حاد :

"الجو هنا... أثقل من أنفاسي ."

كاين قال ببطء :

"لأن هذه ليست مدينة... إنها عشّ ."

أخذهم الرجل المسن إلى قاعة هائلة ، أرضها مغطاة بسجاد أحمر داكن يشبه الدم اليابس ، وجدرانها مزخرفة بجداريات تُظهر كائنات بشرية الملامح ، لكنها تشرب من رقاب ضحايا راكعين .

في نهاية القاعة ، جلس ستة أشخاص على عروش فضية سوداء . وجوههم جميلة ، لكنها قاسية ، وأعينهم كلها تلمع باللون نفسه الذي رأوه في الطريق .

أحدهم قال :

"أنتم... لم تدخلوا صدفة .

لقد دُعيتم ."

ليانا ، بحدة :

"ومن دعا من؟"

آخر ابتسم ابتسامة بطيئة :

"اللحم يدعو السكين... وإن لم يعرف أنه فعل ."

الرجل المسن أشار إلى جناح جانبي في القاعة ، وقال :

"قبل أن تلتقوا بالأسياد الحقيقيين... هناك من ينتظر منذ قرون لرؤيتكم ."

زايل بصوت متوجس :

"ومن يكون هذا؟"

المسن انحنى قليلاً ، وكلماته خرجت ببطء مخيف :

"أول دمٍ سُفك... والظل الذي لم يختفِ منذ ذلك اليوم ."

كاين أدرك المعنى قبل الآخرين ، وصوته صار أشبه بالهمس القاتل :

"مصاصو الدماء... النسل الأول ."

بعد أن أنهى الرجل المسن كلماته ، فُتحت أبواب جانبية ببطء ، وصوت احتكاكها بالحجارة كان أشبه بصرير أسنان قديمة .

من الداخل ، انبعثت رائحة قوية... ليست دمًا طازجًا ، بل دمًا قديمًا مُخزنًا ، كالنبيذ الذي يُعتّق لعقود .

ليانا تراجعت خطوة وهي تضع يدها على فمها :

"الرائحة... كأنها تأتي من قاع بئر ."

أورين ، بصوت محمّل بالشك :

"لا... إنها تأتي من مكان أعمق بكثير ."

زايل شعر بالبرد يتسلل لعظامه ، رغم أن الجو لم يكن بارداً :

"هذا ليس مجرد تخزين... هذا تحضير ."

الرجل المسن ابتسم وقال :

"الوليمة لم تبدأ بعد... لكن أنتم جزء منها ، سواء كنتم على المائدة... أو في الكؤوس ."

بينما كانوا يسيرون في القاعة ، بدأ همس غريب يحيط بهم .

لم تكن كلمات واضحة ، لكنها كانت على إيقاع معينّ ، وكأنها صلاة أو ترنيمة قديمة .

أصواتها كانت تأتي من كل اتجاه ، حتى من تحت الأرض .

أورين توقف فجأة :

"هذه ليست لغة بشرية... إنها موجهة لعروق الدم ، لا للعقل ."

كاين قال ببرود :

"إنها طريقة للترحيب... ولإضعاف الإرادة قبل أن يبدأوا ."

ليانا أمسكت مقبض خنجرها بشدة ، كأنها تحاول أن تجد شيئًا ثابتًا في هذا الطوفان من الهمسات .

في وسط القاعة ، كانت هناك مرآة ضخمة من المعدن المصقول ، لكن سطحها لم يعكسهم... بل أظهر صوراً مشوهة لأنفسهم ، كما لو أنهم كانوا أضعف وأصغر سناً ، وعاجزين .

زايل تقدم منها ، ثم تجمد :

"هذه... هذه ليست صورنا فقط ."

المرآة عرضت مشاهد من ماضيهم ، لحظات الفشل ، لحظات الموت التي نجوا منها بالصدفة .

ثم تغير المشهد فجأة ليظهر كل واحد منهم ميتاً ، ودمه يتدفق في أوعية فضية... في هذه القاعة نفسها .

أورين بصوت بارد :

"إنهم لا يتنبؤون... إنهم يخططون ."

بينما كانوا يحدقون في المرآة ، سقط ظل ضخم على الأرض أمامهم .

لكن لم يكن هناك شخص... بل فقط شعور ثقيل بالوجود ، كأن كائنًا يقف خلفهم تمامًا ، دون أن يلمسهم .

الرجل المسن قال :

"أنتم ترون القشرة... أما اللبّ ، فهو لا يظهر إلا لمن يستحق ."

كاين رفع عينيه إلى الأعلى ، فرأى على الجدران علامات قديمة محفورة بدم جاف ، تشكل دائرة كاملة تحيط بالمكان... دائرة حبس ، لا حماية .

من السقف ، بدأ تساقط قطرات صغيرة... ليست ماءً .

قطرة حمراء ، ثم أخرى ، ثم خيط كامل من الدم الطازج ، كأنه يتسرب من الطابق العلوي .

ليانا ، بصوت شبه هامس :

"هناك من ينزف فوقنا... أو يُنزَف ."

زايل رفع رأسه ، لكنه لم يرَ سوى الظلام ، قبل أن يومض زوج من الأعين الحمراء في العتمة ، ثم يختفي .

الرجل المسن أشار إلى بوابة صغيرة على يمين القاعة ، باب خشبي بسيط مقارنة بعظمة المكان ، لكن مقبضه كان على شكل فك مفتوح مليء بالأنياب .

قال لهم :

"من هنا... تبدأ قصتكم الحقيقية معنا ."

أورين همس :

"أو تنتهي ."

كاين ، دون أي تغيير في ملامحه :

"القصص لا تنتهي... هي فقط تغيّر دماء أبطالها ."

قبل أن يخطوا نحو الباب ، انطفأت كل أضواء القاعة فجأة ، وبقي فقط خط ضوء أحمر قادم من أسفل الباب... خط يشبه جرحًا في جدار العالم .

ليانا ، بنبرة تحد :

"فلنفتح الجرح إذًا ."

ثم دفع كاين الباب ببطء ، وصوت المفصلات كان أشبه بعواء ذئب جائع .

الفصل السادس والخمسون

مصاصو الدماء – نسل اللعنة الأولىٰ

"الليل ليس ظلامًا... الليل هو ما يبتلع الظلام ."

حين فتحوا الباب ، لم يعبروا إلى غرفة عادية ، بل إلى ممر ضيق ، جدرانه ليست حجراً ولا خشباً ، بل مادة لحمية تشبه جلداً مشدوداً على عظم ضخم .
الهواء كان رطبًا ودافئًا ، ورائحة الدم الطازج تملأ الأنفاس .
مع كل خطوة ، كان الممر يضيق ، وكأن الجدار يقترب من صدورهم ، ويضغط على قلوبهم .
ليانا وضعت يدها على الجدار ، فتقلص تحت أصابعها وكأنه يرفض لمسها .
زايل تمتم :
"هذا ليس بناءً... نحن داخل كائن ."
أورين بصوت منخفض :
"أو داخل ذاكرة كائن ."
كاين ، ببرود :
"كلاهما ينتهي بنفس الطريقة... بابتلاعك ."
الممر انتهى فجأة إلى قاعة واسعة مضاءة بضوء أحمر باهت ، مصدره أنابيب عملاقة ممتدة من السقف إلى أرضية مليئة بأحواض دائرية .
الأحواض لم تكن ماءً... كانت دمًا ، يتصاعد منه بخار ثقيل ، ورائحته تلتصق باللسان .

عند الحافة ، كان هناك مخلوقان طويلان ، وجوههما مغطاة بأقنعة معدنية ذات أنياب ، يتناوبان على غمس أوعية فضية في الدم ، ثم رفعها للشرب... بلا توقف .
زايل أمسك سلاحه ، لكن كاين رفع يده ليمنعه :
"لا تلمسهم... ليسوا أحياء ولا أموات .
هم فقط... أوعية تتحرك ."
بينما كانوا يعبرون القاعة ، سمعوا أصواتًا خافتة تأتي من داخل الدم نفسه .
لم تكن فقاعات أو حركة سوائل... بل كلمات ، حروف تخرج من فم غير مرئي تحت السطح .
أورين توقف ، وأصغى :
"إنهم يذكرون أسماء... أسماء أعداءهم... وضحاياهم ."
ليانا شعرت بالدم يغلي فجأة في الحوض الأقرب :
"وكأن الدم يتذكر كل من شربوه ."
كاين :
"الدم لا ينسى... حتى لو نسي الجسد ."
قبل أن يصلوا إلى الممر الآخر ، ظهر أمامهم صف من الكائنات ، أطوالهم تتجاوز المترين ، أجسادهم هزيلة ، لكن عظام أضلاعهم بارزة إلى الخارج ، وعينهم مغطاة بجلد شفاف يكشف عن سواد كامل خلفه .
الغريب... لم يكن لهم ظل على الأرض ، رغم أن الضوء الأحمر كان يحيط بهم .
زايل بخطوة للأمام :
"من هؤلاء؟"

الرجل المسن الذي أوصلهم هنا ، وظهر فجأة من الخلف ، أجاب بابتسامة باردة :
"أبناء العطش... لا ظل لهم لأنهم ليسوا تحت حكم الشمس... ولا القمر ."
وصلوا إلى قاعة ثانية ، لكنها أكثر فخامة .
في الوسط طاولة حجرية طويلة ، عليها أكواب من الكريستال الأسود ، وكل كوب ممتلئ بسائل أغمق من الدم ، أشبه بالحبر الحي .
على رأس الطاولة جلس رجل طويل ، بشرته شاحبة حتى يكاد النور يخترقها ، عيناه قرمزيتان ، وابتسامته تكشف عن أنياب طويلة ، لكنها ليست أنياب حيوان... بل أنياب كُسرت وأعيد بناؤها مرات عديدة .
قال بصوت يشبه همس آلاف الأشخاص في وقت واحد :
"مرحبًا بكم... في آخر مدينة سترونها كاملة قبل أن تنقص ."
جلسوا جميعًا ، أو بالأصح ، أُجبروا على الجلوس .
لم يستخدم الحاكم أي أمر صريح ، لكن الكراسي تحركت ببطء ، وأرغمت أجسادهم على الثبات .
أكواب الكريستال السوداء أمامهم ، والسائل الذي بداخلها بدا وكأنه يتحرك بنفسه ، يلتف ويصعد على جدران الكوب ، كما لو كان يحاول الوصول إلى أفواههم .
زايل مد يده ليدفع الكوب بعيداً ، لكن يده شُلّت فجأة .
الحاكم نظر إليه بابتسامة هادئة :
"هنا ، حتى إرادتك... ليست لك ."
أورين ، رغم كل شيء ، قرّب الكوب من أنفه ، واستنشق .
تغيرت ملامحه فوراً .
"هذا... ليس دمًا عاديًا ."

الحاكم أمال رأسه قليلاً ، وقال وكأنه يروي قصة :
"إنه دم من لم يولدوا بعد... دم احتمالات لم تتحقق ، أرواح لم تجد أجساداً .
نشربها... فنصبح أكثر من زمني واحد ، أكثر من حياة واحدة ."
ليانا همست :
"أنتم تشربون المستقبل ."
الحاكم ابتسم ، ورفع الكوب بشفتيه ، شارباً جرعة بطيئة :
"ونحن من نصنعه... ونمزقه ."
كاين نظر للحاكم مباشرة ، صوته منخفض لكنه ثابت :
"لماذا دعيتنا؟"
الحاكم وضع الكوب على الطاولة ببطء ، وصوت ارتطامه بالحجر تردد في القاعة كنبضة قلب ضخمة :
"لأنكم... الشرارة التي ستشعل آخر وليمة .
أنتم الدم النادر ، دم من اجتمع فيه ختم الظل والنور... وأريد أن أتذوقه ، قبل أن يفسده استرافا ."
زايل ضرب بقبضته الطاولة :
"لن تلمس أحداً منا!"
الحاكم نظر إليه بهدوء ، ثم أدار عينيه نحو كاين :
"هو... يعلم أنني سأفعل ."
فجأة ، تحركت الجدران .
لم تكن جدراناً ، بل أجساد ضخمة مندمجة مع الحجر ، تفتحه مثل فم بطيء .
من الفتحات خرجت مخلوقات نصفها بشري ، ونصفها كتلة من العروق الحية ، وجوهها مغطاة بأقنعة عظمية .

كل واحد منهم كان يحمل سيفًا أحمر ، يقطر سائلاً يلمع كأن داخله شمس صغيرة .
أورين رفع يده للقتال ، لكن كاين أوقفه بصوت صارم :
"ليس الآن..."
الحاكم مد يده اليمنى إلى الهواء ، وكأنه يمسك بخيط غير مرئي ، ثم سحب .
أحد الأكواب أمامهم امتلأ فجأة بالدم ، لكن لم يأتِ من أي إناء أو أنبوب...
جاء من رقبة أحد الحراس ، الذي لم يتحرك حتى وهو ينزف .
"في مملكتي... الدم طاعة ."
ليانا ، ببرود مصطنع :
"وفي عالمنا... الدم حياة ."
الحاكم أمال رأسه نحوها :
"لهذا أنتم خائفون... لأننا هنا نعرف أن الحياة مجرد طريقة للدم كي يستمر ."
الحاكم فجأة أمر :
"خذوهم إلى جناح العهد القديم ."
زايل :
"ولماذا؟"
الحاكم :
"لكي يروا أول من باع دمه... باع اسمه... ليصبح خالداً ."
قادهم الحراس عبر ممر ضيق ، ثم إلى درج حلزوني يهبط ببطء نحو أعماق القصر .
كل خطوة للأسفل جعلت رائحة الحديد والصدأ أثقل ، والضوء الأحمر أعمق .
حتى وصلوا إلى بوابة من عظم ضخم ، محفور عليها وجه مفتوح الفم ، وأنياب طويلة ، ولسان ممتد حتى الأرض .

الحارس دفع البوابة... وصوتها كان أشبه بصرير باب قبر ظل مغلقًا لقرون .
ما إن تجاوزوا البوابة العظمية ، حتى شعروا أن الجدران ليست صلبة كما يجب... بل تتحرك ببطء ، كأنها تتنفس .
الحرارة انخفضت فجأة ، لكنها لم تكن برودة طبيعية ، بل نوع من الخواء ، كأن المكان نفسه يمتص الدفء من أجسادهم .
زايل تمتم وهو يضع يده على فأسه :
"هذه الجدران... حية ."
أورين حدّق في الحواف ، ورأى عروقًا سوداء تتحرك ببطء تحت طبقة العظم ، تحمل سائلاً داكنًا يتوهج لحظة ويختفي أخرى .
وصلوا إلى قاعة دائرية ، أرضيتها مرسومة بدائرة دموية ضخمة ، وفي المركز كان هناك جسد مقيّد بالسلاسل السوداء ، ممدداً على عرش حجري .
لم يكن الجسد ميتًا ، رغم أن جلده رمادي متشقق ، وعظامه بارزة .
عيناه كانتا مفتوحتين ، لكن البؤبؤ كان أفقًا أسود لا نهاية له .
ليانا همست بصوت مرتجف :
"هذا... لا يمكن أن يكون بشريًا ."
الحاكم الذي تبعهم حتى هنا قال بابتسامة غامضة :
"أول مصاص دماء... وأول من حمل اللعنة التي أنشأتنا ."
فجأة ، الجسد المقيّد حرّك شفتيه ، وصوت خرج منه كأنه يأتي من أزمنة متداخلة :
"لم تأتوا... أنتم... بل جاءت دماؤكم ."
كاين نظر مباشرة إلى الكائن :
"لماذا أنت هنا؟"
الكائن ابتسم ، أو ما بدا ابتسامة على فم متشقق :

"لأنني كنت أنا... أول من باع النور... واشتريت الظل بثمن الحياة ."
أورين تقدم خطوة :
"وهل كنت تعرف استرافا؟"
عند سماع الاسم ، اهتزت القاعة كلها ، وكأن العظام التي تحيط بها رفضت الكلمة .
الكائن المقيّد فتح عينيه أكثر ، وتسلل بريق أحمر إليهما :
"استرافا... ليس منا ، لكنه... يحمل وصمة دمنا .
هو لم يُولد... بل صُنع ."
ليانا :
"صُنع؟"
الكائن :
"من دماء مئة فارس... ومن لعنة دم واحد... دمي ."
الكائن انحنى برأسه قليلاً ، وصوته صار كأنه يتسرب إلى عقولهم لا إلى آذانهم :
"إذا واجهتموه... لا تبحثوا عن قتله أولاً... بل اسرقوا منه النبضة التي لم تُخلق بعد... وإلا ، حتى بعد موته ، سيعود ."
زايل رفع حاجبه :
"نبضة لم تُخلق بعد؟"
الكائن أغلق عينيه ببطء :
"ستعرفونها... حين تقفون أمامه ، وتشعرون أنكم لم تولدوا بعد ."
فجأة ، اهتزت السلاسل السوداء ، وانطلقت منها شرارات دم حمراء .
الحاكم أمسك بيد ليانا بقوة غير متوقعة :
"يجب أن نخرج... الآن ."

كاين بقي واقفًا :
"لماذا؟"
الحاكم :
"لأن أول لعنة... جائعة... ولا تعرف الفرق بين عدو وضيف ."
بينما كانوا يركضون نحو الممر ، ارتفعت صيحة من القاعة ، ليست صيحة ألم ، بل جوع قديم ، جوع أقدم من التاريخ .
الجدران العظمية بدأت تُغلق ، والهواء صار أثقل حتى شعروا أنهم يجرّون أجسادهم عبر ماء أسود .
أورين ، وهو يلهث :
"إن خرجنا... فليس لأننا هربنا... بل لأن المكان... سمح لنا ."
عندما وصلوا إلى القاعة الكبرى ، كان الحاكم واقفًا عند العرش ينتظرهم ، وكأنه لم ينزل معهم أبداً .
ابتسم ابتسامة صغيرة :
"الآن... أنتم تعرفون ما نحميه... وما نطعمه... لكي لا يخرج ."
كاين نظر نحوه بحدة :
"هذا الشيء... سينكسر قيده يومًا ما ."
الحاكم لم يُنكر ، بل قال بهدوء :
"وأتمنى أن لا أكون حيًا حينها... لكنكم أنتم... قد تكونون ."

الفصل السابع والخمسون

مرآة الحلقات السابقة

"بعض المرايا لا تعكس ما هو أمامها... بل ما خبأته عن نفسك طوال عمرك ."

بعد أيام من السير في قارة الوحوش ، وصل الأربعة إلى ساحة غريبة محاطة بجدران حجرية داكنة ، كأنها بُنيت من عظام متفحمة .
كان المكان صامتًا ، لا يسمع فيه سوى أصوات أنفاسهم .
الأرض ملساء بشكل غير طبيعي ، كأنها صُقلت بأيدي لم تعد موجودة .
في منتصف الساحة... كانت تقف مرآة سوداء ضخمة .
ليست زجاجًا ، ولا حجراً ، بل مادة أشبه بسائل متجمّد ، يموج من الداخل ببطء كقلبٍ ينبض .
ليانا همستٍ وهي ترفع يدها نحو خنجرها :
"لم أكره شيئًا في حياتي أكثر من المرايا ."
زايل ضحك ضحكة قصيرة لكنها متوترة :
"هذه... ليست مرآة عادية ."
كاين لم يتكلم .
كان واقفًا أمامها وكأنه يعرفها منذ زمن بعيد .
اقترب أورين بخطوات بطيئة ، عينه الثابتة تحدق في سطحها الداكن .
حين وقف أمامها... لم يرَ وجهه .
بل رأى دائرة كاملة من وجوهه .
وجوهه حين كان طفلاً ، حين كان شابًا ، حين قتل لأول مرة ، وحين خان نفسه .

كلها تنظر إليه وتضحك ضحكة صامتة .

أورين تراجع خطوة ، لكن صوته ظل ثابتًا :

"هذه المرآة... لا تعكس ، بل تُعرّي ."

كاين وقف أمامها .

انعكاسه كان هناك... لكن لم يكن وحده .

خلف صورته ظهر رجل آخر ، نسخة مشوهة منه ، بنفس الوجه ، نفس العينين ، لكن ابتسامة مختلفة... ابتسامة استرافا .

النسخة رفعت سيفها وقالت بصوت مسموع خرج من داخل المرآة :

"أنا أنت... وأنت أنا .

وها نحن لا نفترق ."

ليانا وضعت يدها على ذراع كاين :

"هذا ليس حقيقيًا ."

كاين همس ببرود :

"الحقيقي... هو أنك ترينه ."

اقتربت ليانا ، وكأن شيئًا يسحبها .

المرآة لم تُظهر وجهها .

أظهرت عشرات الوجوه التي قتلتها .

رجال ، نساء ، أطفال... كلهم ينظرون إليها .

ثم تحوّلوا فجأة إلى جسد واحد :

رجل عينيه مليئتان بالخيانة... نفس العينين التي رأت يومًا فيها الحب قبل أن تطفئها بخنجرها .

صوت خرج من المرآة :

"كل مرة طعنتِ... كنتِ تقتلين نفسك ."

ليانا صرخت :
"اصمت!"
لكن وجهها انعكس في الدم ، وكان يبتسم .
زايل اقترب بحذر ، يده على مقبض فأسه .
المرآة تحولت إلى ساحة معركة .
رأى نفسه وحيداً ، صرخاته تتردد في الفراغ ، وجثث إخوته تتناثر حوله .
لكن الأسوأ... أنه رأى أخاه الذي مات دفاعًا عنه ، يقف حيًا أمامه .
ليس حيًا... بل ميتًا يبتسم ، وفمه ينطق ببطء :
"كان يجب أن أموت أنا... أم أنت؟"
زايل انهار على ركبتيه وهو يصرخ :
"توقف! توقف!"
أورين رفع صوته لأول مرة منذ زمن :
"كفى!"
لكن صوته ارتدّ داخل الصالة وكأنه صار ألف صوت .
المرآة تحركت ، سطحها ارتجف كبحيرة يُقذف فيها حجر .
صوتٌ عميق خرج من أعماقها :
"أنتم لستم أول من وقف أمامي... ولن تكونوا الأخير ."
الجميع جمد مكانه .
كاين رفع رأسه وقال ببطء :
"...الحلقات السابقة ."
بدأت الوجوه تظهر داخل المرآة... وجوه مجهولة ، لكنها مألوفة بطريقة مرعبة .
كأنها نسخ أخرى منهم... عاشوا من قبل .
كايَن آخر ، أورين آخر ، ليانا أخرى ، زايل آخر... وكلهم ميتون .

وجوههم تفتح عيونها فجأة وتصرخ في وقت واحد :
"أنتم لسنا... أنتم نحن ."
الصرخة كسرت الهواء ، والمرآة اهتزت .
انشطر سطح المرآة .
لكنها لم تنكسر .
من داخلها فتحت عين سوداء هائلة ، كأنها عين وحش قديم لم يولد قط ، يراقبهم من وراء طبقات من الليل .
مجرد النظر إليها جعل الدم يتراجع في عروقهم .
ليانا همست بصوت مرتجف :
"هذه... ليست مرآة .
هذا ختم ."
أورين أضاف :
"لا... هذا شاهد ."
فجأة ، شعر الأربعة بحرارة في جلودهم .
جرح غير مرئي انفتح على أجسادهم .
لا دماء خرجت ، لكن الألم كان حقيقيًا ، كأنهم ينزفون من الداخل .
زايل سقط على ركبتيه وهو يصرخ :
"ينزع... شيئًا منّا!"
كاين رفع سيفه "شِهاد" ، لكن السيف نفسه ارتجف ، كأن العين السوداء تعترف به... أو تخاف منه .
العين بدأت تُغلق ببطء ، والمرآة عادت كما كانت .
لكن الصالة لم تعد كما هي .
الهواء صار أثقل ، وأجسادهم ترتجف رغم أنهم لم يتحركوا .

أورين قال بصوت خافت :

"لم نخرج من هنا كما دخلنا . . ."

خطوات بعيدة سمعت في الظل .

لم يكن وحشًا هذه المرة... بل أصوات بشرية تقترب .

أصوات جماعية تردد كلمات غير مفهومة ، كأنها طقس قديم ما زال حيًا .

ليانا قالت :

"المرآة لم تُظهر كل شيء... لقد فتحت بابًا ."

زايل نظر حوله ، وجهه شاحب :

"بابًا... إلى ماذا؟"

كاين ، بابتسامة باردة لأول مرة :

"إلى ما كنّا... وإلى ما لن نكون ."

المرآة سكنت تمامًا ، لكنها تركت أثرًا لا يزول :

كل واحد منهم الآن يسمع في داخله صوتًا خافتًا يهمس باسمه... صوته هو ، لكن ليس منه .

ولم يعرفوا بعد... هل هم فعلاً أول نسخة تعيش هذه اللحظة؟

أم مجرّد نسخة أخرى... تنتظر أن تتحطم مثل البقية؟

"كل مرآة... قبر ، وكل قبر... عين مفتوحة على ما لم يكتمل ."

حين هدأ سطح المرآة للحظة ، ظهرت عليها كلمات محفورة بالنور الأحمر :

"الحلقة الأولى — الدم لا ينام ."

"الحلقة الثانية — الخيانة ليست اختيارًا ."

"الحلقة الثالثة — كل موت بداية ."

زايل تمتم بصوت مخنوق :

"هذه ليست كتابات... إنها وصايا ."

أورين حدّق أكثر ، وعيناه تلمعان بوميض حاد :

"لا... هذه آثار من عاشوا قبلنا ."

ليانا صمتت ، لكن يدها قبضت على خنجرها كأنها تحاول أن تثبت أنها ما زالت موجودة في حاضرها ، لا في ماضٍ يتكرر .

من قلب المرآة خرجت أصوات باكية ، صرخات تتردد في الجدران .

لكن الأصوات لم تكن مجهولة .

كانت أصوات من قتلوهم ، كل واحد منهم على حدة .

امرأة تصرخ اسم ليانا .

طفل يصرخ في أذن زايل .

رجل يحتضر يلعن أورين .

وصوت امرأة واحدة... يهمس في أذن كاين :

"أخي..."

كاين تجمّد ، لكن ملامحه لم تتغير .

ليانا انتفضت :

"سمعتها...؟ من كانت؟"

كاين بصوت بارد :

"لا أحد ."

لكن عيناه كانتا تحترقان بلحظة ذكرى لم يقدر على إخفائها .

صوت آخر ارتفع فجأة من عمق المرآة... صوت إيردوس .

"أنا هنا... لم أمت ."

زايل شهق ، وأورين قال بهدوء مخيف :

"إنه أثره... ليس حيًا ، لكنه ليس ميتًا بالكامل ."

إيردوس ظهر للحظة على سطح المرآة ، عيناه داميتان ، وسيفاه يتنقطان دمًا أسود .

"دمكم... ما زال يربطني بكم ."

ثم ذاب صوته كأنه ابتلعته الظلمة .

ليانا وضعت يدها على صدرها ، همست :

"حتى الأموات... لا يتركونا ."

سطح المرآة انفتح من جديد ، وظهر مشهد مختلف تمامًا .

مدينة مدمرة بالكامل ، أبراجها منحنية كعظام محطمة ، والسماء فوقها سوداء بلا قمر .

في وسطها... أربعة أشخاص يقاتلون حتى الموت .

لكن الغريب أنهم كانوا هم... أورين ، ليانا ، زايل ، وكاين .

ليسوا هم الآن... بل نسخًا قديمة منهم ، تنزف وتصرخ وتموت .

زايل صرخ :

"هذا... نحن!"

أورين رد ببرود قاتل :

"لا ، هذا ما كنا... أو ما سنكون ."

كاين تمتم :

"الحلقات لا تموت... نحن ندور داخلها فقط ."

المرآة بدأت تتصدع ببطء .

من بين التشققات ، خرج صوت ضخم ، ليس بشريًا ولا وحشيًا... بل شيء آخر .

"أنتم الحلقة الأخيرة... أنتم الذين لن يخرجوا منها ."

الأرض اهتزت تحت أقدامهم ، والظلال حولهم بدأت تتحرك وكأنها تبتلع الصالة كلها .

ليانا شهقت :

"إنه يغلقنا هنا!"

أورين رفع يده كأنه يكتب في الهواء :

"لا... إنه يختبرنا ."

فجأة ، سالت دماء من أجساد الأربعة ، دماء لم تخرج من جروح .

نزف داخلي ظهر على الأرض أمام المرآة كدوائر متشابكة .

كل دائرة كانت تحمل رمزًا غريبًا... رموزًا تشبه الأوسمة التي جمعها إيردوس .

زايل سقط على ركبتيه وهو يصرخ :

"إنها تسرق حياتنا!"

كاين أمسك سيفه "شهاد" ، رفعه عاليًا ، فالنصل اشتعل بضوء أسود عميق ، ووقف بين الدوائر كأنه يقص الخيط الذي يربطها .

العين السوداء داخل المرآة ارتجفت... لأول مرة بدت وكأنها تتراجع .

المرآة أخيرًا أغلقت نفسها بصوت يشبه تحطّم العظام ، ثم عادت لتصبح سطحًا صلبًا داكنًا .

لكن على الأرض ، بقيت الرموز الدموية تحترق ببطء ، تاركة أثرًا لا يمحى .

أورين تمتم :

"...لقد عشنا هذا من قبل ."

ليانا ردت بصوت منخفض :

"وسنعيده... مرة أخرى ."

كاين لم يقل شيئًا ، لكنه كان يعلم في داخله :

هذه ليست مجرد مرآة .

بل شاهد... على الحلقات التي سبقتهم ، وعلى المصير الذي ينتظرهم .

حين خرجوا من الصالة ، لم يتحدث أحد .

لكن كل واحد منهم كان يسمع في داخله صوتًا آخر... صوته هو ، من حلقة أخرى ، يهمس بكلمات لم تُفهم بالكامل .

زايل سمع :

"لم أكن يجب أن أنجو ."

ليانا سمعت :

"الخنجر لم يقتلهم... بل قتلني ."

أورين سمع :

"الحقيقة... لم أُرد أن أعرفها ."

وكاين... سمع كلمة واحدة فقط :

"توأم ."

بعدما المرآة أغلقت نفسها ، وبقيت الرموز الدموية على الأرض ، الثلاثة انسحبوا ببطء... إلا أورين .

ظل واقف أمامها ، عينه مفتوحة ، لا يرمش ولا يبتعد .

زايل يصرخ فيه :

"أورين! تحرّك! ، انتهى الأمر!"

لكن أورين ما يتحرك .

وجهه ثابت ، وعينه معلقة في السواد .

ليانا حاولت أن تشدّه من ذراعه ، فتكتشف إن جلده صار باردًا كالحجر .

فجأة... ينطق أورين بكلمات غريبة ، لغة لم يسمعوها من قبل ، كأنها لغة المرآة نفسها .

صوته لم يكن صوته ، بل صدى داخلي عميق :

"أنا... لم أُغلق بعد ."

ثم يلتفت إليهم ، لأول مرة عينه اليمنى تختلف... فيها دوامة سوداء صغيرة تتحرك ، كأنها عين داخل عين .

كاين حدق فيه ، تمتم :

"...العين التي لا ترمش ."

الفصل الثامن والخمسون

أورين – العين التي لا ترمش

"بعض العيون لا تُفتح لترى... بل لتبقى مفتوحة حتى تحرق ما تنظر إليه ."

السماء فوقهم لم تكن سماء ، بل قبة من عظامٍ متشابكة ، سوداء تمتص أي ضوء .
أورين جلس وحيداً ، بينما البقية ينامون أو يحاولون التظاهر بالنوم بعد ما مرّ بهم في المرآة .
لكن عينه اليمنى كانت مفتوحة ، لا ترمش .
تراقب شيئًا في الظلام .
الشيء نفسه الذي لم يره غيره .
ليانا فتحت عينيها قليلاً ، لاحظت ذلك الثبات وقالت بخفوت :
"أورين... هل أنت بخير؟"
أورين لم يلتفت .
"لا تنامي وأنتِ تعتقدين أن العالم ما زال كما هو... لأن المرآة لم تنكسر بعد ."
بينما الجميع غارِقون في تعبهم ، أورين كان يعيش معركة أخرى .
في داخله ، كان هناك ممر طويل من جدران سوداء ، على كل جدار عين مفتوحة تحدّق فيه .
عين بلا رمش .
عين بلا جفن .
وكل عين كانت تسأله بصوت لا يُسمع :
"لمن تعود؟"

أورين مشى بينهم بخطوات ثقيلة .

كل خطوة كانت تترك أثر دم على الأرضية .

وفي النهاية ، وصل لباب حجري يحمل نفس الوسم الذي على جبينه منذ طفولته .

مدّ يده ، فسمع صوتًا يشبه صوته لكنه أكبر :

"افتح... أو ستُفتح وحدها ."

فتح الباب ، فوجد نفسه في قاعة مملوءة بالمرايا .

لكنه في كل مرآة لم يرَ نفسه... بل رأى أحدًا آخر :

طفل صغير مربوط بالسلاسل .

رجل ميت في أرض معركة .

امرأة تصرخ ووجهها مغطى بالنار .

ظلال لا تُحصى .

وأخيراً... كاين .

لكن كاين في المرآة لم يكن هو نفسه .

كان نصفه وجه استرافا .

أورين شهق :

"هذا... ليس اختياراً .

هذه... دائرة ."

كل المرايا تكلمت بآن واحد :

"الدائرة لا تُكسر إلا بالعين التي لا ترمش ."

وفجأة ، انفجرت المرايا كلها ، لكن بدل الزجاج تساقطت عظام صغيرة كأنها أسنان أطفال .

الأرض امتلأت بها .

وأورين بقي واقفًا ، عينه مفتوحة ، تدمع دمًا أسود .

زايل لاحظ الدم ينزل من عين أورين .

"أورين! عينيك!"

لكن أورين لم يرد .

كان يهمس بلغة لا يعرفها أحد .

ليانا اقتربت منه ، أمسكت بوجهه :

"أورين... ارجع! نحن هنا!"

لكنه فتح فمه وقال كلمة وحيدة بصوت مزدوج ، كأنها خرجت من عشرات الحناجر :

"رأيتكم... تموتون جميعًا ."

على جبين أورين ظهر وسم جديد ، دائري ، كأنها عين مرسومة بالدم .

كاين أدرك فوراً أن هذا لم يكن مجرد رؤية ، بل ختم جديد .

اقترب منه وقال ببرود :

"أورين... منذ البداية ، أنت لم تكن مجرد ساحر مظلم .

أنت كنت شاهد الحلقة ."

أورين رفع عينه السوداء ، وفيها دوامة تتحرك ببطء .

رد بصوت خافت :

"لا... أنا العين التي لا ترمش .

سأرى كل شيء... حتى النهاية التي لن تصلوا إليها ."

الأرض اهتزت فجأة ، وصرخة بعيدة هزّت أركان مدينة الأسياد .

صرخة ليست بشرية... بل شيء قديم جداً .

زايل أمسك فأسه .

ليانا أمسكت خنجرها .

أورين لم يتحرك ، لكنه قال وهو يبتسم ابتسامة غامضة لأول مرة :
"ها قد اقتربوا... ورأيتُ كيف سينتهي دمهم قبل حتى أن يبدأ ."
ظل أورين واقفًا ، عينه لا ترمش ، وكأنها أصبحت نافذة لشيء أبعد من الواقع .

الفصل التاسع والخمسون

نيران لم تنطفئ

"النار التي تطفئها الرياح ليست ناراً... النار التي تُولد من الصراخ لا تنطفئ أبداً ."

لم يكن الليل في مدينة الأسياد ليلاً عاديًا ، بل قناعًا من رماد يغطي السماء .
خطوط حمراء متعرجة اخترقت الظلمة ، كأنها جروح غائرة في جسد العالم ، تنزف ببطء فوق الأبراج السوداء .
الهواء نفسه كان يثقل الصدر ، يحمل في طياته رائحة معدنية... رائحة الدم حين يُحرق .
وقف الأربعة على شرفة مرتفعة تطلّ على المدينة .
تحتهم ، كان الصمت مُشوَّهًا بصرخات متقطعة .
صرخات بشرية ، لكن متكسّرة ، وكأن الحناجر لم تكتمل ، أو الأجساد لم تنتهِ بعد من التشكل .
أورين لم يرمش .
عينه المفتوحة في الجبين كانت تعكس هذا الخراب ، كأنها ترى ما لا يراه الآخرون .
زايل ضاق صدره من التوتر وقال :
"ما الذي تنظر إليه؟ ما الذي ترى؟"
لم يجب أورين فوراً .
كانت شفتاه تتحركان ببطء ، كأنه يكلّم الظلال نفسها :
"أرى الماضي... أرى ما كان يجب أن يُدفن منذ زمن .

أرى آباءكم... وأرى أمي ."
ارتجف الضباب الأحمر ، وتكثف ليكوّن وجوهًا بلا ملامح ، وجوهًا نصف شفافة تنبض كالجروح .
كانت الأرواح تطفو فوق البيوت ، تقترب ، وتتمدد ، وتتحول إلى أجساد غير مكتملة .
ليانا وضعت يدها على صدرها ، شعرت ببرودة تمزّق رئتيها . همست بخوف :
"هذه ليست أوهامًا... هذه أرواح حقيقية ."
رفع أورين يده .
العين في جبينه اتسعت أكثر ، وانبثق منها خيط من نور قاتم شقّ الضباب .
قال بصوت عميق :
"أرواح التجارب الأولى .
حين قرر اثنان من الدم الملكي أن يحوّلا البشر إلى لحم لا يموت... إلى جندٍ أبدي ."
زايل تقدم خطوة :
"أي دم ملكي؟ من تتحدث؟"
التفت أورين إليه ، وصوته ارتجف بالغضب المكبوت :
"أباك يا كاين... وأخوك استرافا ."
كاين ، الصامت حتى الآن ، تحرّك أخيرًا .
لم يصرخ ، لم ينكر ، بل قال جملة واحدة بصوت كالصقيع :
"...توقف ."
لكن أورين لم يتوقف .
"وأمي... كانت وعاء التجربة الأولى .
لم تكن ساحرة ولا امرأة عابرة... كانت رحمًا أُجبر على حمل دم مختلط .

كانوا يريدون طفلاً يرى ما لا يُرى... يسمع ما لا يُسمع .
كانوا يريدون عينًا لا ترمش ."
شهقت ليانا ، وغصّت الكلمات في حلقها :
"أورين... أنت تقول إنك..."
قاطعها :
"نعم .
أنا النتيجة .
أنا الذنب الذي لم يندثر ."
الأرض تحت أقدامهم اهتزّت ، وارتفع من باطنها مبنى حجري أسود .
بلا أبواب ولا نوافذ ، جدرانه مشبعة بالرماد ، وكأنها تتنفس صرخات محبوسة .
صرخ زايل بدهشة :
"ما هذا؟!"
همس كاين ، وعيناه تظلمان أكثر :
"...المختبر ."
التفت إليه الآخرون .
زايل صرخ بغضب :
"أي مختبر؟!"
كاين أجاب بصوت كجرح مفتوح :
"المكان الذي بدأ فيه كل شيء .
حيث استخدم أبي أختي كأداة ، وجعل دمها وقوداً لاسترافا ."
صرخت ليانا :
"إذن... والدة أورين... كانت أختك؟!"

لم يجب كاين .

أدار وجهه للجانب .

لكن صمته كان اعترافًا أقسى من أي كلمة .

انفتح القبو ببطء ، وكأن الجدران نفسها تمزقت .

اندفع من داخله لهيب أسود ، لكنه لم يحرق... بل صرخ .

كل شعلة تحولت إلى وجه .

كل وجه كان إنسانًا مات هنا .

اقترب أورين بخطوات ثابتة .

النار التصقت بيده ، لكنها لم تترك أثرًا من حرق ، كأنها تعرفه .

ابتسم ابتسامة شاحبة وقال :

"هذه ليست نارًا... إنها لعنات لم تُدفن .

كل صرخة كانت بداية جندي جديد .

كل جسد كان مادة خام .

أبيك ، وأخوك... وأمي . كلهم هنا ."

زايل لم يحتمل .

قبض على فأسه وصاح في كاين :

"هل كل هذا صحيح؟!

دمك... دمكم... هو أصل هذه اللعنة؟!"

كاين نظر إليه بعينين مظلمتين :

"لم أختر .

كنت طفلاً وُلد داخل التجربة... ونجوت .

استرافا... هو الذي جعلها دينًا ، جعلها حلقة لا تنكسر ."

تقدّم أورين أكثر ، حتى صار أمامه مباشرة .

عينا الجبين والعينان في وجهه الثلاثي كلها تلمع كجمر :
"تقول نجوت؟
كلا... أنت المفتاح الأخير .
ولهذا وُجدتُ... لأكون مرآتك ."
من قلب النار خرجت أشباح متفحمة ، تتحرك كأطياف لحم محترق .
صرخت جميعها معًا :
"أعيدوا إلينا وجوهنا..."
"أعيدوا إلينا أبناءنا..."
"لماذا تركتمونا؟"
ارتجفت ليانا .
تراجعت خطوتين وقالت :
"إنهم ليسوا موتى بالكامل..."
رفع أورين سيفه ، وصوته أخفض من الهمس :
"أنا عشت ما عاشوه .
كل صرخة دخلت عيني... كل موت صار جزءًا مني .
أنا حملت ذنبكم جميعًا ."
كاين رفع سيفه ، وصوته حمل ثقلاً لا يُحتمل :
"هذه النيران لن تهدأ إلا بالدم الذي بدأها ."
أورين ابتسم ابتسامة أقرب للجنون :
"إذن... دمك يا كاين .
أنت الشرارة الأولى... وأنت الشرارة الأخيرة ."
زايل انفجر صارخًا :
"كفى!

إذا بدأتم تحاسبون أنفسكم بالدم... فلن يبقى أحد واقفًا منّا!"
لكن الأرض اهتزّت مرة أخرى .
انشقّت المدينة من قلبها ، وارتفع صراخ أعمق من كل ما سبق .
صوت لم يكن من الأرواح ولا من النار... بل من شيء أقدم ، شيء لم يمت منذ الحلقات الأولى .
ليانا شهقت :
"...مصاصو الدماء ."

الفصل الستون

ذاكرة شِهاد – الدم الذي لا ينام

"الدماء ليست سوائل... إنها ذاكرة .
وكل ذاكرة لم تُدفن تتحوّل إلى لعنة ."

المدينة اهتزّت حتى بدا أن أعمدتها الحجرية تتنفس .
من الشقوق ارتفعت أنهار من دم أسود ، لا يغلي ولا يبرد... فقط يتدفق كأنه يعرف طريقه .
أورين كان أول من جثا على ركبتيه ، يده على عينه الثالثة التي بدأت تنزف دمًا حيًّا .
همس :
"هذا... ليس دمًا عاديًا .
إنه دم من ماتوا هنا... لكنه لم يمت ."
ليانا وضعت يدها على فمها وهي ترى الأنهار ترتفع إلى السماء مثل أعمدة ، تتحول تدريجيًا إلى أشكال بشرية ، لكن بلا ملامح .
تكوّنت الوجوه من جديد ، ولكنها لم تكن وجوهًا بشرية .
أنياب طويلة مزّقت الشفاه الدموية .
أظافر سوداء خرجت كأنها صُنعت من عظام محترقة .
أجساد نحيلة ، لكنها مشبعة بقوة لا تُوصف .
زايل شدّ قبضته على فأسه ، والعرق يتصبب منه :
"...مصاصو دماء ."

ضحكت الكائنات جميعاً بصوت واحد ، ضحكة تتردد كأنها تصدر من آلاف الحناجر الميتة :
"نحن... الذاكرة .
نحن... الدم الذي لم يُدفن ."
في يد كاين ، سيفه "شِهاد" ارتجف فجأة ، كأنه يستيقظ .
الرموز السوداء على نصله أضاءت بلون قرمزي ، والهواء امتلأ بصرير معدني ، أشبه بأنين لا يُسمع إلا بالروح .
أورين التفت نحوه ، وجهه غارق في العرق والدم :
"سيفك يعرفهم .
إنه يحمل بقاياهم .
كل روح ماتت هنا... محفورة فيه ."
كاين نظر إلى السيف كما لو أنه يراه لأول مرة :
"...إذا كان هذا صحيحًا... فشِهاد ليس مجرد سيف ."
أورين ، بابتسامة شاحبة :
"بل شاهد .
شاهد على الدم الذي لا ينام ."
الكائنات المصنوعة من الدم تحركت ببطء ، لكنها لم تهاجم فوراً .
بدلاً من ذلك ، بدأت تهمس... كل همسة كانت جملة مبتورة ، ذكرى متكسّرة :
"أنا كنت ابنًا..."
"أنا كنت أمي..."
"أنا كنت جسداً بلا اسم..."
"أعطوني وجوهكم..."

ليانا صرخت وهي تمسك رأسها :

"إنهم يدخلون عقولنا!"

أورين أغلق عينه الثالثة بقوة ، الدم يتدفق منها بغزارة :

"إنهم ليسوا هجومًا... إنهم ذاكرة .

يفرضون أنفسهم علينا حتى نصبح امتداداً لهم ."

فجأة ، ارتفع صوت أعمق من كل الهمسات ، صوت كأنه قادم من قلب الأرض :

"من أطلقتم دماءه لن يعود للنوم ."

الأربعة تجمدوا .

الدم بدأ يتجمع في نقطة واحدة أمامهم .

ومن تلك النقطة خرج جسد واحد ، أكبر من البقية ، درعه كُوِّن من عروق دم متصلبة ، وعيناه حمراوان لا تعرفان السكون .

قال بصوت كالصدى الذي لا ينتهي :

"أنا أول من شُرب دمه حتى لا يموت .

أنا الأصل... أنا اللعنة الأولى ."

زايل همس ، ووجهه مشدود بالرعب :

"...أول مصاص دماء ."

أورين رفع رأسه ، وصوته متقطع من النزيف :

"أبي... كان يريدك جنديًا خالداً .

لكنه خلقك وحشًا .

واسترافا... أخذ دمك بذرةً ، وتركك تتعفن في القاع ."

الوحش الضخم ابتسم ، وأنيابه انغرست في شفتيه حتى نزف الدم :

"لا فرق بين أبيك... وأخيك... وبينك .

أنتم جميعًا ذاكرة دم ."

كاين رفع سيفه .

صوته كان منخفضًا ،لكنه حمل قسوة لا تُحتمل :

"إذا كنت ذاكرة... فسأقطعك من الجذر .

هذه هي محاكمتي الثانية ."

ضحك الوحش حتى ارتجفت المدينة :

"محكمتك الثانية؟

وهل نجوت من الأولى؟"

الهواء امتلأ بصفير حاد .

كل الكائنات الدموية انقضّت دفعة واحدة .

والأربعة وجدوا أنفسهم محاطين بألف ذاكرة ، ألف موت ، ألف لعنة .

أورين فتح عينه الثالثة من جديد ، رغم النزيف ، وصرخ :

"لا تنطفئوا!

هذه النيران... لا تنطفئ بالنار .

إنها لا تهدأ إلا بالاعتراف ."

التفتت إليه ليانا ، وصوتها متقطع من الرعب :

"اعتراف؟ أي اعتراف؟!"

أورين ابتسم رغم الدم :

"بأي شيء وُجدنا .

وبأي شيء... يجب أن نموت ."

الفصل الحادي والستون

رسالة من الذين لم يولدوا

"الأصوات التي تسمعها ليست من الماضي... بل من المستقبل الذي لم يحدث قط ."

ألف جسد بلا ملامح تحرّكوا كبحر من الدماء .
الأرض نفسها لم تعد صلبة ، بل تحوّلت إلى سطح لزج يمتص الخطوات .
كاين ، ليانا ، أورين ، وزايل وقفوا كأنهم أربعة مسامير في لوح من العدم ، محاطين بأصوات لا تُعد .
الهمسات لم تكن مجرد كلمات ؛ بل كانت جملاً متقطعة تُلقى داخل العقول :
"لم أولد... لكنني مت ."
"أنا لست جسداً... بل خطأ لم يُصحح ."
"من قتلني لم يولد بعد ."
زايل صرخ وهو يغرس فأسه في الأرض :
"اخرسوا!!!!"
لكن الأصوات لم تسكت ، بل ازدادت حدة ، حتى صارت كأنها بحر يفيض في الأذن .
أورين سقط على ركبتيه .
عينيه العاديتين أُغلقتا بقوة ، لكن عينه الثالثة فتحت نفسها بالقوة ، تبكي دمًا لا يتوقف .

كان ينظر إلى الفراغ ، ثم قال بصوت مرتجف ، كأنه يقرأ جداراً مكتوباً بدماء لا يراها أحد سواه :

"إنها رسائل... رسائل من الذين لم يولدوا .

إنهم يرون أننا... لم نكسر الحلقة بعد .

أن كل ما فعلناه ليس إلا تكراراً آخر ."

ليانا وضعت يدها على كتفه :

"من هؤلاء؟"

أورين رفع رأسه ببطء ، وعينه الثالثة تشتعل كجمر حيّ :

"نحن ."

كاين أدار سيفه "شِهاد" في يده .

النصل كان يرتجف ، وكأن الأرواح داخله تحاول الخروج .

قال ببرود :

"كل جرح رأيناه... كل موت عبرناه... لم يكن النهاية .

كان فقط إشارة ."

ليانا تمتمت :

"إشارة لماذا؟"

كاين رفع عينيه أخيراً ، وصوته كان حديداً :

"لأننا نحن الأربعة... كُتب أن نكون رسائل للذين لم يولدوا بعد .

وكل موت لنا... ليس إلا رسالة ."

من بين الجسد الضخم للـ"لعنة الأولى" ، خرج ظل جديد ، أكبر من كل البقية .

عينان لا تحملان قزحية ، فقط بياض ممتلئ بالجنون .

فتح فمه ، وكل كلمة خرجت كانت كأنها تصدر من ألف جرح في وقت واحد :
"من يكتب النهاية... لا يعيش ليراها .
من يقرأ الرسالة... يموت قبل أن يفهمها ."
زايل رفع فأسه :
"وما المطلوب؟!"
الوحش الضخم ابتسم ، فبانت أنيابه الطويلة الملطخة بدماء لا تنتهي :
"المطلوب... أن تكسروا الحلقة .
لكن... كل كسر يخلق حلقة أعنف ."
فجأة ، سال خط دم من عين كاين .
ليانا شهقت :
"أنت... تنزف؟"
كاين مسح الدم بيده الباردة ، وقال :
"لا .
هذا ليس دمي .
إنه دم من قتلهم والدي... والدم الذي لم يجف بعد ."
شِهاد أضاء فجأة ، والرموز على نصله صارت أوضح ، حتى بدت كأنها عظام محَفورة بالدم .
أورين همس :
"السيف... يبتلع الرسائل ."
الجسد الأول رفع يده ، وصوته صار أشبه بصدى الأرض كلها :
"حين تصلون إلى آخر موت... لن تنكسر الحلقة .
بل ستعودون أنتم... رسائل للذين لم يولدوا بعدكم ."

ثم انشق جسده فجأة إلى ألف شظية من دم ، طارت في الهواء ، واختفت .
لكن الأرض بقيت ترتجف... وكأن الرسالة لم تنته .
أورين وقف ببطء ، يده تمسح الدم عن عينه الثالثة :
"علينا أن نكمل .
كل خطوة من الآن... ليست طريقًا ، بل حكمًا ."
كاين أدار وجهه نحو الضباب ، وصوته كان حاداً كالنصل :
"فلنمضِ .
الحلقة لن تُكسر وحدها ."
زايل شد قبضته على فأسه ، وليانا أغلقت قبضتها على خنجرها .
الأربعة خطوا معًا داخل الممر الذي انفتح في الضباب ، حيث لم يكن أمامهم سوى الظلام .
بينما كانوا يسيرون في الممر الضبابي ، ظهر جدار أسود ناعم ، كأنه مرآة هائلة ممتدة بلا نهاية .
اقتربت ليانا ببطء ، ولم ترَ انعكاسها... بل رأت طفلة صغيرة تبكي .
الطفلة كانت نسخة منها ، لكن عيناها فارغتان ، كأنهما مقبرتان .
ليانا وضعت يدها على الزجاج ، والطفلة رفعت يدها أيضًا... ثم همست بصوت خافت :
"أنا من لم يُولد مكانك .
أنا التي كان يجب أن أكون أنت ."
ليانا شهقت ، وتراجعت ، لكن المرآة انكسرت فجأة إلى مئة شظية ، كل منها أظهر وجهًا مختلفًا لها...
وجه قاتل ، وجه خائنة ، وجه حبيبة ميتة ، وجه لم تعشه أبدًا .

زايل ضرب الجدار بفأسه حتى تحطم ،لكن قبل أن يتفتت ، سمعوا صوتًا واحدًا يخرج من كل الوجوه معًا :
"كل خيار لم تختاره... أصبح حياةً لشخص آخر لم يولد ."
الأرض تحت أقدامهم صارت تمتص خطواتهم أكثر فأكثر ، حتى غرست أقدامهم ببطء في وحل أحمر قاتم .
زايل رفع فأسه وأقسم :
"إنه دم ، أليس كذلك؟!"
أورين أجاب ببطء ، وهو ينظر بعينه الثالثة :
"ليس دم موتى... بل دم الذين لم يولدوا .
الذين لم تُعطَ لهم فرصة ، صاروا أنهاراً هنا ."
فجأة ، تدفق الوحل إلى الأعلى ، متحوّلاً إلى أياد بشرية تجرّهم إلى الأسفل .
كل يد لها ملامح طفل لم يكتمل ، عيون لم تُفتحٍ ، أفواه لم تصرخ .
كاين غرس شهِاد في الأرض ، وأطلق صرخة مكتومة .
النصل أضاء ، وأبعد الأيادي لحظة واحدة .
لكنه تمتم بكلمات لم يقلها من قبل :
"أعرف... أن بعضهم... كان يجب أن يكون أنا ."
وسط الصمت الثقيل ، تكلمت الأرض نفسها .
صوتها كان كصرير الحديد على العظم :
"من يُولَد... يسرق مقعداً من الذي لم يولد .
كل حياة... موت مؤجل لآخر .
ألم تفكروا لماذا أُعطيتم الوسوم... وأنتم أربعة فقط؟"
ليانا صرخت :
"ماذا تعني؟!"

الصوت ردّ ، ببطء متعمد :
"أنكم الأربعة... أخذتم وسوم مئات لم يولدوا .
أنتم سرقتُم حياتهم... ولهذا أنتم ملاحَقون .
أنتم لستم أبطالاً... أنتم لصوص الدماء ."
زايل تراجع خطوة ، ووجهه صار شاحبًا :
"يعني... أنا أعيش لأن آخر لم يُعطَ الحق أن يولد؟"
أورين وضع يده على صدره :
"كل وسم فينا... ليس بركة .
إنه دم مسروق ."
كاين ظل واقفًا بلا تعبير ، لكن قبضته على السيف اشتدت حتى سال الدم من كفه .
قال بصوت منخفض ، كأنه يوجهه لنفسه لا للآخرين :
"إذن... لم أُخلق لأحيا .
بل لأعيد الدَّين... بالقتل ."
الضباب انفتح أمامهم كفم عملاق .
ممر مظلم ، وفي نهايته وميض أحمر ، كأن العالم هناك يشتعل منذ ملايين السنين .
أورين قال :
"من هنا... تبدأ مقصلة الذات ."
الجميع سكتوا .
الكل شعر أن الطريق هذا... ليس فقط طريقًا في الأرض ، بل في داخل أرواحهم .
كاين تقدم خطوة أولى ، والدم يسيل من قبضته على شِهاد .

كل خطوة كان يسمع فيها همسات جديدة :

"أنت... لست أنت .

أنت... الذي سرق حياة غيره ."

الأربعة كانوا يسيرون ببطء داخل الممر المشتعل بالوميض الأحمر ، والظلال تهمس بلا توقف .

الجو كان خانقًا ، والهواء كأنه مصنوع من دماء .

الفصل الثاني والستون

كاين – مقصلة الذات

الممر الأحمر لم يكن طريقًا ، بل جرحًا مفتوحًا في قلب الأرض .
الهواء الذي دخلته رئاتهم كان طَعمُه دمًا قديمًا ، وكأنهم يتنفسون عروقًا ممزقة .
ليانا شدّت على خنجرها ، زايل صرّ على أسنانه وهو يجرّ فأسه خلفه كأنها سلسلة ، أمّا أورين فظل يمسح الدم المتساقط من عينه الثالثة بلا جدوى .
كاين كان يتقدّم وحده .
خطوة... وراء خطوة... وصوت همس لا يسمعه سواه :
"أنت المقصلة... وأنت الرأس الذي سيُقطع ."
في قلب الممر ، ارتفع جدارٌ من زجاج أحمر كالدمى ، عاكسًا ظلالهم .
لكن انعكاس كاين لم يكن نسخة عنه .
كان شابًا بوجهه ذاته ، لكن بعينين مطفأتين وسيفٍ مكسور في يده .
ابتسم الانعكاس وقال :
"أنا الذي متّ مكانك... وأنا الذي ستقتلني الآن ."
ضرب كاين الزجاج بشِهاد ، فتناثر الجدار إلى شظايا ، وكل شظية عكست مشهداً مختلفًا :

— طفل يبكي تحت صرخة أب مذبوح .

— أخته الميتة ، عيناها فارغتان .

— استرافا مبتسماً وهو يغمس يده في صدره .

كلها صور لم يكن يستطيع إنكارها... كلها هو .
من الشظايا خرج جسد آخر .

رجل طويل ، بوجه متآكل كأنه من رماد ، يحمل سيفًا صدئًا .
صوتُه كان كصرير الحديد على الحديد :
"ابني... هل قتلتني حقًا؟ أم أنا الذي تركتك تموت في كل مرة؟"
كاين تراجع نصف خطوة ، والدم ينزف من عينيه بلا دموع .
همس :
"كنتَ أبي... لكنك لم تكن أبًا ."
الرجل رفع سيفه ،لكن قبل أن يهوي به ، ظهر استرافا من الضباب ، يضع يده على كتف الأب ويبتسم ابتسامة قاتلة :
"لا فرق بيننا يا أخي... كلانا صنيعة هذا الدم ."
فجأة ارتفع في منتصف المكان حجر أسود ضخم ، وعليه سيفان متقاطعان .
كانت هذه المقصلة التي تهمس الأصوات باسمها منذ البداية .
أورين شهق :
"إنها ليست آلة... إنها أنت يا كاين .
أنت المقصلة... وأنت الضحية ."
الهمسات تحولت إلى جوقة :
"اقطع الرأس... كي تستمر الحلقة ."
"اقطع الرأس... كي تُولد الحلقة من جديد ."
كاين صرخ ، وغرس شِهاد في الحجر .
الرموز على نصله أضاءت ، كأن الأرواح داخله تستيقظ جميعًا .
الانعكاس عاد ، نفس كاين ،لكن برأس منكّس .
ركع أمامه وقال :
"اقطعني... وستكمل .
ارفض... وسينهار كل شيء ."

زايل حاول التقدّم ،لكن الأرض شدّته لأسفل .

ليانا صرخت :

"لا تفعل! إنهم يخدعونك!"

لكن صوتها ضاع وسط الجوقة .

كاين رفع سيفه... والانعكاس رفع ابتسامة باهتة ، كأنها اعتراف أخير .

وفي ضربة واحدة... سقط الرأس .

لكن حين ارتطم بالأرض ،لم يخرج دم... خرجت آلاف الأجنحة السوداء ، ملأت الممر ، وغطّت السماء .

الأجنحة طارت في كل اتجاه ، وكل واحدة تحمل همسة جديدة :

"هذا ليس موتك الأخير..."

"كل قطعٍ يخلق حياةً أخرى لم تولد..."

كاين سقط على ركبتيه ، والدم يسيل من قبضته ، بينما شِهاد أصبح أثقل من أي وقت مضى .

همس بصوت بالكاد يُسمع :

"إن لم أقطع نفسي... سأقطعكم جميعًا ."

أورين بكى دمًا وهو يصرّ على رأسه :

"لقد بدأ... الطوفان الأخير ."

المكان كله اهتز .

الممر انفتح على بحر أحمر لا نهاية له .

في الأفق ارتفعت ظلال لا تُحصى ، كأنها أمواج بشرية غارقة في الدم .

ليانا أمسكت يد كاين ، وهي تدرك أنه فقد شيئًا لا يمكن أن يعود .

زايل لوّح بفأسه كمن يستعد لنهاية لا يقدر على منعها .

وصوت واحد فقط بقي يتردّد من الأفق :

"المقصلة سقطت... والدم لن يتوقف ."

من بين الأجنحة السوداء التي ملأت المكان ، خرجت طفلة صغيرة ، شَعرها مبلل بالدم .

كانت أخته ، بملامح مشوهة ، تحمل دمية محروقة .

اقتربت بخطوات بطيئة وقالت بصوت يجرح :

"لماذا تركتني؟ كنتَ قادراً أن تنقذني... لكنك اخترت أن تحيا ."

كاين تجمّد .

ليانا وضعت يدها على صدرها ، كأنها أحست بالطعنة نفسها .

زايل بصق دماً من بين أسنانه وقال :

"هذه لعبة... لا تصدّقها!"

لكن الفتاة تقدمت أكثر ، ودمية الدمى تحولت فجأة إلى رأس مقطوع .

سقطت من يدها ، وتدحرجت عند قدمي كاين .

الرأس رفع عينيه الميتتين وهمس :

"كنتَ أنت من قطعني ."

من الظلام خرج استرافا ، ليس كجسد كامل ، بل كظل يلتف حول كاين نفسه .

وضع يده على كتفه وقال بابتسامة ساخرة :

"أتظن أنك قطعتني؟

كل ضربة منك كانت ضربة لي... ولنفسي .

نحن واحد يا أخي .

وكل مرة تقتلني... أنت تقتل نفسك أكثر ."

كاين دفعه لكنه التصق به كظل لا ينفصل .

حتى ليانا وأورين وزايل رأوا استرافا ملتفًا حوله ، كأنه وشم حيّ يغطي جلده .

ليانا صرخت :
"كاين! لا تسمح له بالدخول!"
لكن كاين فقط أغلق عينيه ، وهمس :
"لقد كان داخلي منذ البداية ."
الأرض انشقت فجأة ، وارتفعت مقاعد حجرية حمراء ، جلس عليها عشرات الوجوه الميتة .
وجوه فرسان ، نساء ، أطفال... كلهم يحدقون بكاين .
واحد منهم نطق بلسان مكسور :
"أنت حَكمتنا... والآن نحن نحكمك ."
الجوقة كلها هتفت :
"اقطع الرأس مرة أخرى! كررها حتى تنكسر الحلقة!"
أورين وضع يديه على أذنيه ، والدم يتفجّر من عينه الثالثة .
زايل رفع فأسه ليمزق المقاعد ، لكن كل ضربة منه اخترقت الهواء وعادت كجرح في جسده .
فهم أن هذا المجلس لا يحاكم كاين وحده... بل يحاكمهم جميعًا .
كاين ، وهو يلهث وسط الجوقة والظلال ، شعر بشيء ثقيل على كتفيه .
مد يده... ليجد رأسه نفسه يتدلى على جانب كتفه ، منفصلاً ، لكنه يتكلم .
الرأس ابتسم بخبث :
"الآن فهمت... أنت تعيش لأنك مقطوع منذ البداية ."
ليانا سقطت على ركبتيها ، الدموع والدم يختلطان على وجهها .
"لا... هذا كثير..."
كاين رفع شِهاد عاليًا .
وبضربة ثانية... قطع رأسه مرة أخرى .

لكن هذه المرة ، لم يسقط الرأس على الأرض .

بل سقط كل المكان ، الممر كله انشق كأنه عنق ينفصل عن جسد .

بعد سقوط كل شيء ، لم يتبقَ سوى صمت .

كاين يقف وسط الفراغ ، بلا ظل ، بلا مرآة ، بلا صوت .

نظر إلى يده ، ورأى الدم يتبخر كأنه لم يكن أبداً .

قال لنفسه بصوت بالكاد يُسمع :

"إن كنت أنا المقصلة... فكل ما حولي ليس إلا رقاب تنتظر ."

ليانا أرادت أن تصرخ باسمه ، لكن الكلماتِ لم تخرج .

زايل وأورين لم يتحركا ، كأنهم هم أيضًا عُلقوا على المقصلة .

أخيراً ، انفتح الممر إلى مشهد أبعد من العقل :

بحر بلا شاطئ ، كل موجة فيه مصنوعة من آلاف الجماجم .

السماء سوداء ، يتخللها شق أحمر كجرح مفتوح .

أورين تمتم وهو يرتجف :

"هذا... هو الطوفان الأخير ."

كاين أخذ خطوة إلى الأمام ، شِهاد في يده يقطر من رموز حمراء متوهجة .

وقال :

"فلنغرق... لأن الحلقة لا تنكسر إلا بالدم ."

الفصل الثالث والستون

طوفان الصدى الأخير

أمام الأبطال امتدّ البحر ،لكن لم يكن ماءً... بل جمجمة فوق جمجمة ، ملايين من العظام تطفو كالأمواج .
كل موجة تصطدم بأخرى ، فيعلو صدى صرخة جماعية .
الصوت لم يكن مسموعًا فحسب ، بل محسوسًا في العظام نفسها ، كأن الأرض كلها ترتجف داخل قلوبهم .
ليانا أمسكت بخنجرها حتى شقّت راحة يدها ، دمها يقطر وهي تقول :
"هذا ليس مكانًا للحياة... إنه مقبرة بلا زمن ."
زايل ضحك ضحكة جافة ، ثم رفع فأسه ، وهو يحدّق في الأفق :
"وأخيراً... مكان يليق بي ."
السماء فتحت نفسها ،لكن بدل المطر نزل دمٌ طازج .
كل قطرة دم حين لامست الجماجم ، بعثت صدى جديداً ، كأنها توقظ ذاكرة قديمة .
أورين سقط على ركبتيه ، عينه الثالثة تُنزف بلا توقف ، وصوته متقطع :
"إنه صدى... صدى الموتى الذين لم يُدفنوا... صدى أرواحهم يفيض الآن علينا ."
ليانا نظرت إلى كاين ، وقد صار صامتًا كالتمثال ، شِهاد في يده يتوهّج رمزيًا كلما سقطت قطرة دم .
كأن السيف يبتلع الصدى .
من الأفق ارتفعت موجة ، لا من الماء ، بل من الصرخات نفسها .

جدار أحمر وأسود يقترب بسرعة تكسر أي عين تراها .

زايل صرخ متحديًا :

"دعوه يأتِ! سأغرق معه!"

لكن الموجةَ لم تضربهم كالماء... بل اخترقت أجسادهم كذكرى .

كل واحد منهم رأى ماضيه يعود كعاصفة :

ليانا رأت يدها وهي تذبح أول ضحية لها .

أورين رأى أمه وهي تصرخ اسمه قبل أن تبتلعها التجربة .

زايل رأى أخاه يسقط مضرجًا بالدماء أمامه .

كاين رأى نفسه يكرر قطع الرأس ألف مرة بلا توقف .

كل ذكرى كانت سهمًا جديدًا يغرس نفسه في عظامهم .

أورين سقط تمامًا ، وبدأ يصرخ بلا وعي :

"أمي! أبي! توقفوا! لا أريد أن أراكم بعد الآن!"

عينيه الاثنتان أُغلقتا... لكن الثالثة لم تُغلق .

ومنها خرج ضوء أسود كثيف ، انفجر كأنها بوابة .

كاين أمسك به من كتفه وقال ببرود :

"إما أن تغلقها... أو سنُبتلع جميعًا ."

لكن أورين ، وهو يرتجف ، أجاب بصوتٍ غريب ، ليس صوته وحده :

"إنها ليست لي... إنها لنا جميعًا ."

الموجة الثانية ضربت ، وهذه المرة لم يكن هناك مقاومة .

الأربعة غُمروا داخل الطوفان .

لم يعودوا واقفين على أرض... بل يطفون داخل بحر من الذكريات .

ليانا وجدت نفسها تمشي وسط مئة نسخة منها ، كل واحدة تحمل حياة مختلفة .

زايل وجد نفسه يقاتل آلاف النسخ من أخيه ، وكل واحد يموت أمامه .
أورين تفتت إلى مرايا ، كل مرآة تُظهر أبًا مختلفًا .
كاين كان وحده... لكنه كان يرى كلهم يذبحون أنفسهم في حلقة لا تنتهي .
فوق الطوفان ارتفع صوت واحد ، لا ينتمي لإنسان :
"هذا هو الصدى الأخير... صدى كل موت لم يُحسب .
إن نجوتم منه... فأنتم لا تعودون بشراً ."
كاين رفع شِهاد ، والسيف صار يقطر دمًا لا ينتهي .
ليانا نظرت إليه بخوف وقالت :
"كاين... ما أنت بصدد فعله؟"
هو لم يجب .
لكن ظله تحرك وحده ، وأمسك سيفًا ثانيًا .
الطوفان بلغ ذروته ، وأصبحوا داخل دوامة هائلة من الجماجم والدم والصوت .
لا مخرج ، لا ضوء ، لا أرض .
زايل صرخ متحديًا :
"فلنغرق إذن! لكننا سنسحبكم معنا!"
كاين غرس شِهاد في قلب الدوامة ، فانفتحت فجوة سوداء .
الجميع سقطوا داخلها... نحو شيء أعمق من البحر ، أعمق من الصدى... نحو الحلقة نفسها .
وسط العاصفة ، ارتفع عرش مقلوب من العظام ، وكأن الطوفان نفسه أنشأه .
جلس عليه كيان بلا وجه ، رأسه مجرّد ثقب أسود ينزف دمًا بدل العينين .
مدّ يده الطويلة وأشار إلى الأبطال .
الصوت الذي خرج منه لم يكن واحدًا ، بل أصوات آلاف تختلط :
"أنتم لستم الناجين... أنتم الذين سُرقت لهم الحياة .

مكانكم لم يكن هنا... بل في العدم ."

ليانا شهقت :

"لماذا... لماذا نحن؟"

الكيان مال بجسده كدمية مهترئة ، وصوته صار أقرب :

"لأن كل ولادة... هي قتل لمولود آخر .

أنتم الأربعة... قتلتمونا دون أن تعرفوا ."

زايل صرخ وهو يلوّح بفأسه :

"كفى!! لسنا نحن من اختار!"

لكن الكيان انفجر ضاحكًا بصدى الجثث :

"ولذلك... ستدفعون الثمن كلكم ."

الطوفان بدأ يبتلع الظلال نفسها .

الأرض ، السماء ، وحتى الأصوات تذوب وتعود كدم في البحر .

أورين التفت مذعوراً :

"لا! هذا ليس صدى فقط... إنه ابتلاع للحلقة نفسها!"

كاين رفع عينيه ، وقطرة دم جديدة سالت من حدقته :

"الحلقة... لا تموت .

لكنها تعيد ابتلاع نفسها ."

فجأة ، كل واحد منهم رأى ظلاً له يسير بجانبه :

ظل ليانا كان مبتسماً ، يذبح بلا تردد .

ظل أورين كان طفلاً يبكي ، يجر نفسه نحو الجدار .

ظل زايل كان عملاقًا ، غارقًا في الدماء ، بلا عيون .

ظل كاين كان أسود كامل ، يحمل المقصلة بدل السيف .

كل ظل هتف بصوت واحد :

"أنتم لسنا... ونحن أنتم ."

الطوفان توقف لحظة .

الأبطال وجدوا أنفسهم في دائرة من العظام ، وسطها أربعة كراسي حجرية ، أمام كل واحد منهم كرسي مخصص له .

الصوت عاد يهمس :

"اجلسوا... لتكمل الحلقة ."

ليانا تراجعت :

"وإن رفضنا؟"

الهمس تحول لصراخ يخترق العظم :

"إذن ستبقون هنا... إلى أن تفقدوا أسماءكم ."

زايل جلس أولاً ، ضاربًا قبضته على الحجر .

"فليكن! لنرى أي لعبة أخرى ستقودوننا إليها ."

حين جلس ، الحجر امتلأ بالدم وصار يتنفس كصدر إنسان .

أورين جلس بعده ، وهو يغمض عينه الثالثة بيده ، لكن الدم تسرب من بين أصابعه .

ليانا جلست بتردد ، والطفلة التي رأتها في المرآة بالفصل الماضي ظهرت للحظة عند قدميها .

كاين كان آخر من جلس .

وحين فعل ، مقعده انشق نصفين ، وكشف تحت الأرض حفرة بلا قرار .

العرش المقلوب من العظام بدأ ينهار ، والكيان الذي عليه سقط داخل البحر .

لكن قبل أن يختفي ، صرخ بصوت لا يطاق :

"إلى الداخل... إلى حيث لا يخرج أحد .

الطوفان ليس نهاية... بل باب ."

الأرض تحتهم انشقت ، والمقاعد تحولت إلى سلاسل ربطتهم وسحبتهم للأسفل .
لم يعودوا يملكون خياراً :
كلهم سقطوا نحو العدم المفتوح .
ظلام مطلق .
لا أصوات ، لا صرخات ، لا جماجم .
فقط هم ، وأجسادهم معلقة في فضاء أسود يبتلع كل شيء .
ليانا تمتمت :
"انتهى؟"
لكن صوتًا باردًا رد من الأعماق :
"الطوفان لم يكن سوى البوابة .
الآن... ستلتقون الذي لم يولد قط ."
الظلام تمزق فجأة ، وظهر أمامهم كائن بشري/وحش بلا وسم . . . يحدق فيهم .

الفصل الرابع والستون

الذي لا يحمل وسماً

لم يكن ظهور الكائن على شكل انفجار أو ضوء .
بل كان ولادة بطيئة من العدم .
كأن الفراغ نفسه تردّد قليلاً... ثم سلّم مكانه لهيئة بشرية تتكون بلا صوت .
جلد باهت ، بلا علامات .
بلا وسوم .
كأن أحداً نسي أن يرسمه حتى النهاية .
صوت ليانا ارتجف :
"حتى الظلال لها شكل... أما هو ، فلا ."
كاين لم يحرّك عينيه عنه .
كان يشعر أن السيف في يده ينكمش ، وكأن الحديد يعرف أن من يقف أمامه ليس عدواً ، ولا صديقًا... بل خللاً في الحكاية نفسها .
حين تكلم ، لم يفتح فمه .
الفراغ نفسه صار صوته :
"أنا... الناقص ."
أورين ارتجف ، عينه الثالثة فُتحت بلا إذن ، دمعت دمًا ساخنًا .
قال بصوت مبحوح :
"إنه... خطأ .
لكنه ليس خطأ من البشر... بل خطأ من الحلقة نفسها ."
الكائن مد يده ، والهواء انكمش حول أصابعه :

"أنا الذي لم يكتبني الكاتب .

أنا الصفحة البيضاء في وسط الكتاب .

أنتم أربعة وسوم... وأنا الفراغ الذي سرقتموه مني ."

زايل لوّح بفأسه متحدياً :

"لو كنت مجرد فراغ... فدعنا نمزقك!"

ضحك الكائن ضحكة بلا صدى :

"وما الذي يحدث لو مزقتم صفحة بيضاء؟

لا شيء... سوى أن الكتاب يفقد مكانه ."

فجأة ، الأرض امتلأت بأطفال بلا عيون ، بلا ملامح ، بلا أصوات .

كانوا يسيرون بتمايل ، كأن أجسادهم لم تُكتمل ، يلتصقون بجدران الفراغ .

كلما اقترب أحدهم من الأبطال ، يتفتت كالغبار ، تاركًا صرخة قصيرة :

"لم أُكتب..."

ليانا شهقت ، ووضعت يدها على صدرها :

"إنهم... حياتي الأخرى .

كل الطرق التي لم أسلكها ."

أورين أطبق عينيه ، وقال :

"لا ... إنهم أكثر من ذلك .

إنهم... نحن .

النسخ التي كان يمكن أن تولد ، ولم تولد .

والذي لا يحمل وسماً... هو صوتهم مجتمعًا ."

الكائن جلس على الأرض السوداء ، ثم مزّق جلده بأصابعه .

لم يسِل دم أحمر... بل سائل أبيض شاحب ، كأنه حبر باهت .

بدأ يرسم دوائر على الأرض ، لكنها لم تكن وسومًا .

كانت ثقوبًا ، مجرّدة ، ناقصة .

رفع رأسه وقال :

"الحلقة لا تكتمل بالدم وحده... بل بالغياب .

لكسرها... يجب أن يراق دم التوأم .

وكل دم يُسكب... يملأ فراغي أكثر ."

كاين قبض على سيفه .

عينيه كانتا صامتتين ، لكن قبضته كانت تهتز .

"لماذا أنا؟"

الذي لا يحمل وسمًا ردّ ببرود :

"لأنك خُطّت أنت وأخوك في الصفحة نفسها .

ولكسر الكتاب... يجب أن تُمزق الصفحة كاملة ."

الأرض تحولت فجأة إلى مرايا دموية ، كل سطح يعكس صورة لمستقبل لم يحدث .

ليانا رأت نفسها قاتلة للإخوة الثلاثة ، واقفة فوق جثثهم .

اورين رأى نفسه ساحراً بلا عين ثالثة ، يعيش حياة بسيطة لكنه يموت مجهولاً .

زايل رأى نفسه شيخًا عجوزًا ، يبتسم مع طفل... ثم ينطفئ دون حرب .

أما كاين ، فكان انعكاسه هو استرافا ، واقفًا يبتسم له .

ليانا همست :

"هذه... حياتنا التي سُرقت ."

الكائن ردّ :

"كل خيار لم تختاروه... كتبني أنا ."

جسده بدأ يتشقق أكثر ، الضوء الأسود يفيض من داخله ، يحرق المرايا .

قال بصوت كالصخر :

"أنا لست خصمكم... بل قاضيكم .

إن لم تختاروا... ستختار الحلقة عنكم .

وسيصبح دمكم وقوداً لنسخة أخرى منكم... لم تولد بعد ."

زايل ضرب الأرض بفأسه وهو يصرخ :

"يكفي كلمات! من أنت حقًا؟!"

الذي لا يحمل وسماً التفت إليه ، وابتسامته كانت فراغًا محضاً :

"أنا... النهاية التي لم تُكتب بعد ."

ثم ذاب في الهواء ، تاركًا خلفه نقشًا واحداً على الأرض :

"دم التوأم... أو لا كسر ."

الصمت غطّى الجميع .

أورين قال وهو يضغط على جرح في عينه :

"يعني... لا يكفي أن نقتل استرافا .

كاين يجب أن يموت معه ."

ليانا شهقت :

"لا... هذا غير ممكن ."

لكن كاين ظل واقفًا بلا كلمة ، الدم يسيل من قبضته على السيف .

وأخيراً قال بصوت ميت :

"كنت أعرف أن النهاية ستطلب دمي .

من البداية... لم يُكتب لي أن أعيش ."

الفراغ يتشقق ، ويظهر من داخله وميض أحمر متصاعد كبركان ، مع خطوات ثقيلة تُسمع قادمة .

إنه استرافا... "الفوضى المتجسدة" تقترب .

الفصل الخامس والستون

استرافا الساقط – الفوضى المتجسدة

الأرض اهتزت .
لم يكن اهتزازًا عاديًا ، بل كأن شيئًا من عمق ما تحت التاريخ نفسه يحاول الخروج .
الصدوع فتحت فجأة ، وتدفقت أنهار دماء ساخنة ، كأنها عمرٌ بأكمله يذوب .
من وسط البركان الأحمر ، صعدت هيئة .
لم تكن كاملة في البداية ؛ مجرد كتلة من الظلال والدم .
لكنها تمددت ، أخذت شكلاً بشريًا ، أطول من أي إنسان .
جلده أسود كالفحم ، تتخلله شقوق يخرج منها نور أحمر قاتل .
عيناه لم تكونا سوى جرحين مفتوحين يحدّقان .
ليانا همست :
"...استرافا ."
الهيئة رفعت رأسها ، وصوتها كان صدى آلاف الحلقات المكسورة :
"الاسم الذي منحتموني إياه مات منذ زمن .
أنا لست استرافا... أنا سقوطه .
أنا الفوضى حين وجدت جسداً تعيش فيه ."
أورين سقط على ركبتيه ، دم من عينه الثالثة ينزف بلا توقف .
"طاقته... تبتلع الصدى .
كل موت قديم يعود معه ."
زايل قبض على فأسه ، لكن يده كانت ترتجف .

حتى هو ، البيرسيركر الذي لا يعرف الخوف ، شعر أن قلبه يريد أن يتوقف .

كاين واجهه مباشرة .

صوتُه كان ثابتًا ، لكن يده على السيف نزفت بلا توقف .

"أخي..."

استرافا الساقط ضحك ، ضحكة لم تكن ضحكة ، بل ارتجاج في الأرض :

"أخي؟ تلك الكلمة تخص من عاش إنسانًا .

أما أنا... فأنا موتك المؤجل .

أنا الصفحة التي وُلدت معك... وتنتظر أن تتمزق ."

كاين رفع سيفه شهِاد .

النصل أضاء لحظةً ، لكن شعاعه انكسر وهو يلمس هواء استرافا .

استرافا رفع يده .

لم يهاجم بسيف ، لم يطلق نارًا... بل أطلق صوتًا .

صرخة قصيرة ، لكن الأرض كلها انفجرت تحت الأبطال .

انفتحت فجوات سوداء ، خرجت منها أشباح وجثث ، بعضها وجوههم هم ، من حلقات أخرى .

ليانا وجدت نفسها تواجه نسخة منها قاتلة ، بعيون حمراء .

زايل اصطدم بروحٍ مشوهة منه ، نصف جسده محروق ، يضحك بجنون .

أورين واجه طفلاً بعينه الثالثة ، ينظر إليه ويقول :

"لماذا سرقت حياتي؟"

كاين وقف وسط عاصفة من نسخ استرافا ، كل منها أقوى من التي تليها .

كاين شق طريقه عبر الأشباح ، حتى وصل لظل استرافا الحقيقي .

صرخ بصوت اخترق الصخب :

"إن كان موتي هو المفتاح... فلن أهرب .

لكن سأقتلك قبلي ."

استرافا انحنى للأمام ، وجهه يقترب من وجه كاين حتى كاد يلمسه :

"لن تقتلني... لأنك أنا .

وحين تسقط... سيكتمل سقوطنا معًا ."

زايل ضرب فأسه بكل قوته في صدر استرافا... لكن الفأس مرّ عبر جسده كالماء .

ليانا غرست خنجرها في عنقه... لكن الخنجر ذاب كأنه من شمع .

أورين صرخ بتعويذة مظلمة ، فتحت السماء شقًا أسود... لكن الشق أغلق نفسه ، وانعكس السحر عليه ، فسقط ينزف .

استرافا الساقط نشر ذراعيه يضحك :

"لن تلمسوني .

أنا لست جسداً بعد الآن... بل حلقة تعيد نفسها بلا توقف ."

الأبطال اجتمعوا بصعوبة ، جراحهم عميقة .

ليانا بصوت مبحوح :

"هو... أبعد من الموت .

كيف نحاربه؟"

أورين قال وهو يتألم :

"ليس قتالاً .

يجب أن... نكسر كتابه ."

زايل صرخ :

"أي كتاب؟!"

لكن كاين كان صامتًا .

عيناه تنزفان دمًا ، صوته بارد :

"أعرف أي كتاب... كتابنا ."
الأرض لم تعد أرضًا .
كل خطوة صار صداها يتكرر ، لكن ليس صوتهم... بل أصوات موتى لا يعرفونهم .
صدى كسر العظام ، صدى دم ينسكب ، صدى صرخات من حلقات لم يروها .
ليانا توقفت فجأة ، التفتت يمينًا ، ثم يسارًا .
"سمعتم هذا؟!"
الصوت كان صوتها هي... لكن أكبر سنًا ، مبحوحًا من آلاف الصرخات .
"لقد قُتلتُ هنا... منذ آلاف المرات ."
زايل ضرب الأرض بفأسه ، لكن كل ضربة أعادت نفس الصوت بصدى لا ينتهي .
حتى الهواء صار مرآة لصوت استرافا وهو يضحك .
من وسط الدماء ارتفع هيكل .
عرش عظيم ، مكوّن من عظام أعداء لا تُعد ، بعضها هياكل كاملة ، بعضها جماجم معلقة كسلسلة .
جلس استرافا عليه ، كأنه ملك منذ بداية الموت .
"انظروا جيداً... كل من قتلني ، جلست على عظامه .
العرش لا يتوقف عن النمو... لأنه لا يوجد موت يكفيني ."
أورين رفع عينه الثالثة ، فشهق :
"هذه... ليست عظام الغرباء .
هذه عظامنا... نحن ."
وفعلاً ، على أطراف العرش ، بدت جماجم مألوفة :

وجه أورين ، عظام ليانا ، جمجمة زايل المشقوقة ، وحتى رأس كاين نفسه .
الهواء امتلأ بالهلاوس .
زايل رأى أخاه الميت ، واقفًا بجانبه ، يبتسم ، يقول :
"لماذا تركتني أموت مكانك؟"
ليانا رأت أمها ، مكبّلة ، تنزف ، تقول :
"أنت قتلتني حين اخترت طريقك ."
أورين رأى أمه تحترق ، ووالده يضحك وهو يحمل خنجراً .
كاين وحده لم يرَ أحداً .
بل رأى نفسه فقط... واقفًا بينه وبين استرافا ، يحمل نفس السيف ، نفس العيون ، ويبتسم بنفس الابتسامة .
استرافا وقف من على عرشه ، رفع ذراعيه ، والعالم انقلب .
السماء أصبحت بحراً أحمر مقلوبًا .
الأرض صارت زجاجًا يتشقق تحت أقدامهم .
كل حركة صار معها طوفان من أشباح .
قال بصوت جعل قلوبهم تنكمش :
"أنا لم أعد روحًا... ولا جسداً .
أنا القيد نفسه .
أنا الفوضى المتجسدة ."
كاين حاول التقدم خطوة ، لكن الأرض انكسرت تحته ، كاشفة هاوية ممتلئة بجماجم لا نهاية لها .
استرافا ابتسم :
"كل جمجمة هنا... هي نهايتك التي لم تكتمل ."
أورين ، وهو على وشك الإغماء من النزيف ، رفع يديه وأطلق تعويذة مظلمة .

السماء امتلأت بالظلال ، والدماء توقفت للحظة .

لكن استرافا رفع إصبعه فقط... وأطفأها كما يطفئ أحدهم شمعة .

"أيها الطفل... أنت آخرهم .

دمك لن يضيع .

بل سيكون الوقود ."

أورين سقط مغشياً عليه ، وليانا صرخت وهي تحاول إنقاذه .

زايل وقف بوجه استرافا ، رغم الرعب ، وصرخ :

"إن كنت حلقة... فسأكسرها بفأس واحد!"

استرافا انفجر بالضحك :

"جرّب... يا من لست إلا كسراً من حلقة أكبر ."

فجأة التفّت جدران العرش حول كاين وحده .

جدران من مرايا سوداء ، لكنها لم تعكس صورته الحالية... بل وجوهه في كل حياة لم يعشها .

طفل بائس لم يُنقذ .

شاب عاش ومات خائنًا .

أب يذبح أبناءه .

قاتل بلا ذاكرة .

كل نسخة من كاين كانت تضحك ، تبتسم بدم ، أو تنظر إليه باحتقار .

وفوق الجميع... كان استرافا ، يمد يده عبر الزجاج ، قائلاً :

"أنا وأنت... لسنا أخوين .

نحن وجوه لنفس القيد .

واحدنا يولد... ليكمل الآخر طريقه ."

كاين صرخ ، وغرس شِهاد في المرآة ، لكنها لم تتحطم... بل سال منها دم أسود غطى يده .
استرافا مد يده إلى صدره ، وغرس مخالبه فيه بلا تردد .
سحب قلبًا أسودًا ، ينبض ببطء ، وكل نبضة جعلت الأرض تهتز .
ثم رماه على الأرض أمام كاين ، وقال :
"هذا قلبك... في حياتي ."
كاين شهق .
القلب لم يكن غريبًا .
لقد رأى هذا القلب من قبل... حين رأى جثة أبيه .
"الدم الذي فيك... والدم الذي فيّ... كلاهما من نفس الجذر .
أنت قتلت أبي... وأنا ولدت من دمه .
أخبرني... من منا الابن؟ ومن القاتل؟"
كاين تراجع خطوة ، لكنه شعر أن الدم على يده بدأ يتغلغل في جلده ، كأنه يريد أن يبتلعه .
استرافا رفع سيفه المظلم ، مغطى برموز متوهجة ، وقال :
"جرب يا أخي... لنرَ أي سيف يكتب الحلقة هذه المرة ."
كاين رفع شِهاد ، والرموز على نصله اشتعلت كجمر يرفض الانطفاء .
حين التقت السيوف ، لم يكن الاصطدام صوت معدن... بل صرخة ملايين من الموتى .
ليانا صرخت من بعيد :
"كاااااين!"
لكن صدى صوتها اختفى وسط الضوضاء .
زايل حاول التدخل ، لكن الأرض انقسمت بينه وبينهما .

أورين ، نصف ميت ، فتح عينه الثالثة ، فرأى المشهد كما هو :

"ليس قتالاً... بل كتابة .

كل ضربة سيف هي سطر جديد في الحلقة ."

السيوف استمرت تتصادم .

كل ضربة مزقت قطعة من السماء .

كل خطوة حطمت مدينة وهمية في البعد الآخر .

كل حركة كانت تمحو ذكرى من ذكرياتهم .

وفي لحظة معينة ، غرس استرافا سيفه في الأرض ، فضحك :

"لا جدوى يا أخي... إن قتلتني ، ستأخذ مكاني .

وإن تركتني... سأكمل عنك ."

كاين صرخ ، دموع دم سالت من عينيه ، وضرب سيفه بكل قوته .

الاصطدام الأخير أشعل ضوءاً أحمر ابتلع الجميع .

استرافا اختفىء وسط الدخان والدم ، تاركًا جرحًا غائرًا في الأرض يشبه عينًا سوداء .

الأبطال الثلاثة ليانا ، زايل ، أورين شبه الميت يركضون نحو كاين ، الذي يقف وحده وسط الخراب ، سيفه يقطر دمًا ليس بدمه .

صوت استرافا بقي يهمس في الهواء :

"كلما حاولت قتلي... كلما صرتَ أنا أكثر ."

الفصل السادس والستون

نحن من كتب النهاية

"النهاية ليست قلمًا كتبنا به... بل جرحًا حفرناه بأيدينا ، مرة بعد مرة ."

انفتح الممر على قاعة مستحيلة ، سقفها بلا نهاية ، وأرضها كمرآة سائلة ، تعكس صوراً لا تخصهم... بل تخص موتهم .
خطا كاين أولاً ، وصوت خطواته لم يرتدِ صدًى ، بل ارتدّ كهمسات آلاف النسخ منه .
في كل انعكاس ظهر وجهه... مرة بسيف مغروس في صدره ، مرة بلا رأس ، مرة بيدين ملطختين بدماء رفاقه .
ليانا نظرت إلى الأسفل ، فرأت انعكاسها تخنق طفلة صغيرة تشبهها . ارتجفت وتراجعت ، لكن المرآة لم ترحم ، بل انشقت وأخرجت يدها الملطخة بالدم ، كأنها تُذكّرها بما لم تفعل... وما كان يمكن أن تفعل .
زايل ضرب الأرض بقبضته ، فإذا بانعكاسه يضحك بجنون ، فأسه يغرس في رؤوس لا تحصى .
قال غاضبًا :
"هذه ليست نحن!"
لكن صوتًا خرج من كل الانعكاسات معًا :
"بل هي أنتم... في الحلقات التي لم تعودوا تذكرونها ."
أورين رفع عينه الثالثة... وفجأة ، لم يرَ القاعة .
بل رأى حلقات لا تُعدّ :

آلاف ، ملايين من الدورات ، كل واحدة تنتهي بالدم ذاته .

كل مرة... كان هو ، كاين ، ليانا ، وزايل .

كل مرة... هم يختارون الطريق ذاته .

ارتجف صوته وهو يهمس :

"يا إلهي... نحن لم نُجبر على شيء... نحن اخترنا النهاية في كل مرة ."

ليانا صرخت ، محاولة الإنكار :

"لا! لا تقل هذا... نحن علقنا... نحن ضحايا هذه الحلقة ."

لكن أورين ردّ وهو ينزف من عينه الثالثة دمًا أسود :

"ضحايا؟ لا ، نحن الكُتّاب .

نحن من صغنا موتنا... ووقّعناه بدمنا ، في كل دورة ."

من أعماق المرآة خرجت أربع ظلال... كل واحد منهم يواجه نفسه .

كاين وقف أمام نسخة منه ، أشدّ سوادًا ، تحمل سيف "شِهاد"مغروسًا في قلبها .

قال الظل ببرود :

"أنا كاين الذي قتل أخته بيده... كي لا يسقط استرافا في الظلام .

أنا كاين الذي فضّل الموت على حياة ناقصة ."

زايل واجه نسخة منه بوجه ممزق ، ضاحك حتى الموت .

الظل همس له :

"أنا زايل الذي لم ينتظر... أنا الذي ذبح حتى رفاقه كي لا يكون عبثيًا ."

ليانا وجدت نفسها أمام انعكاس مبتسم ، يضع خنجرًا في رقبة كاين .

همست النسخة :

"أنا ليانا التي خانتكم... لتكسر الحلقة سريعًا ."

أما أورين ، فقد واجه عشرات النسخ منه... كل نسخة تحمل عينًا ثالثة أكبر ، تحترق حتى الانفجار .

قالت النسخ معًا :

"نحن الذين فتحنا العين كاملة... ومتنا بلا معنى ."

كاين رفع رأسه ، والدم ينزل من جبينه :

"هذا يعني... أنني لم أكن ضحية لاسترافا ، ولا أبي... بل كنت قاتل نفسي في كل دورة ."

ليانا اقتربت منه بخوف ، تمسح على يده المرتجفة :

"لا تقل هذا... لسنا نحن..."

لكن الأرض نفسها ردّت ، بصوت ثقيل كقبر يُغلق :

"أنتم كتبتم النهاية . لا مرة... بل آلاف المرات .

أنتم الكُتّاب... وأنتم الحبر... وأنتم الجرح ."

زايل جلس على ركبتيه ، لأول مرة بلا صراخ .

همس :

"إذا كنا نحن من كتبها... فما جدوى أن نقاتل بعد الآن؟"

أورين أغلق عينه الثالثة بالقوة ، محاولاً إسكات الصدى .

ليانا وضعت يدها على قلبها ، وصوتها بالكاد يُسمع :

"إذا كنا نحن الكُتّاب... فمن سيكتب لنا الخلاص؟"

كاين ظل واقفًا ، لكنه كان أشبه بظلٍ لا بإنسان .

قال بصوت هادئ كالموت :

"الخلاص لا يُكتب .

الخلاص يُذبح ."

انطفأت المرآة فجأة .

القاعة صارت فارغة ، بلا انعكاسات ، بلا وجوه .

لكن على الجدار ظهر سطر واحد مكتوب بالدم :

"كل موت كان قراركم .
وكل قرار... كان رسالة لمن لم يولد بعد ."
وقف الأربعة أمام الجدار ، صامتين ، لا يجرؤون على لمس الكلمات .
اللحظة لم تكن مجرد إدراك... بل خيانة داخلية ، انكشاف جذر الحقيقة :
أنهم ليسوا ضحايا الحلقة... بل صانعيها .
ومع هذا الإدراك ، بدأ الممر التالي بالانفتاح ، ينزف ضوءاً أسود لا يُحتمل .
"كل صفحة كُتبت بدمنا... وكل جملة ختمت موتنا ."
وقفت ليانا أمام شظايا المرآة المتكسّرة ، كل شظية تعرض حياة لم تعشها .
في واحدة... رأت نفسها أميرة ، ترتدي تاجًا من العاج ، لكن رقبتها مقطوعة بسيف كاين .
في أخرى... رأت نفسها عجوزًا وحيدة ، تنسج خيوطًا من دم أطفال ماتوا .
وفي أخرى... رأت نفسها تغرز الخنجر في صدر أورين ، بينما تبتسم ببرود .
رفعت يدها لتُبعد الصور ، لكنها وجدت يدها مغطاة بدم لا تعرف مصدره .
صرخت :
"هذا ليس أنا!"
لكن الأصوات ردّت معًا :
"هو أنتِ... في حلقة أخرى .
أنتِ التي اخترتِ... أن تكوني الخيانة حين لم ينفع الإخلاص ."
انهارت على ركبتيها ، والدموع تختلط بالدم على كفيها .
زايل ، وسط المرآة ، لم يرَ نفسه فقط... بل رأى صديقه القديم ، الأخ الذي مات دفاعًا عنه في الحرب .
كان يقف هناك ، مبتسمًا ، صدره مخترق برمح .
زايل اقترب بلهفة ، صوته يرتجف :

"أخي... هل أنت حي؟!"

لكن انعكاس الأخ رفع فأسًا ، وصاح :

"أنا لم أُخلق لأحيا... بل لأموت مكانك .

وأنت ، يا زايل... سرقت موتي ، كما سرقت حياتي ."

زايل صرخ وهو يضرب بقبضته على الأرض ، الدموع تسيل لأول مرة أمام رفاقه :

"لا... لا تقل هذا... لم أختر أن أموت مكانك! لم أختر أن أعيش!"

لكن الانعكاس ابتسم ، وتفتت إلى رماد .

لم يتبقَ سوى صدى كلماته :

"كل حياة... موتٌ مسروق ."

أورين وقف أمام باب هائل من العظم الأسود ، مكتوب عليه بلغة لا تُقرأ .

مد يده ، وعينه الثالثة أضاءت كجمر حي .

فجأة ، انفتح الباب ليكشف آلاف النسخ منه ، كل نسخة تحمل كتابًا من جلد بشري ، وكلها تقرأ في الوقت نفسه .

واحدة من النسخ رفعت رأسها وقالت :

"أورين ، كم مرة علينا أن نموت لنتأكد أن المعرفة لا تنقذ أحدًا؟"

أخرى أضافت :

"كل مرة فتحت فيها عينك... مات العالم أسرع ."

أورين صرخ :

"أنا حاولت أن أوقف الكارثة! حاولت أن أفهم!"

لكن آلاف الأصوات أجابت بصوت واحد كالصاعقة :

"لم تفهم... بل كتبت النهاية معنا ."

العين الثالثة نزفت أكثر ، حتى غطى الدم نصف وجهه .

كاين ، وحده ، رأى ما لم يرَه الآخرون .
وسط الانعكاسات ظهرت طفلة صغيرة... ذات شعر فضي طويل ، تشبهه وتشبه استرافا معًا .
كانت تنظر إليه بعينين فارغتين .
قالت بصوت هادئ كخنجر يغرس في قلبه :
"ألم تعد تذكرني؟ أنا أختك... التي قتلتها بيديك ."
كاين ارتجف ، لأول مرة يفقد توازنه .
تمتم :
"لا... لم أكن أنا... لم أكن..."
لكن الطفلة تقدمت ، جسدها نصف شفاف ، وعانقته ببرودة الموت .
قالت :
"كل دورة كنتَ تختار موتي... لتكسر الحلقة .
كل مرة كنت تذبحني... حتى لا ينهض استرافا .
ألم تمل من قتلي ، يا كاين؟"
انهار على ركبتيه ، السيف يسقط من يده ، والدم يسيل من عينيه معًا .
همس :
"يا إلهي... نحن من كتب النهاية حقًا..."
القاعة كلها انطفأت فجأة ، المرآة تحطمت كليًا ، والظلال ذابت في الأرض .
لكن جدارًا من دم ظهر أمامهم ، مكتوب عليه بيد مجهولة :
"كل قرار موت... كان توقيعكم .
أنتم من كتب النهاية... مرارًا ."
وقف الأربعة يواجهون الكلمات ، كأنها حُكم نهائي .
لا أحد استطاع أن يتكلم .

الهواء صار أثقل من الدم ، والأرض تحولت إلى صمت خانق .
الممر التالي انفتح ببطء ، كفم وحش .
داخله ضوء أسود يبتلع كل شيء ، يلمع كأنه نهاية العالم .
أورين تمتم وهو يمسح الدم من عينه الثالثة :
"لا مفر... نحن لا نسير إلى الأمام... نحن نعود إلى موتنا ."
ليانا أمسكت خنجرها بيد مرتجفة .
زايل جرّ فأسه كأنها صليب ثقيل .
كاين حمل "شِهاد" من جديد ، لكن يده ارتجفت للمرة الأولى منذ بداية رحلتهم .
ومعًا... خطوا نحو الممر ، نحو موت جديد يعرفون أنه ليس النهاية... بل الحلقة التي كتبوها بأنفسهم .
كل واحد من الأربعة واجه جذر مأساته وانكشافه الكامل ، حتى لم يعد لديهم مفر من الحقيقة :
لم يكونوا ضحايا... بل هم أنفسهم كُتّاب النهاية .

الفصل السابع والستون

رماد لا ينطفئ – حين بدأت النهاية من جديد

"حين يسقط الجسد... يبقى الرماد شاهداً على موت لا ينتهي ."

الممر ابتلع خطواتهم كأنه قبر لا نهاية له .
الهواء صار أثقل من الحديد ، والظلام أشبه بماء يغرقون فيه .
فجأة... توقف أورين .
ليانا استدارت :
"ما الأمر؟"
لكن أورين لم يجب .
كانت عينه الثالثة تشتعل لدرجة أن الدم صار ينزف منها بلا توقف ، ينحت خطوطًا على وجهه كأنها كتابة بلون أسود قانٍ .
همس :
"الطريق... لا يُفتح إلا بدم يُطفئ النار ."
زايل قبض على فأسه ، صرخ :
"ماذا تقصد؟! أي دم؟!"
أورين ابتسم لأول مرة منذ بداية رحلتهم ، ابتسامة مريرة :
"دمي ."
رأى أورين جداراً من رماد يتفتت أمامه ، ومن خلاله انعكست صور لماضيه :
أمه ، وهي تصرخ في أقبية استرافا قبل أن تتحول إلى جزء من تجاربه .
أباه ، يضحك وهو يغرس الخنجر في صدر طفل .

والطفل... كان أورين نفسه .

تمتم وهو يرفع يده إلى صدره :

"أنا لم أُخلق لأعيش .

أنا وُجدت لأُطفئ هذا اللهيب... حتى لو كان الثمن حياتي ."

كاين اقترب ، قبض على كتفه بقوة :

"لا تفعل... ليس هذا وقتك!"

أورين نظر في عينيه ، والدم يسيل على ابتسامته :

"أنتَ كاين... كتبت النهاية مرات لا تحصى .

دعني هذه المرة... أكتب سطرًا واحدًا مكتملاً ."

ثم غرس خنجره في قلبه ببطء .

لم يصرخ .

بل ابتسم... وهو يسقط على ركبتيه ، الدم ينفجر من صدره كنافورة سوداء .

حين لمس دم أورين الأرض ، اشتعلت التربة تحتهم .

لكن بدل النار... خرج رماد حيّ ، يتصاعد من الأرض ويلتف كدوامة حولهم .

ليانا شهقت :

"إنه... حيّ!"

الرماد صار يشكّل وجوهًا :

وجوه أطفال ، وجوه قتلى ، وجوه لم تولد أبدًا .

وكلها كانت تصرخ بلا صوت .

زايل صرخ وهو يحاول إبعاد الرماد بفأسه :

"توقف... توقفوا عن الالتفاف حوله!"

لكن الرماد لم يتوقف... بل انغرس في جسد أورين ، يغطيه بالكامل حتى اختفى جسده عن الأنظار .

ما بقي منه لم يكن جسداً... بل كومة رماد أسود يتوهج من الداخل .
من وسط الرماد ، خرج صوت أورين ، ضعيفًا ، لكنه مليء بصرخة آلاف الأرواح :
"لا تدعوا موتي يذهب عبثًا...
أنا لست حيًا... ولا ميتًا .
أنا... الختم المزدوج لاسترافا"
ثم صمت فجأة .
الرماد تماسك وصار دائرة متوهجة على الأرض ، تشبه عينًا عملاقة ، نصفها نار ونصفها دم .
ليانا انهارت على ركبتيها ، الدموع تسيل بلا توقف :
"أورين... لم يكن عليك..."
كاين ظل واقفًا ، بلا دمعة ولا كلمة ، لكن يده المرتجفة على سيف "شِهاد" كانت كافية لتفضحه .
زايل ضرب الفأس بالأرض ، صوت ارتجافه أقوى من أي صرخة :
"كلنا كُتِب علينا أن نموت... لكن ليس هكذا! ليس هكذا!"
الرماد ظَل يتوهج كأنه نفس أورين الأخير ، يضيء الممر المظلم بلون أسود محروق .
كاين تمتم بصوت منخفض ، كأنه يوجه كلامه للرماد لا لرفاقه :
"أورين... موتك ليس خاتمة .
سيكون بداية جرح جديد في جسد هذه الحلقة ."
ثم خطا فوق دائرة الرماد ، والممر انفتح أمامهم كفم أكبر ، مليء بصوت لا يشبه شيئًا إلا صرخة كونية بلا نهاية .
ليانا وزايل تبعاه بصمت ، والهواء حولهم يقطر دمًا لا ينطفئ .

ليانا بقيت جاثية على الرماد ، أصابعها ترتجف وهي تلامس بقايا أورين .
لكن الرماد كان ساخنًا كأنها تلمس قلبًا ما يزال يحترق .
قالت بصوت متقطع :
"لقد كنا أربعة... والآن... نحن ثلاثة فقط ."
زايل جلس بعيداً ، عيناه مشدوهتان ، كأنه لم يعد يرى شيئًا مما حوله .
همس بصوت مبحوح :
"لا أريد أن أرفع فأسًا بعد اليوم... إن كان كل ضرباتي لا تمنع موت أصدقائي ."
بينما كانا غارقَين في الصمت ، بدأ كاين يهتز .
يداه ترتجفان ، عيناه تتسعان ، وصدره يرتفع وكأن شيئًا أضخم من جسده يحاول الخروج منه .
سيفه شِهاد صار يضيء بحدة ، والرموز عليه تحولت إلى لهب أسود يلتهم الفولاذ .
ليانا انتبهت :
"كاين...؟"
لكن صوته خرج أجش ، مشروخًا :
"أورين لم يمت... وحده .
كل موت... يناديني .
كل جرح... يطالبني بالثأر .
وكل دم... صار جزءاً مني ."
ثم فجأة انفجر صراخ مدوٍّ منه ، والهواء ارتجف كأن الأرض نفسها صارت تخافه .
ظلال سوداء خرجت من جسد كاين ، ليست دخانًا ، بل كائنات متماوجة من الظلام الحي .

جلده صار وكأنه زجاج يتشقق ، والداخل منه يضيء بوهج أحمر قاتم .
زايل نهض بفزع :
"ماذا يحدث له؟!"
ليانا تراجعت ، لكنها لم تستطع أن تُبعد عينيها عنه .
شعرت أن كاين لم يعد بشريًا بالكامل ، وأن ما تراه هو نسخة منه... أعمق ، أقدم ، وأعنف .
كاين رفع رأسه ، عيناه لا تحملان أي بياض بعد الآن ، بل سواد كامل يتوسطه خط دموي أحمر .
قال بصوت مزدوج ، كأن ألف روح تتحدث معه :
"أنا لم أعد مجرد ابن... ولا مجرد توأم... ولا مجرد حامل للسيف .
أنا... ما بعد الحدود ."
سيف شِهاد تحوّل بالكامل ، النصل صار أكثر سماكة ، يقطر منه دم أسود لا يجف .
لكن الغريب أن الظلال كانت تتحرك معه ، كأنها جزء من جسده لا يمكن فصله .
ليانا بكت وهي تهمس :
"لقد استيقظ بالكامل... كاين الذي لم نعرفه يومًا ."
كاين غرس السيف في الأرض ، وانشق الرماد إلى نصفين ، ليكشف عن ممر أعنف ، ممر ينبض كقلب مفتوح .
ثم تمتم بصوت أشبه بصرير العظام :
"الحلقة... لن تكسرني بعد الآن .
أنا... من سيكسرها ."

رفع كاين سيفه إلى السماء ، وأطلق صرخة جعلت الرماد يشتعل كالنار السوداء .

ليانا وزايل سقطا أرضًا من قوة الموجة ، لكنهما شاهدا شيئًا لم ينسياه أبدًا :

كاين ، لم يعد إنسانًا فقط .

لقد صار شيئًا بين الظل والدم والنار .

زايل ، وهو يزحف على الأرض ، قال بصوت مبحوح :

"لقد... تحوّل... إلى كابوس حيّ ."

ليانا أغلقت عينيها ، والدموع تنساب على وجهها :

"أورين... موتك أيقظ وحشًا ما كان يجب أن يُستيقظ ."

الفصل الثامن والستون

الحلقات التي كُسرت . . . وعادت أقسى

"كسر الحلقة... لم يكن خلاصًا .
بل كان بداية لكسرٍ أعنف ."

الرماد ملأ السماء كأنه غبار لنجوم محترقة .
ليانا رفعت عينيها ، ورأت للمرة الأولى ضوءًا لا يشبه الظلام . للحظة قصيرة ، اعتقدت أن الحلقة انتهت فعلاً ، أن موت أورين كان الثمن الأخير ، وأن الدم الذي انسكب على الأرض ختم النهاية .
زايل جلس منهكًا ، قبضته لا تزال تمسك فأسًا لم يعد يثق فيه .
قال بصوت مبحوح :
"انتهى الأمر... صحيح؟ لا يمكن أن يتحمل العالم أكثر مما تحمّل ."
لكن كاين ظل واقفًا ، صامتًا ، سيفه شهاد يرتجف في قبضته .
النصل نفسه بدأ يقطر رمادًا أسود كأنه ينزف من الداخل .
صوت كاين خرج أخيرًا ، أجشًا ، ثقيلاً :
"لا... لم ينتهِ شيء .
ما رأيتموه مجرد قشرة .
القبر لم يُغلق بعد ."
الأرض التي ابتلعت جسد أورين لم تبقَ صامتة .
فجأة ، تصاعد وهج أحمر من مكان موته ، كدوائر تنقش نفسها على التربة .
لم يكن ضوءًا عاديًا... بل لغة ، حروف حية من الدم نفسه .

اقتربت ليانا ، قلبها يتقطع ، وقرأت ما لم يقرأه أحد من قبل :
"لن يُحبس استرافا إلا بدمي .
نصفه ينام هنا ، والنصف الآخر... سينهض مع أخي ."
شهقت ، ودموعها تساقطت بلا توقف :
"لقد خطط لموته... ليكون هو الختم .
أورين... لم يمت عبثًا ."
كاين أغلق عينيه لحظة ، لكن صوته خرج حادًا كسكين :
"مات وهو يعرف أني سأكمل... أو أني سأموت بدله .
لم يختر نفسه .
اختارني ."
زايل ضرب الأرض بقبضته ، دموعه تنزل وهو يصرخ :
"لماذا دائمًا نحن... من يختارونهم للموت؟!"
بينما كانوا غارقين في المرارة ، ارتجف الأفق .
السماء لم تعد سماء... بل تشققت كما يتشقق زجاج على وشك السقوط .
ومن داخل الشقوق ، انطلقت أصوات .
أصوات ليست بشرية ، ولا شيطانية ، بل أقدم من الاثنين معًا .
كانت كلمات مبعثرة ، لكنها مفهومة بما يكفي لتدمير القلب :
"الحلقات... لم تكسر .
الحلقات تعيد نفسها... أقسى ."
"استرافا... ليس سيد الحلقة .
إنه عبدها ."
"السجن المنسي... يتململ... يتنفس..."
كاين رفع عينيه ، ووجهه غارق في الظل والدم .

قال بصوت خافت ، لكنه اخترق أرواحهم :

"هذا ليس صدى استرافا .

إنه صوت... السجن نفسه .

السجن المنسي بدأ يتشقق ."

زايل نهض مترنحًا ، وجهه مشوه من الرعب واليأس .

صرخ وهو يلوح بفأسه في الهواء :

"لا نملك القوة لهذا! فقدنا أورين ، فقدنا كل شيء ، والعالم ينكسر من حولنا!

وحتى أنت يا كاين... لم تعد أنت!"

كاين التفت إليه ، عيناه محاطتان بالسواد ، والحمرة تتوهج في الداخل كجمر حيّ .

قال ببرود قاتل :

"أنا لست هنا لأكون نفسي... بل لأُنهي نفسي .

هذا كان مصيري منذ البداية ."

ليانا وضعت يدها على صدرها ، تشعر بأن الهواء يضيق أكثر فأكثر .

همست :

"نحن لسنا أحرارًا... كل خطوة كُتبت سلفًا .

حتى موت أورين لم يكن اختياره بالكامل... بل جزء من نصٍّ لم نكتبه نحن ."

زايل نظر إليها كمن يرى كابوسًا لم يرد تصديقه .

الأرض بدأت تهتز كقبر يرفض البقاء مغلقًا .

ومن بين الشقوق ، خرجت جثث .

لم تكن مجهولة .

بل كانت وجوهًا مألوفة... نسخًا من أنفسهم .

ليانا رأت نسخة منها مذبوحة من الحلقات الماضية ، تهمس :

"أنا التي فشلت... وأنتِ التي سُمح لها أن تكمل ."

زايل واجه صورة منه ، صدره مخترق ، يتكلم وهو يتقيأ دمًا :

"كل مرة متّ... كان يجب أن تُقتل أنت ."

لكن كاين هو من تلقى أفظع الصور :

عشرات النسخ منه ، كل واحدة ممزقة بطريقة مختلفة .

واحدة بلا رأس .

أخرى مقطوعة نصفين .

ثالثة محروقة بالكامل .

كلها صاحت في وقت واحد :

"أنتَ القاتل... وأنتَ القتيل .

كل موت في الحلقة... يعود إليك ."

ليانا انهارت أرضًا ، يديها تغطي أذنيها ، والدموع تتفجر من عينيها .

زايل بدأ يترنح كأنه مخمور بالجنون .

أما كاين... فابتسم ابتسامة متكسرة ، وصوت الظل داخله أجاب الجثث :

"إذن... سأموت ألف مرة أخرى .

حتى يُمحى اسمي من كل حلقة ."

وسط الخراب ، ظهر جدار أسود ناعم ، كأنه مرآة وُلدت من دم أورين .

اقترب كاين ، ورأى نفسه فيها... لكن ليس كما هو الآن .

رأى طفلاً صغيرًا يحمل سيفًا أكبر من جسده ، وعينين لا تعرفان شيئًا عن القدر .

الصورة تكلمت ، بصوت بريء :

"كنت أريد أن أعيش... لا أن أُختار ."

كاين رفع يده ليلمس الزجاج ،لكن صورته الطفولية احترقت فجأة ، لتتحول إلى ظل استرافا ، يضحك ضحكة مجنونة :

"لكن لا أحد يختار! حتى أنا... مجرد انعكاس منكَ!"

كاين ضغط قبضته على السيف حتى سال الدم من أصابعه ، والمرآة تشققت مئات الشقوق ، كل شق يردد صوته :

"أنت وأنا... لا نهاية لنا إلا معًا ."

زايل بدأ يصرخ ، يمسك رأسه بيديه .

قال بصوت متقطع :

"إنها ليست جثثًا فقط... إنها ذكريات! أسمعهم كلهم... كل من لم يولد ، كل من مات بدلاً عني! أصواتهم تجرّني!"

ليانا هرعت إليه ، أمسكت وجهه :

"زايل! قاوم! أنت لست وحدك!"

لكنه دفعها بعيداً وهو يضحك ضحكة غريبة ، كأنه انكسر نهائيًا :

"من قال إني أريد المقاومة؟! أخيراً أفهم... نحن لسنا أبطالاً... نحن لصوص الدماء!"

ليانا جمدت مكانها ، دموعها تهتز في عينيها ، وهي ترى صديقها ينهار أمامها .

الأرض التي سال عليها دم أورين لم تهدأ .

بل انفجرت دائرة حمراء أكبر ، وارتفعت أعمدة من النار السوداء ، كأن دمه يُعاد استخدامه كوقود .

أورين ، أو بالأحرى طيفه ، ظهر للحظة قصيرة ، وجهه ساكن ، عيناه مغلقتان ، وصوته يخرج كترنيمة :

"لقد ختمت نصف استرافا... لكن النصف الآخر... يسكن أخاه ."

ليانا شهقت ، وزايل صرخ ، لكن كاين فقط أغلق عينيه وابتسم ابتسامة باردة :

"كنت أعرف... دائمًا كنت أعرف ."

النصل شِهاد بدأ يتوهج أكثر فأكثر ، الرموز المنقوشة عليه انفتحت كجروح جديدة ، منها انبثق ضوء أسود يلتف حول جسد كاين .

ليانا صرخت :

"كاين! توقف! هذا ليس أنت!"

لكن صوته كان مزيجًا بينه وبين استرافا :

"أنا... أنا الاثنان .

إن لم أتحول... لن أستطيع مواجهته .

وإن تحولت... لن أعود أنا ."

زايل نظر إليه بخوف لم يعرفه من قبل :

"أنت... تبدو كظل حيّ .

ماذا صرت؟!"

كاين رفع عينيه ، والظلام يتدفق منهما :

"صرت... ما يجب أن أكون ."

الأرض تحتهم لم تعد تتحمل .

انقسمت فجأة ، وانفتحت هاوية هائلة ، فيها بحر من العظام والدماء المغلية .

من الداخل خرجت أيادٍ عملاقة ، ليست بشرية ولا شيطانية ، بل مزيج من الاثنين .

كل يد أمسكت بجثة من الجثث السابقة وسحبتها إلى الأسفل ، كأنها تعيد تدوير موتهم مرة أخرى .

لكن واحدة من الأيادي حاولت سحب ليانا ، وصرخت وهي تتشبث بالهواء .

كاين قفز ، أمسك بها بيد واحدة ، وقطع اليد السوداء بضربة من شِهاد .
لكن السيف لم يقطعها... بل امتصها بالكامل .
ليانا شهقت ، وصرخت :
"سيفك... صار يبتلع الموت نفسه!"
وسط الفوضى ، صرخ كاين أخيراً ، صوته كان كالرعد :
"استرافا! لا مزيد من الهروب! سأقاتلك الآن... وأقتل نفسي معك إن لزم الأمر!"
السماء ارتجت كأنها استجابت ، وشق هائل فتح في الأفق ، ومن داخله خرج ظل استرافا ، ضخماً كالجبل ، مغطى بالفوضى والدم .
ضحكته دوت كزلازل لا تنتهي :
"أخيراً... أخي العزيز... قررتَ أن تكون أنت وأنا واحداً!"
زايل تمسك بفأسه وهو يصرخ :
"اللعنة عليكم أنتما الاثنان!"
لكن كاين لم ينظر لأحد منهم .
كل كيانه كان منصباً على الظل الذي خرج من السماء .
الأرض كلها انقسمت ، السماء تحولت إلى عاصفة من الدم ، والهواء صار ثقيلاً حتى أن التنفس كان أشبه بالاختناق .
كاين خطى للأمام ، جسده يشتعل بالظلام ، السيف في يده صار كأنه قطعة من الليل نفسه .
ليانا مدت يدها نحوه ، صرخت :
"كاين... لا تفعل!"
لكنه لم يلتفت .
صوته كان بارداً ، حاسماً :

"هذه ليست نهايتكم... لكنها نهايتي ."

ثم مشى بخطوات ثابتة نحو استرافا ، والعالم كله اهتز مع كل خطوة ، كأن الأرض تعرف أن ما سيحدث لن يُمحى من الوجود أبداً .

الفصل التاسع والستون

الأحياء بلا زمن – من لا يمكن قتلهم بعد الآن

حين انطفأ جسد أورين في طوفان الدم ، انشقّت الأرض كأنها جرح لم يلتئم منذ بداية الخليقة .

صرخت ليانا لكن صرختها ضاعت وسط وهج أسود وأحمر صعد من التربة ، وكأن الموت نفسه يُنفى .

زايل رفع يده ليمنع الضوء عن عينيه ، لكنه رأى آخر ما لم يتمنّ أن يراه :

كاين واسترافا يُسحبان من بينهما ، ليس نحو السماء ولا إلى الأرض... بل إلى فراغ لم يعرفه أحد .

لم يكن سقوطًا ، بل اقتلاعًا من الزمن نفسه .

وفي اللحظة التي اختفوا فيها ، رُسمت رموز دموية حول جسد أورين ، كأن دمه صار لغة غير قابلة للمحو .

ليانا همست ، وهي على ركبتيها :

"لقد... اختُطفوا منّا ."

لكن صوتها لم يرد عليه أحد ، لأن المكان لم يعد يعرف معنى الصدى .

كاين فتح عينيه .

لم يكن هناك أرض تحته ، ومع ذلك شعر بوزن خطواته .

استرافا كان واقفًا أمامه ، يحدّق به بعينين كأنهما حُفرتا من زجاج مكسور .

لا سماء ، لا أرض ، لا اتجاه .

الفضاء كله كان رماداً أبيض باهت ، يخترقه شريط أسود يلتفّ كأفعى حولهما .

كاين تمتم بصوت مبحوح :

"أين... نحن؟"

استرافا أجاب وهو يبتسم ابتسامة فارغة :

"لسنا في مكان... ولسنا في زمن .

نحن في ما تبقى بين الاثنين ."

ثم أضاف وهو يمد يده كأنه يلمس الهواء :

"هذه هي المقصلة التي لم يُبنَ لها خشب ولا حبل .

هنا... يُقتل المرء ببطء ، لأنه لا يملك موتًا ."

كاين نظر إلى شِهاد ، النصل الذي لم يهدأ منذ الفصل الماضي ، ووجده ساكنًا تمامًا ، كأنه صار جمادًا بلا حياة .

فجأة ، صوته الداخلي اخترق الصمت :

"لن ينفعك الموت هنا .

كل موت... لا يساوي شيئًا في هذا الفراغ ."

كاين رفع رأسه نحو استرافا :

"كل ما فعلناه... كل ما سال من دم... كان ليجرّنا إلى هنا ، أليس كذلك؟"

استرافا أومأ :

"نعم .

نحن لم نكن خصمين فقط... بل مفاتيح .

وها نحن نُغلق القفل الأخير بأجسادنا ."

كاين صمت لحظة ، ثم قال بصوت يشبه الاعتراف :

"أنا قتلتك آلاف المرات في داخلي... لكني لم أقتلك أبدًا في الحقيقة ."

استرافا ابتسم ، عيناه تضيقان :

"وأنا تركتك حيًا... كي تعيش كل مرة وتعود إليّ .

نحن مرض بعضنا... ولسنا نجاتنا ."

الأرض تحت أقدامهما بدأت تتموّج كأنها ماء أسود .

لكنها لم تغرقهما... بل رفعت جسديهما معًا في هواء بلا ريح .

استرافا مدّ يده إلى صدره ، ثم أخرج منها شرارة حمراء ، وقال :

"هل ترى؟ جسدي لم يعد جسدي .

أنا لا أُقتل... ولا أعيش .

أنا حيّ بلا زمن ."

كاين أغلق عينيه للحظة ، ثم فتحهما ببطء ، والدم ينزف من حدقته :

"وأنا كذلك... لا موت لي ولا حياة .

كلانا... بقايا جريمة قديمة لم تُغفر ."

لحظة صمت ثقيل .

ثم قال استرافا :

"إذن... لا مفر .

إمّا أن نكسر هذه الحلقة بسيوفنا... أو نظل هنا أحياء إلى أبد بلا زمن ."

كاين صرخ فجأة ، وصدى صرخته جعل الفراغ كله يتشقق كزجاجٍ .

من شقوق الهواء سال دم أسود كثيف ، كأنه ذاكرة جماعية لكل موت مرّ عليهم .

الدم لم يسقط ، بل طفا حولهما ، يدور كحلقة جديدة تُرسم في الفراغ .

استرافا ضحك ضحكة مجنونة :

"حتى صرختك تصنع حلقة أخرى... أنت تدرك ذلك ، أليس كذلك؟"

كاين رفع شِهاد ، والرموز على نصله عادت تشتعل من جديد ، لكنه قال بصوت منخفض :

"لهذا السبب... يجب أن نُنهي الأمر الآن ."

وقف الاثنان مقابل بعضهما ، المسافة بينهما لم تتعدَّ بضع خطوات .
لكن كل خطوة نحو الآخر كانت أثقل من كل الحروب السابقة .
استرافا رفع سيفه المظلم ، كأنه قطعة من قلبه الممزق .
كاين رفع شِهاد ، والهواء حوله صار كالحديد المشتعل .
وفي تلك اللَحظة ، لم يعد الفراغ ساكنًا :
بدأت وجوه بلا ملامح تظهر في الجدران الرمادية ، همسات بلا صوت ، نظرات لم تولد بعد .
كان واضحًا أن القتال القادم... لن يكون مجرد صراع أخوين .
بل مقصلة لذاتهما ، ونهاية لحياة لا تنتهي .
لم يتحرّك الهواء ، ولم يهتز الفراغ .
ومع ذلك ، في اللحظة التي تحرك فيها استرافا ، بدا كأن الأرض كلها انكسرت .
هاوية ، سيفه الغارق في ظلال لا تعرف قاعًا ، اندفع بصرخة لم يطلقها فم ، بل أطلقها الزمن نفسه .
كاين صد الضربة بشِهاد .
لم يكن مجرد تصادمَ فولاذ... بل انفجار أرواح متناقضة .
الفراغ اهتز ، وتشقق الجدار الرمادي خلفهما ، وكشفت الشقوق عن مشاهد متكسرة :
لقطات من طفولتهما ، صرخات أختهم ، وجه الأب وهو يضحك وسط الدماء .
كاين بصوت متصدع :
"كل شيء يعيدنا إلى البداية ."
استرافا ردّ وهو يضغط سيفه أقوى :

"البداية... هي النهاية التي رفضت أن تموت ."

كل ضربة بينهما لم تصب جسداً ، بل أصابت الزمن المحيط .

في كل مرة يتلاقى فيها شِهاد وهاوية ، تتفتت لحظة كاملة من الماضي .

اختفت قرية ، تبخر نهر ، احترق جدار كان في مدينة منسية .

وكأن قتالهم يمحو من العالم أجزاء لم يعد له الحق أن يحتفظ بها .

كاين أحس بجسده ينهار ، لكنه لم يسقط .

استرافا شعر بروحه تنقسم ، لكنه لم يتوقف .

كلما انكسرت لحظة ، زاد عطش السيوف لدم جديد .

الفراغ تشقق أكثر ، وخرجت منه انعكاسات مشوهة .

كاين واجه نفسه في صور لا يريد رؤيتها :

طفلٌ يبكي ، شاب يهرب من قدره ، قاتل يضحك وسط جثث .

كل نسخة منه هاجمته بسيف مصنوع من خطاياه .

أما استرافا ، فقد واجه نفسه كوحش مقيد بالسلاسل ، كملك فاسد يضحك فوق الخراب ، كجثة لم يُدفن لها قبر .

انعكاساته كانت تلعنه... لكنها تقاتل من أجله .

وسط هذا الجنون ، أدرك كلاهما الحقيقة :

القتال ليس فقط ضد بعضهما... بل ضد كل ما خلفته الحلقات في داخلهما .

كاين صرخ ، لكن صرخته لم تكن بشرية .

كانت تشبه عاصفة من الظلام المشتعل .

عيناه اشتعلتا بلون فضي غامق ، وشَعره الطويل تناثر في الهواء كأنه خيوط نار باردة .

جسده غطته شقوق داكنة يخرج منها ضوء أسود ، يشبه تماماً ظل الوحش الذي حاول أن يبتلعه منذ زمن .

ليست قوة جديدة... بل كسرٌ كامل لحدوده .
كاين لم يعد بشريًا .
لم يعد فارسًا .
صار كيانًا يتحرك بين الإنسان والعدم .
استرافا ابتسم ابتسامة مليئة بالهوس :
"هكذا أريدك... كاملاً .
لا ناقصًا ."
استرافا اخترق ذراع كاين بقطع جانبي .
الجرح انفتح ، لكن الدم لم يسقط على الأرض .
بل تجمّع في الهواء ، يرسم رموزًا متوهجة .
كانت نفس الرموز التي رأوها على جسد أورين حين مات .
كاين حدّق في الدم الطافي ، ثم في استرافا ، وقال :
"كل دم سال منا... كان حبرًا للشيطان المنسي .
نحن لسنا سوى أقلامه ."
استرافا أجابه :
"إذن... لنكتب السطر الأخير بأيدينا ."
اندفع الاثنان مرة أخرى ، لكن هذه المرة لم تكن الضربة كسابقاتها .
حين التقت السيوف ، لم يتشقق الفراغ فقط... بل انقسم إلى نصفين .
في النصف الأول ، ظهرت الأرض الأولى التي وُلدت منها البشرية ، محروقة وسوداء .
في النصف الآخر ، ظهر سجن ضخم ، جدرانه ليست من حجر بل من صرخات أرواح لا تُحصى .
ومن عمق السجن... بدأ يظهر ظل هائل ، أعمق من كل ظلام رآه أحد .

ظلٌ لم يكن استرافا... ولم يكن كاين .

كان ما ينتظر أن يُحرَّر بدمهما .

كاين تمتم ، صوته يرتجف لأول مرة :

"... السجن المنسي ."

الأرض لم تعد موجودة تحت أقدامهم .

لم يكن سوى فراغ أسود ، يطفو فوقه دم يتكلم .

كل قطرة من دمائهم التي سالت تحولت إلى حرف ، وكل حرف كان كلمة ، وكل كلمة كانت جملة مكتوبة على الهواء .

كاين قرأ ما لم يرد قراءته :

"وُلدت لتكون قاتلاً لأخيك ."

استرافا قرأ جملة أخرى :

"وُلدت لتُذبح على يد من يشبهك ."

كلاهما صرخ بصوت واحد ، صرخة لم تكن غضبًا فقط... بل رفضًا لقدَر لم يختاراه .

شهاد وهاوية لم يعودا مجرد سيوف .

كَلاهما تمدّد في الهواء ، وتحولا إلى مخلوقين من الفولاذ الحي .

شهاد خرج منه ألف يد ، كل يد تمسك سيفًا صغيراً ، وتهاجم استرافا من كل اتجاه .

أما هاوية ، فصار أفعى هائلة من الظلام ، تلتف حول كاين ، تحاول ابتلاعه من الداخل .

القتال أصبح بين إرادتين ، لا بين جسدين .

كاين لم يعد يضرب بالسيف فقط ، بل بروحه كلها .

واسترافا ، كل جرح يصيبه يعيد فتح جروح الماضي... ويقاتل بذكرياته .

وسط المعركة ، ظهر شبح أورين .
لم يكن واقعيًا ، بل كان صدى الدم الذي تركه خلفه .
رفع يده التي لم تعد يداً ، بل صارت ختمًا من الرموز ، وقال :
"توقفوا... أو أنتم تُحررون ما لا يمكن السيطرة عليه ."
لكن لا كاين ولا استرافا توقفا .
كلما صرخ أورين ، زاد اندفاعهما ، كأن صوته لم يكن تحذيراً... بل وقوداً يغذي كراهيتهما .
الفراغ اهتز ، والدماء بدأت تصعد إلى الأعلى مثل أمطار عكسية .
ليانا وزايل ، من بعيد ، شاهدا كل شيء .
لم يستطيعا التدخل ، كأن قوة غير مرئية حبستهما خارج الدائرة .
ليانا تضرب بيديها على الحاجز ، تصرخ :
"كاين!! استرافا!! هذا ليس أنتما!"
زايل قبض على فأسه (الذي صار أشبه بسيف دموي بعد تطوره الأخير) ، لكن لم يستطع اختراق الحاجز .
قال بصوت منخفض ، لكنه مسموع كأنه اعتراف :
"هذا قتال... لا يسمح لنا بالمشاركة فيه .
هذا قتال يجب أن ينتهي بينهما فقط ."
دموع ليانا سقطت ، لكنها لم تصل للأرض... بل تجمدت في الهواء وصارت قطع زجاجية شفافة .
كاين انهار على ركبتيه ، لكن ليس استسلامًا .
جسده بدأ يتحطم من الداخل .
عروقه صارت أنابيب من الضوء الأسود ، وصدره انفتح وكأن قلبه يريد أن يخرج .

من داخله ، خرج ظل شبيه تماماً بكاين... لكنه أكثر وحشية ، أكثر ظلامًا ، بلا ملامح بشرية .

استرافا لم يتراجع ، بل ابتسم وهو يرى ذلك ، وقال :

"أخيراً... صرت ما كنتُ أراه فيك منذ البداية ."

ثم ، ومن جسده هو الآخر ، خرج ظل آخر .

نسخة أعمق من استرافا ، عيونه ليست بيضاء ولا سوداء... بل فراغ مطلق .

الآن ، لم يعد القتال بين كاين واسترافا فقط... بل بين ظليهما أيضًا .

حين التقت الظلال ، لم ينفجر المكان... بل انشطر .

جزء من الفراغ صار نهارًا أبديًا ، وُلدت فيه آلاف الشموس التي احترقت في ثانية .

الجزء الآخر صار ليلاً لا نهاية له ، مغطى بأرواح معلقة تصرخ بلا صوت .

كاين صرخ وهو يغرس شِهاد في صدر الظل الذي خرج منه ، كأنه يحاول قتل نفسه .

واسترافا فعل الشيء نفسه مع ظله .

لكن بدلاً من الموت... صارت الظلال جزءاً منهما .

وصار كل واحد منهما نصف إنسان ، نصف وحش ، نصف ذكرى ، نصف ليل .

الانشطار الذي ولّد نهارًا أبديًا وليلاً مطلقًا بدأ ينهار على نفسه .

النهار سقط داخل الليل ، والليل ابتلع النهار... ثم وُلد عالم ثالث :

عالم بلا زمن .

كل ثانية فيه كانت تموت قبل أن تولد .

كل نفس يخرج من صدر كاين أو استرافا يتحول إلى رماد قبل أن يكتمل .

كاين شهق ، وهو يشعر أن سيفه لم يعد سلاحًا... بل شاهداً على موت اللحظة .
استرافا رفع عينيه ، وفي ابتسامته المرّة قال :
"ها قد عدنا... إلى المكان الذي لم يبدأ قط ."
كاين رفع شِهاد ، والرموز عليه صارت تحترق .
لم تعد خطوَطًا دمويّة فقط ، بل ألسنة لهب سوداء تقطر من النصل .
أرواح من الماضي ، من كل الحلقات ، خرجت تصرخ في وجهه .
من بينهم ، ظهر شبح والده ، ينظر إليه بلا رحمة .
كاين صرخ :
"لقد قتلتني ألف مرة... لكني سأقتلك أنا هذه المرة!"
وبقوة واحدة ، كسر حدود جسده .
لم يعد رجلاً من لحم ، بل كتلة من العروق المشتعلة ، كائن نصفه حديد ونصفه دم .
واسترافا لم يتأخر ؛ جسده تمزق بدوره ، وكل جرح فتح فمًا آخر يبتسم .
قال بصوت ملطخ بالدم :
"لن ينجو أحد منا من هذه الليلة ."
خارج الدائرة ، ليانا لم تعد قادرة على الاحتمال .
صرخت ، وصرختها كسرت زجاج الحاجز للحظة واحدة .
اندفعت للداخل ، لكنها رُميت للخلف فوراً .
قبل أن تطرد ، لمحت في عيني كاين دمعة وحيدة .
دمعة لم تسقط... بل احترقت وهي عالقة في جفنه .
ليانا همست وهي ترتجف :
"أرجوك... لا تقتل نفسك بيده ، ولا تقتله بيدك..."

لكن صوتها تلاشى مع الحاجز الذي عاد أقوى .
شهاد وهاوية ، السيفان ، بدأا يتكلمان بصوت واحد .
لَم تكن لغة بشرية ، بل طنيناً يشق الروح .
لكن كاين واسترافا فهموه :
"أنتما لم تُخلقا لتعيشا .
أنتم خُلقتم لتُنهيا بعضكما ."
كاين قبض على نصله أكثر ، واسترافا ابتسم ابتسامة حزينة .
كل واحد أدرك أن السيوف تعرف عنهما أكثر مما يعرفان عن نفسيهما .
فجأة ، انفتح الفراغ ، وكشف عن مشهد لم يكن يوماً في الواقع .
كاين واسترافا ، طفلان صغيران ، يركضان معًا في حقل ، بلا دم ، بلا وسوم .
كلاهما يضحك ، بلا كراهية .
كاين جمد مكانه ، واسترافا كذلك .
كلاهما رفع يده ، كأن يريد لمس الصورة .
لكن حين اقتربا ، احترقت الذكرى واختفت ، كأنها كانت كذبة لم يُسمح لها أن توجد .
استرافا تمتم بصوت متحشرج :
"ربما... كان يمكننا أن نكون شيئًا آخر ."
كاين أغلق عينيه ، ثم فتحهما بدموع من دم :
"لكننا لسنا ."
القتال توقف لحظة ، فقط لحظة .
كلاهما واجه الآخر ، ووجهاهما مغطى بالدماء ، أجسادهما محطمة ، لكن أعينهما ثابتة .
كاين رفع سيفه ببطء .

استرافا رفع سيفه أيضًا .
لا كلمة ، لا شرح .
فقط فهم مشترك :
النهاية يجب أن تكون طعنة متبادلة .
الهواء نفسه صار يختنق ، كأنه يعرف أن اللحظة المقبلة ستمحو كل شيء .
العالم بلا زمن توقف كليًا .
لم يعد هناك أصوات ، لا تنفس ، لا خفق قلب .
ليانا وزايل ، خلف الحاجز ، شعرا أن كل ما حولهما اختفى :
كأنهما أصبحا يشاهدان صورة جامدة ، معلّقة بين لحظة وأخرى .
في ذلك السكون ، التفت كاين إلى استرافا .
وقال ببطء ، كل كلمة كأنها تنحت في العظم :
"ربما... لم أكن عدوك .
ربما كنت أنت نصفي الذي لم أعرفه ."
استرافا ابتسم ابتسامة ميتة :
"وأنا... كنت نصفك الذي لا تريد أن تراه ."
شِهاد رفع نفسه وحده .
هاَوية ارتجف كأنه يضحك .
وفي لحظة لم يقدر الزمن على تسجيلها ، اخترق كل نصل صدر صاحبه .
كاين غرز سيفه في قلب استرافا .
واسترافا غرز سيفه في قلب كاين .
لم تكن طعنات عدوّ... بل طعنات اعتراف .
دمهما امتزج فوراً ، وتحول إلى شعلة سوداء .
ليانا صرخت وهي تطرق على الحاجز :

"توقفوا! توقفوا!!"

لكن لا أحد توقف .

الدم المسكوب لم يسقط على الأرض فقط... بل ابتلع الأرض .

الأرض انشقت ، وكأنها عطشى منذ ملايين السنين .

الدم انحدر إلى الأعماق ، وبدأت رموز قديمة تتوهج على جدران الواقع .

زايل شهق :

"هذا ليس موتًا... هذا فتح!"

أورين ، الذي لم يبقَ منه سوى صدى صوته في الأثير ، همس :

"ها هي التعويذة... اكتملت الآن بدمهم مع دمي ."

الهواء ارتجف .

شيء في أعماق السجن المنسي استيقظ .

كاين واسترافا ما زالا متعانقين بالسيوف .

عيناهما تلاقتا .

وفجأة ، انهالت الذكريات الحقيقية والمزيفة معًا :

ضحكات الطفولة ، صرخات القتال ، موت الأب ، دم الأم ، كل شيء .

كاين تمتم :

"يا ليتني... كنت أخوك فقط ."

استرافا أجاب بابتسامة دامية :

"وها قد أصبحت... أخي ، في الموت ."

أجسادهما لم تعد تتحمل .

بدأا يذوبان ، كأن الدم يذيب اللحم والعظم .

لكن السيوف بقيا ، مغروسين ، متوهجين بدم مشترك لم يعرف العالم مثله .

السماء انكسرت .

الأرض انكسرت .

الحلقة كلها انكسرت .

لكن الانكسار لم يكن حرية... كان بوابة .

من أعماق الانشطار ، خرج صوت لم يُسمع من قبل .

صوت لم يكن صرخة... بل كان كل الصرخات معًا .

الشيطان المنسي فتح عينه الأولى .

ليانا وزايل شعرا أن جلديهما يتمزق من مجرد النظر .

الحاجز انهار .

الجسدين (كاين واسترافا) اختفيا بالكامل ،لكن دمهم بقي يشتعل على الأرض كختم حيّ .

وفي آخر لحظة ، ارتجف العالم كله ، وسمع الجميع جملة واحدة :

"من دمكم... خرجت نهايتي ."

الفصل السبعون

من كان يحرك الحلقة ؟

انشقَّ العالم لحظة سقوط سيفي كاين واسترافا في صدريهما .
الأرض لم تعد أرضًا ، بل غشيتهم طبقات من الزجاج المتشقق ، كل كسر يفتح عينًا جديدة تحدّق فيهم .
ليانا ركضت نحو الفراغ وهي تصرخ :
"كـــــااين!"
لكن صوتها لم يرتدّ من جدار ، بل من ملايين الصدى ، كل صدى يعود بلغة مختلفة ، كأن كل موت صنع لغة جديدة لمخلوقات لم تولد .
زايل غرس سيفه العملاّق في الأرض ، لكن الأرض ابتلعت النصل كأنه بلا معنى .
السماء لم تعد سماءً ، بل صارت فمًا أسود مفتوحًا على صرخة واحدة :
"لم ينتهِ شيء بعد ."
من موضع سقوط كاين واسترافا ، بقي الدم يسيل... لكنه لم يتسرب للأرض .
الدم ارتفع في الهواء كخيوط حمراء ، يلتف بعضها على بعض ، كأنها تحاول كتابة كلمة لا يجرؤ أحد على قراءتها .
أورين لم يعد بينهم ، لكن دمه الذي سال سابقًا صار يتوهج داخل الخيوط ، يلتصق بدم التوأمين .
زايل همس وهو يحدق :
"دمهم... يتكلم ."

ليانا وضعت يدها على صدرها ، أحست أن قلبها لم يعد يدق بإيقاعها ، بل بإيقاع آخر... إيقاع خارج الزمن .
من الدم ارتفع صوت ، لا يشبه صوت البشر ، ولا حتى صدى الأموات .
صوتٌ كأن الأرض كلها تعترف :
"استرافا لم يكن من يحرك الحلقة...
لم يكن إلا مِسْمَارًا داخل عجلة أكبر...
أنتم قتلتم المرَآة ، لكن اليد ما زالت تمسك ."
ليانا شهقت :
"يد؟! أي يد تتحدث؟"
الصوت ارتجف ، وتحول إلى صرخات ، كأن كل كلمة هي جرح يُفتح :
"اليد التي نُسيت... اليد التي وُئدت قبل أن تُسمّى... اليد التي نسميها : المنسي ."
ليانا سقطت على ركبتيها .
تذكرت كل لحظة قاتلت فيها بجانب كاين ، كل جرح رأت فيه صلابته ، كل صرخة سمعته يكتمها .
لكن الآن ، الحقيقة تضربها كالمطرقة :
كاين لم يكن إلا أداة في يد شيء أكبر .
صرخت وهي تضرب الأرض بيديها حتى سال الدم من كفيها :
"لاا! لا تقل إنه لم يكن سوى... قطعة!"
زايل حاول أن يرفعها ، لكن وجهه كان شاحبًا ، وكلماته متكسرة :
"إن كان هذا صحيحًا... فمن نحن إذن؟"
من السماء السوداء بدأ ضوء يتشقق .
لم يكن ضوءًا يبدد الظلام ، بل ضوءًا يفتح فراغًا أعمق .

كأن السماء انقسمت إلى جدارين ، ومن بينهما يدٌ هائلة خرجت ، يد مغطاة بندوب أقدم من الزمن نفسه .

ليانا شهقت :

"هل هذا... هو؟"

الصوت أجاب ، وهو يملأ كل اتجاه ، يخترق كل عظم :

"أنا الذي كتب أول بداية... وأنا الذي كسر آخر نهاية .

أنتم لم تكسروا الحلقة... أنتم فقط حررتموها مني ."

زايل ، رغم ارتجافه ، رفع سيفه نحو اليد وقال :

"إن كنت أنت... قل اسمك!"

اليد توقفت ، ثم انخفضت ببطء ، وملامحها غُشيت بظلال لا تُحصى .

ثم خرجت كلمة واحدة ، كأنها نُطقت من فم الكون نفسه :

"الشيطان المنسي ."

معها ، انفجر الدم في السماء ، وتحول كل فراغ إلى مرآة تُظهر وجوه كاين واسترافا وأورين... لا كأحياء ، ولا كأموات... بل كأنهم يُمحون من داخل الذاكرة .

بعد اختفاء وجوه كاين واسترافا وأورين من المرايا ، التفتت ليانا إلى زايل .

قالت بصوت مبحوح :

"لماذا نحن؟ لماذا لم يُمحونا معهم؟"

زايل نظر إلى يديه ، شعر أن عروقه تحترق ، لكن جسده لم ينكسر :

"ربما... لأننا لم نكن الدم .

نحن الشاهدان فقط..."

توقف لحظة ، ثم أضاف :

"الشاهد لا يُقتل .

الشاهد يُترك ليحمل الجرح ."
ليانا نظرت حولها ، أدركت أن وجودها صار ثِقلاً لا معنى له ، كأنها سجينة في حياة لم تطلبها .
اليد العملاقة خرجت أكثر من السماء ، مغطاة بعيون لا تُحصى ، كل عين تحدق في ليانا وزايل .
الصوت دوى :
"أنتم لستم أبطالاً... ولا ضحايا... أنتم أقلامي .
كتبت بكم القصة... والآن أكتب بكم النهاية ."
زايل رفع سيفه رغم ثقل الخوف ، وصاح متحديًا :
"اكتب ما شئت... لكن دمنا لن تناله!"
اليد تحركت ، لكنها لم تُهاجم ، بل تراجعت ، كأنها تضحك :
"لستم الدم... لستم سوى شهود... الشهود لا يُؤكلون ، بل يُتركون ليحملوا خبر الجريمة ."
كل ثانية صارت تتكسر كقطع زجاج .
الأشجار ماتت ثم عادت لتنبت ثم ماتت من جديد ، في لحظة واحدة .
الأنهار جفّت ثم غمرت الأرض ثم جفّت ثانية .
الزمن لم يعد يتدفق... بل انهار كجدار رملي .
ليانا أمسكت رأسها :
"كل شيء يتفتت... لا ماضٍ ولا مستقبل!"
زايل غرز سيفه في الأرض ، وقال بعينين متوهجتين :
"إذن لم يبقَ لنا سوى الحاضر... الحاضر الذي سنقاتل فيه حتى النهاية ."
بدأت وجوه كاين واسترافا وأورين تُمحى من ذاكرة ليانا نفسها .
حاولت أن تتذكر ضحكة كاين ، لكنها سمعت فراغًا .

حاولت أن ترى وجه أورين ، فلم تجد إلا ظلاً مشوّهًا .

صرخت :

"لا! لا تمحوني منه! لا تنزعوه من قلبي!"

لكن الصوت أجابها ببرود :

"الذكرى ليست ملكك... الذكرى لي .

وأنا أمحو ما أشاء ."

زايل قبض على يدها ، وقال بصلابة لم تعرفها فيه :

"إن لم يبقَ لنا سوى الكلمة... فلنكتبها نحن ، لا هو ."

الأرض كلها ارتجت .

من باطنها خرجت صرخة ، ليست صرخة مخلوق ، بل صرخة كيان عاشر المجرات وهي تموت .

الجدران بين العوالم بدأت تنهار .

أول صدع ظهر في الأفق ، يبتلع كل شيء كفمٍ جائع .

زايل تراجع خطوة ، لكنه لم يسقط .

قال لنفسه :

"هذا ليس نهاية عالم... بل بداية سجنه ."

بينما تشقق الكون ، وجد زايل وليانا نفسيهما يقفان وسط العدم ، لا حماية ، لا سلاح سوى إصرارهما على الوجود .

ليانا بصوت خافت :

"إذن نحن... البقية ."

زايل رد ، عينيه مشتعلة :

"نعم... نحن البقية .

وسنحمل هذه النهاية على أكتافنا ، حتى لو لم يبقَ أحد ليصدقها ."

ثم نظر إلى السماء التي ما عادت سماء ، وقال متحديًا :
"إن أردت محونا... ستحتاج أكثر من دم إخواننا .
ستحتاج أن تقتلنا نحن... ونحن لن نموت بسهولة ."
من الشق العظيم الذي فتح في السماء ، انبثق ظل لا يُشبه شيئًا .
لم يكن جسدًا ، ولا دخانًا... كان مزيجًا من وجوه تمحو نفسها كلما ظهرت .
كل وجه كان يفتح فمًا ، لكن بدل الصوت خرجت منه عتمة باردة ، كأنها تسحب الروح ممن يراها .
ليانا ارتجفت ، وقالت بصوت خافت :
"هذا ليس هو... هذا مجرد ظل ."
زايل قبض على مقبض سيفه ، وهو يغمغم :
"لكن ظل كهذا يكفي لإبادة مدن كاملة ."
في الأفق ، المدن التي نجت من حروب استرافا بدأت تتهاوى .
جدرانها سقطت كقطع ورق ، وأبراجها التوت مثل شموع تذوب .
لم يلمسها أحد ، لم يقصفها سلاح ، بل الظل وحده... مرّ فوقها فصارت رمادًا بلا نار .
ليانا شهقت :
"هو لا يحرق... هو يمحو!"
زايل أغلق عينيه للحظة ، وشعر أن ذاكرته نفسها تُحاصر ، لكنه صرخ ليبقى :
"لن أمّحى! لن أُصبح رمادًا بلا نار!"
من الظل ارتفع صوت ليس كالأصوات السابقة ، بل همس كأن العالم كله يتآمر :
"أنتم تتمسكون بوجودكم... لكن ماذا فعل وجودكم؟
كاين... مات ، واسترافا... مات ، وأورين... مات .

وأنتم؟ لستم سوى بقايا... بقايا لا تصنع تاريخًا ."
ليانا رفعت رأسها ، والدموع تلمع على خدها :
"حتى البقايا تحمل الحقيقة... وحتى الشاهد يقدر أن يجرح بصرخته
زايل أضاف بنبرة غاضبة :
"إن كان التاريخ لك... فالذاكرة لنا ."
الظل انحنى كعاصفة ، واندفع نحوهم .
زايل رفع سيفه العملاق ، والاصطدام لم يكن صوتًا معدنيًا... بل انفجار صدى ، كأن كل صرخة قيلت في الكون اندمجت في لحظة واحدة .
الأرض اهتزت تحت أقدامهما ، وتشققت أكثر .
ليانا سحبت خنجرها ، لكنها لم تضرب الجسد ، بل غرسته في الأرض وهي تهمس بتعويذة قديمة ، فارتفع حاجز من الرموز المضيئة .
لكن الظل لم يتوقف... بل عبر الحاجز كما لو كان دخانًا .
الظل لم يمس أجسادهم ، بل اقترب من عقولهم .
زايل رأى في رأسه صوراً تُمحى :
معارك خاضها ، دماء أصدقائه ، حتى وجه أخيه الذي مات من أجله... بدأ يتلاشى .
صرخ :
"لا! لن تأخذوه!"
ضرب الأرض بسيفه ، وخرجت موجة من الدماء السوداء من تحت قدميه ، كأن ذاكرة أخيه استيقظت لتدافع عنه .
ليانا أيضًا تراجعت ، شعرت أن وجه كاين يُمحى من قلبها ، لكنها غرست أظافرها في يدها حتى سال الدم ، وقالت :
"إن لم يبقَ سوى الدم شاهدًا... فليكن دمي!"

عندها ، انفجر نور من جسديهما معًا ، لم يكن نور خلاص... بل نور مقاومة .
الظل تراجع خطوة ، كأن وجودهما نفسه صار شوكة في حلقه .
الصوت عاد يدوّي من السماء :
"أنتم... لستم دمًا ، لكنكم... حجر في الطريق .
وسأترككم ، لا لأنكم أقوياء... بل لأن عذابكم في النجاة أعظم من موتكم ."
الظل انسحب ببطء ، تاركًا وراءه أثرًا كجرح مفتوح في السماء .
ليانا وزايل سقطا على الأرض ، يلهثان ، والدم يغطي أيديهما .
ليانا همست :
"إنه... لم يظهر بعد... هذا كان مجرد ظل ."
زايل رفع رأسه نحو الصدع في السماء وقال :
"وإذا كان الظل هكذا... فماذا سيكون الأصل؟"
السماء لم تعد سماء .
انقسمت إلى ألواح سوداء ، تتقاطع بينها شقوق حمراء تتسرب منها أنهار دم معلقة .
كل قطرة دم تسقط من الأعلى لا تلامس الأرض... بل تتحول إلى عين مفتوحة تراقبهم .
زايل رفع رأسه وصرخ :
"هذه ليست نهاية معركة... هذه بداية جحيم أكبر ."
ليانا أمسكت خنجرها ، وعيناها ترتجفان :
"أشعر أن أحدًا... ينظر في داخلي .
كأن حياتي كلها مكشوفة ."
وفجأة ، من بين الشقوق ، خرج صوت لم يكن يشبه أي شيء بشري :
"من قال لكم... إنكم قاتلتم من كان يحرك الحلقة؟"

الأرض انفتحت تحتهم ، ليس كهُوة ، بل كفم هائل يمتلئ بالأسنان .
لكن لم يسقطوا ؛ وقفوا على شفير الهاوية ، يسمعون الصدى يلتف حولهم .
الصوت الغامض :
"استرافا... لم يكن إلا أداة .
كاين... لم يكن إلا انعكاسًا .
أورين... لم يكن إلا وقوداً ."
زايل ضربَ الأرض بفأسه ، لكن السطح نفسه كان لزجًا ، وكأن الأرض حيّة .
قال غاضبًا :
"كفى ألغازًا! من أنت؟!"
الصوت أجاب ، كأنه لا يأتي من مكان واحد ، بل من العروق نفسها التي تشققت في السماء :
"أنا الذي كتب الحلقة الأولى .
أنا... الشيطان المنسي ."
من وسط الشقوق ، تجمعت الدماء وسقطت قطرة واحدة أمامهم .
لكن حين لامست الأرض ، لم تبقَ قطرة... بل تحولت إلى عين هائلة بلا جفن ، تنبض كأنها قلب .
ليانا وضعت يدها على صدرها :
"هذه ليست مجرد قوة... هذه ذاكرة عمرها بلا زمن ."
العين فتحت ، ورأوا فيها صوراً :
حروب قبل وجودهم ، شعوب احترقت ، أبطال آخرون ماتوا وهم يظنون أنهم كسروا الحلقة .
لكن كل الوجوه فيها مشوهة... بلا أسماء .
الصوت من العين :

"كل من تحدى الحلقة... مُحي اسمه من الوجود .
وأنتم... التاليون ."
زايل جلس على ركبتيه ، لأول مرة منذ بداية الرحلة .
كان دائمًا هو الأكثر عنادًا ، الأكثر صخبًا ، لكن الآن عيناه انطفأتا .
قال بصوت منخفض :
"يعني أننا... مجرد وقود؟!
أن كل شيء ضحّينا به لم يكن سوى مسرحية؟!"
ليانا صرخت بوجهه ، دموعها تسيل :
"لا تصمت! لا تسلّم لهم نفسك! إن كنا وقودًا... فلنحترق بوعينا ، لا بعمى ."
لكن الأرض ضحكت ، ضحكة لم تكن بشرية ولا وحشية ، بل كأنها صفائح حديد تُكسر فوق عظم :
"وعيكم... لا يساوي شيئًا أمام من كتب الدم ."
فجأة ، ظهرت أمامهم كتابة من لهب على الهواء .
كلمات غير مفهومة ، لكنها كانت تُعيد نفسها بلا توقف .
ليانا قرأتها بصوت مرتجف :
"الذي لا يُكتب... لا يموت .
الذي يُمحى... لا يُذكر .
الذي يصرخ... لا يُسمع ."
زايل ضرب اللهب بفأسه ، لكنه مرّ من خلاله .
قال بحدة :
"هذه تعويذة محو... كل من يقف ضد الحلقة يُمحى حتى من التاريخ ."
ليانا شهقت :
"هل يعني... أن كاين وأورين... لن يُذكروا بعد الآن؟!"

الأرض اهتزت بعنف .
من كل شق دموي خرجت أيادٍ هائلة ، ليست أيادٍ بشرية ، بل أشكال ملتوية ، أصابعها سيوف مكسورة ، أظافرها عظام بشر .
أحد الأذرع انقض على زايل ، فأمسك فأسه بكل قوته ليمنع السحق .
ليانا غرزت خنجرها في يد أخرى ، لكن الدم الذي انفجر منها لم يسقط... بل تسرب داخل جلدها .
شهقت وهي ترى عروقها تتحول سوداء .
الصوت عاد يهمس :
"لقد بدأ الانصهار... دمكم سينضم إلى دمي ، شئتم أم أبيتم ."
زايل صرخ :
"لن نُمحى! لو كنا آخر اثنين... سنحمل أسماؤهم للأبد!"
لكن السماء ضحكت من جديد ، ضحكة لم تكن لها نهاية .
الأرض انشقّت في خط مستقيم ، كأنها سيف هائل ضرب العالم نفسه .
من داخل الشق انبثق دم أسود يشتعل بلون أحمر متقطع .
ليانا وضعت يدها على صدرها ، وأحست بحرارة تنزف من قلبها .
قالت بصوت مبحوح :
"هذا الدم... أعرفه .
إنه دم كاين... ودم استرافا أيضاً ."
زايل نظر إلى السماء الممزقة ، ثم إلى الأرض النازفة ، وقال ببطء :
"دماؤهم لم تمت معهم... بل تحولت إلى سلاسل جديدة ."
فجأة ، ارتفع أمامهما جدار من زجاج أسود .
لم يعكس وجوههما... بل عكس صور كاين ، استرافا ، وأورين .
لكن كل صورة كانت تتشقق وتتحول إلى رماد قبل أن تكتمل .

ليانا مدت يدها للمس انعكاس كاين ،لكنها شعرت أن أصابعها تخترق فراغاً بارداً .

وقالت هامسة :

"حتى ذكرى وجوههم... تُمحى ."

زايل ضرب الجدار بفأسه ، فانكسر الزجاج إلى مئات الشظايا ، وكل شظية حملت وجهًا مجهولاً لأرواح لم يعرفوها .

ضحك الصوت من الأعماق :

"لا أحد ينجو من المحو... حتى صور الموتى ليست لكم ."

الأرض اختفت تحت أقدامهما فجأة .

لكن بدلاً من السقوط في هوّة ، سقطا في داخل نفسيهما .

زايل رأى نفسه طفلاً يصرخ ، يركض في مذبحة قديمة ، يد أخيه تمتد لتسحبه... ثم تنقطع فجأة .

ليانا رأت يدها وهي تقطر دماء ضحاياها في الماضي ، كل وجه منهم ينظر إليها بلا صوت... ثم يذوب .

صرخ زايل :

"أنت تحاول تجعلنا نكره أنفسنا!"

لكن الصوت ردّ :

"بل أذكّركم... أنكم لا تملكون إلا ذواتكم المنكسرة ."

من جسديهما بدأ الدم يتسرب للخارج ،ليس جرحًا ، بل كأنه يُسحب بالقوة .

دم زايل سال كسلاسل ، ودم ليانا تشكل كدوائر من رموز قديمة على الأرض .

ليانا شهقت :

"دمنا يُستدعى... يجرونه كقربان!"

زايل غرس فأسه في ذراعه لوقف النزيف ،لكن الدم واصل الخروج رغمًا عنه .

الصوت قال ببرود :

"أنتم لم تختاروا البقاء... لقد اخترتكم لتشهدوا .

دماؤكم آخر مفاتيح السجن ."

من أعماق الأرض ارتفع صوت آخر... طرقات هائلة ، كأن كائنًا ما يضرب من وراء جدار لا يُكسر .

كل طرقة اهتزت لها السماء ، وتحولت النجوم إلى غبار .

ليانا وضعت يديها على أذنيها :

"إنه يستيقظ! إنه يطرق من الداخل!"

زايل صرخ وهو يرفع سيفه :

"لن نسمح له بالخروج! حتى لو بقينا آخر اثنين واقفين... لن نسمح!"

لكن الطَرق تزايد ، وصار كأنه قلب كوني يخفق في عمق الأرض .

عندما كادت الأرض تنهار بهم تمامًا ، توقف كل شيء فجأة .

السماء هدأت ، الطَرق توقف ، حتى الدم تجمد في مكانه .

وفي وسط الصمت ، خرج الصوت بوضوح مخيف :

"أنتم لستم محاربين... أنتم شاهدان .

ستعيشان... فقط لتروا العالم ينزف .

وستحملان أوزان الذين مُحوا... بلا قدرة على إنقاذ أحد ."

ليانا انهارت على ركبتيها والدم يغطي يديها ، بينما زايل رفع سيفه رغم جسده المرتجف .

قال بصوت مبحوح :

"إذا كان البقاء لعنة... فلن نكسرها إلا بعيون مفتوحة ."

الصوت ضحك ، ضحكة ملأت السماء كلها :

"إذن... لنُكمل المسرحية ."

الفصل الحادي والسبعون

قَسَم الدم الأخير – وعد لا يُكسر

الأرض التي مات فوقها كاين واسترافا لم تعد أرضًا .
صارت بحرًا أحمر ، يغلي كأن دماءهما لم تكن سائلة بل بركانًا حيًا .
قطرات دم أورين التي سقطت قبلهم عادت للسطح ، امتزجت مع دماء الأخوين ، وبدأت تتخذ أشكالاً رمزية :
دوائر ، حروف غريبة ، وعيون مفتوحة بلا جفن .
ليانا جثت على ركبتيها وهي تحدق في المشهد :
"إنها ليست مجرد دماء... إنها كتابة ."
زايل قبض على سيفه ، وقد شعر لأول مرة أن قوته لا تعني شيئًا أمام هذا المشهد .
الأرض نفسها كانت تتحدث بلغة الدم .
صرخة صامتة انفجرت من مركز الدماء .
لم يكن هناك صوت ، بل فراغ يضغط على الأذن حتى سال الدم منها .
ليانا وضعت يديها على رأسها ، وصاحت :
"إنه القسم... إنه يُكتب الآن!"
زايل نظر إلى السماء الممزقة :
"قسم؟ أي قسم؟!"
لكن السماء أجابته بنفسها :
كلمات نُقشت من الدم في الهواء ، بخط عملاق :
"ما بدأ بالدم... لا يُختم إلا بالدم ."

الأرض انشقت ، وخرجت منها أشباح مجهولة ، مقطعة الأوصال ، تحمل سيوفًا مكسورة .

لم تكن أشباح كاين ولا استرافا... بل أشباح محاربين ماتوا في حلقات سابقة ، كلهم يرددون جملة واحدة :

"الوعد لا يُكسر... الوعد لا يُكسر ."

ليانا شهقت وهي ترى بينهم وجوهًا تشبههم... كأنها نسخ قديمة لهم .

زايل ضرب الأرض بفأسه (الذي صار الآن أشبه بكتلة مشتعلة من الرماد) وصاح :

"كفى أشباح! أعطونا الحقيقة!"

لكن الحقيقة لم تأتِ... بل جاء الانفجار .

رموز الدم بدأت تلتفَ على بعضها ، كأفعى حمراء تصنع دائرة .

من منتصفها ظهر جدار لم يكن موجوداً من قبل :

جدار شفاف ، وكأن وراءه محيط من ظلام يتنفس .

أورين ، بصوته العالق بين الموت والحياة ، تردّد صداه من الفراغ :

"لقد أعطيت دمي... لأفتح نصف القيد ."

ليانا تجمدت مكانها :

"أورين...؟!"

لكن صوته اختفى ، تاركًا خلفه صدىً باردًا .

الأرض كلها اهتزت ، ولم يعد الأبطال يعرفون إن كانوا في الحاضر أم الماضي .

الصور بدأت تتدفق حولهم :

طفلان يتقاتلان في طوفان من الدم (كاين واسترافا صغارًا) .

أم تبكي وهي تضع ختمًا على جبين أورين .

سلاسل هائلة تُغلق أبوابًا من عظام في قلب الفراغ .

ليانا شهقت :

"هذه... ليست ذكرياتنا وحدنا .

إنها ذكريات الحلقة كلها!"

زايل قال وهو يضغط على رأسه :

"لا... ليست ذكريات! إنها الأوامر التي تُعيد كتابة وجودنا!"

الرموز صارت تُنقش في جلد كاين واسترافا وهما جثتين بلا حياة .

أذرع غير مرئية حفرت العبارات على صدريهما ، وعلى جبهتيهما كلمة واحدة :

"القَسَم ."

ليانا حاولت أن تقترب ، لكن الأرض دفعتها بعيداً .

صوت قديم خرج من الدم :

"من ماتوا... ليسوا أحراراً .

إنهم الوقود ."

زايل غرز سيفه في الأرض ، صرخ متحديًا :

"وقود لمن؟!"

والإجابة كانت في السماء التي تمزقت لتكشف عينًا أضخم من العالم نفسه...

عين "الشيطان المنسي" .

العين التي ظهرت خلف الحاجز لم تكن بشرية ولا شيطانية... كانت خليطًا بين كائنات لا يفترض أن تجتمع .

مليارات العروق تتدفق من حدقتها كأنها جذور تبحث عن لحم جديد .

ليانا صرخت وهي تشد شعرها :

"إنه يرانا...! لم يكن يجب أن يرانا!"

زايل جرّها للوراء ، لكنهما لم يتحركا .

الأرض حبستهما كأنهما شاهدان مختاران .
جثة كاين ارتجفت .
عينيه فتحتا ، لكن بلا نور... لم يكن فيه روح ، بل انعكاس للرموز التي حُفرت على جلده .
استرافا بدوره تحرك ، كأنه دمية تسحبها خيوط غامضة .
ليانا همست وهي تبكي :
"لا... لا تعيدوهما بهذه الصورة..."
لكن القسم لم يكن يسألها .
أصوات مجهولة ملأت السماء :
"لقد أقسمتم قبل أن تولدوا... أقسمتم بالدم... أن تفتحوا الباب ."
زايل صاح غاضباً :
"نحن لم نقسم بشيء! لا أنا ولا ليانا ولا حتى كاين!"
الصوت أجاب :
"أنتم لستم أنتم .
أنتم تكرار... والدماء تذكّر بما لا يريد الجسد أن يتذكره ."
ليانا ارتجفت .
للمرة الأولى أيقنت أنها لم تكن إلا انعكاساً ، نسخة من شخص لم يولد بعد أو مات منذ زمن بعيد .
الأرض انشقّت كصفحات كتاب ، وظهر تحتها نصّ مكوّن من عظام وجماجم .
كل جمجمة تمتمت بحروف مختلفة ، وحين اجتمعت صارت جملة :
"ما أغلقه الأوائل... يفتحه الآخرون بدمائهم ."
زايل ضرب صدره وقال :
"لن أسمح أن يُكتب مصيرنا بدمنا .

سنكسر الكتاب!"

لكن الكتاب لم يكن يُكسر .

كان يزداد وضوحًا .

بقعة دم أورين في وسط الساحة احترقت فجأة ، وكأنها فُتيل .

منها صعد عمود من النار السوداء ، التفت حول السماء وصارت كسوط يضرب الجدار الشفاف .

ليانا سمعت صوته ، ضعيفًا لكنه واضح :

"سامحيني... لم يكن موتي كافيًا ."

زايل صرخ :

"أورين! توقف ، ستفتح ما لا يمكن إغلاقه!"

لكن الدم لم يتوقف... بل تحوّل إلى مفتاح .

الجدار الشفاف تصدّع .

منه خرجت أنفاس باردة لدرجة أن الهواء نفسه انطفأ .

السماء تحولت إلى مرآة سوداء عاكسة ، تُظهر وجوه الجميع ميتة .

ليانا رأت نفسها معلقة من عنقها في المرآة .

زايل رأى نفسه مقطوع الرأس ، يحمله على يده وكأنه سلاح .

كلاهما تراجعا ، لكن المرآة لم تكن انعكاسًا... بل نبوءة .

سلاسل من عظام عملاقة بدأت تتساقط من السماء .

كل واحدة منها تحطم الأرض حين تلمسها ، وتكسر الحاجز أكثر .

من الظلام خرج صوت آخر ، أعمق ، أقدم :

"أنا الذي نُسيتُ... أنا الذي خُتمت رؤيتي... أنا الشاهد قبل البداية ."

ليانا همست :

"الشيطان المنسي..."

دموع ليانا جرت على خديها ، لكنها لم تكن دموع ماء... بل دم نقي .

حين سقط على الأرض ، تحوّل أيضًا إلى رمز .

زايل نظر إليها بصدمة :

"ليانا... دمك جزء من القسم أيضًا!"

هي شهقت ، وغطّت فمها بيدها :

"لا... لا أريد... لا أريد أن أكون ختمًا!"

لكن الأرض ابتلعت دموعها ، كأنها وقّعت عقدًا لم تختَرْه .

الرموز تحولت إلى جدار أمام زايل ، وعليه صورة رجل كان يعرفه :

صديقه الذي مات قديمًا وهو يحميه .

الصوت سأله :

"هل تجرؤ أن تقتل نفسك كما قُتل لأجلك؟"

زايل صرخ :

"كفى! لست عبدًا لحلقاتكم!"

لكنه شعر بسيفه يثقل ، والرمز على الجدار يضيّق عليه ، يجبره أن يعترف أن حياته كانت دائمًا مبنية على دم غيره .

كاين واسترافا وقفا معًا .

لكن لم يكن فيهما أي وعي .

كل حركة منهما كانت مفروضة من الرموز ، وكأنهما دميتان بلا إرادة .

وجهيهما بلا ملامح ، إلا خطوط دم حمراء حُفرت لتصنع ابتسامة ساخرة .

ليانا شهقت :

"لا... لا تعيدوهم بهذه الطريقة!"

الصوت أجاب :

"لم يعودوا... إنهم القسم نفسه الآن ."

الدماء لم تعد تتدفق من الجروح فقط... بل من السماء ، من الصخور ، من الهواء نفسه .
كل شيء ينزف :
الأشجار ، الطيور ، حتى الظلال .
الأرض صارت بحراً أحمر ، يبتلع أي أثر للون آخر .
زايل صرخ وهو يرفع سيفه :
"لو كان الدم هو الذي يفتحكم... فسأحول دمي إلى لعنة عليكم!"
لكنه علم في داخله أنه كاذب... لأن القسم لم يُكتب ليُلعن ، بل ليكتمل .
حلقة دائرية من دماء ارتفعت حول ليانا وزايل .
كأنهما حُبسا في عين عاصفة .
من الخارج ، كاين واسترافا يقتربان بخطوات بطيئة ، سيوفهما تُسحب من العدم .
ليانا صاحت :
"إنهما ليسا حيين! لا تقتلهما ، زايل ، لا تفعل!"
زايل هز رأسه :
"لا أستطيع... إن لم أفعل سينكسر القيد بالكامل ."
صوت هائل ملأ الكون كله :
"لقد كُتب الوعد .
لقد كُسر الدم .
الآن... افتحوا الباب ."
الأرض كلها انشقت ، وظهر الباب أخيراً .
لم يكن بابًا من حجر... بل فمًا عملاقًا ، بأسنان من العظام .
من داخله كان الظلام يتدفق كأنه نهر حي .

ليانا أُسقطت على ركبتيها ، شهقت وهي ترى الباب يُفتح :

"إنه ليس مجرد شيطان... إنه كل البدايات التي لم تُخلق ."

في اللحظة الأخيرة ، اختلطت كل الدماء معًا :

دم كاين ، دم استرافا ، دم أورين ، دم ليانا ، ودم زايل .

الحلقة اكتملت .

السماء انشقت نصفين .

وصوت واحد دوّى ، لم يكن يشبه شيئًا سمعه بشر من قبل :

"لقد حان دوري ."

ليانا أغمضت عينيها .

زايل غرز سيفه في الأرض ، واستعد .

لكن كليهما أدرك الحقيقة :

لا يوجد ما يمكن إنقاذه بعد الآن .

وهكذا انتهى الفصل ، لا على موت... بل على فتح الباب .

الفصل الثاني والسبعون

لم نُخلق لأجل الخلاص

"كل ما عبرناه ،لم يكن خلاصًا... بل مرآة تخبرنا أننا لم نكن سوى عابرين ."

المدينة التي وقفا فيها تحولت إلى هباء .
المباني مثل أطياف ، الشوارع كأنها خطوط متكسرة ، والسماء بلا شمس ولا قمر .
ليانا تمشي بخطوات ثقيلة ، خنجرها يتدلى من يدها بلا معنى ، كأن وزنها صار أثقل من جسدها .
زايل يتبعها بصمت ، يداه ملطختان بالدماء القديمة ،لكن عينيه فارغتان من أي نار كانت تسكنه .
ليانا تتوقف وتلتفت إليه ، نظراتها مثقلة :
"زايل... هل كنا مجرد شهود؟"
زايل يضحك ضحكة مشروخة ، صوته مثل صدى فأس مكسور :
"شهود على ماذا؟ على موت أحبائنا؟ على أن كل قطرة دم سفكناها ما كانت إلا وقوداً لوحش مدفون؟"
ليانا تخفض رأسها :
"ربما لم نُخلق لأجل الخلاص... بل فقط لنشهد النهاية ."
بينهما يظهر انعكاس في الهواء ، مرآة بلا إطار ، تعكسهما لكن لا تظهر وجهيهما .
في المرآة يريان ظلال كاين وأورين واسترافا... ثلاثتهم يمشون بعيداً ، بلا عودة .

زايل يمد يده للمرآة ، لكنها تتفتت إلى غبار أسود .
ليانا تهمس :
"حتى ذكرياتهم ترفض البقاء ."
الصمت يثقل الهواء ، حتى تنفجر ليانا بكلماتها :
"زايل... إن بقينا معًا ، سنتحول إلى شاهد واحد فقط .
لكن إن افترقنا... ربما يصمد أثرنا أطول ."
زايل ينظر إليها بدهشة ، كأنها تطعنه بخنجر .
"تفترقين عني... بعد كل هذا؟"
دمعة تنحدر على خدها وهي ترد :
"أجل... لأني لا أريد أن يضيع كلانا معًا .
ربما يكتب أحدنا... شيئًا آخر ."
الريح تعصف بينهما كأنها تفصل خطًا حادًا في الأرض .
ليانا تدير ظهرها وتمشي في اتجاه الغرب .
زايل يشد قبضته ويمشي في اتجاه الشرق .
كل خطوة يخطونها تشعر وكأنها تمزق الحلقات القديمة .
لكن لا أحد يلتفت .
ولم يبقَ سوى فراغ يقول :
"لم نُخلق لأجل الخلاص... بل لنترك الصدى الأخير قبل أن يبتلعنا الصمت ."

الفصل الثالث والسبعون

حلقة لم يُكملها أحد

الأرض ارتجّت كما لو أن قلبها انكسر .
من أعماق السجن الحجري المطمور ، انشق جدار قديم ، تناثرت منه شظايا سوداء كأنها أحجار الزمن نفسه .
ليانا وضعت يدها على صدرها ، أحست أن الهواء صار أثقل من أن يُتنفَّس .
زايل صرّ على أسنانه ، يدرك أن ما يتزلزل أمامهما ليس مجرد بناء... بل الحلقة التي كانت تحبس شيئًا أقدم من كل تاريخهم .
من الشقّ المظلم ، خرج صوت لا يُشبه أي صوت آخر .
لم يكن صراخًا ، ولا همسًا ، بل خليط من الاثنين ، كأنه ملايين الأفواه تصرخ معًا ، ثم تصمت في اللحظة ذاتها .
زايل همس :
"هذا... ليس استرافا ."
ليانا أطبقت على خنجرها ، لكن يدها كانت ترتجف ، وكأن الصوت وحده يريد أن ينتزعها من وجودها .
الدخان الأسود اندفع مثل بحر حيّ ، منه تشكّل ظل هائل الحجم ، لا يملك ملامح محددة ، بل هيئة متبدلة :
تارة كإنسان ، وتارة كوحش ، وتارة ككوكب ينهار .
ذلك الظل لم يكن مجرد كيان... بل شعور طاغٍ بالذنب والفراغ ، كأن كل موت وكل دم أُريق منذ بداية العالم اجتمع فيه .
الصوت تكلّم ، ولم يحتج لفم :

"ظننتم أن الحلقة كُسرت... لكنها لم تُكمل قط .

ما لم تفهموه هو أن كاين واسترافا وأورين... لم يكونوا إلا مفتاح الباب ، لا حُرّاس النهاية ."

ليانا شهقت ، والزمن تجمد حولها للحظة .

زايل أحنى رأسه ، يدرك أن ما يسمعانه لم يكن مجرد تهديد ، بل حقيقة مرّة .

الظل تحرك ، ومع كل خطوة تساقطت حوله الأحجار ، كأن العالم يرفض وزنه .

ثم خرجت الكلمات ، بطيئة ، حادة ، كأنها نُحتت من نار :

"اسمي... الذي نُسي... والذي خشيَت الألسنة أن تذكره... هو ماثيوس ."

زايل فتح عينيه بقوة ، كأن الاسم اخترق جمجمته .

ليانا تمتمت بصوت مخنوق :

"الإمبراطور... ماثيوس... الذي قيل إنه سقط قبل عصور؟"

الظل ضحك ، والضحكة وحدها أسقطت الحجارة من السقف .

الأرض نفسها ردّت على ضحكته .

كل حجر ، كل جدار ، كل نقش قديم بدأ ينزف دمًا أحمر قاتم .

ليانا لم تعد تفرق بين أرض تحت قدميها أو جرح مفتوح .

زايل همس في نفسه :

"إذن... لم يكن مجرد إمبراطور... بل أوّل من صار جحيمًا حيًّا ."

من شقوق السجن العتيق ظهرت وجوه بشرية محفورة في الحجر ، تتحرك وتصرخ كأنها أرواح عالقة منذ أزل .

كل وجه بدا مألوفًا... أبطال ماتوا ، جنود قُطعت رؤوسهم ، حتى وجوه أطفال لم يولدوا قط .

ليانا أدركت أن هذا لم يكن جداراً... بل ذاكرة الحلقة التي لم تكتمل يومًا .

زايل رفع سيفه ، لكنه لم يجد شيئًا ليضربه .

حين تردّد اسم "ماثيوس" مرة أخرى ، ارتجفت السلاسل الذهبية التي كانت تُبقي الظل مقيداً .
كل حلقة من تلك السلاسل كانت ممهورة برموز قديمة — نفس الرموز التي عرفها أورين من كتب السحرة المنسيين .
ليانا همست :
"إذن... لم يكن منسيًا لأنه سقط ، بل لأن اسمه نفسه صار لعنة تُمحى من الكتب والذاكرة ."
زايل أغلق عينيه لحظة ، مستوعبًا أن كل ما عرفوه كان مجرد قشرة فوق قبره .
تحت قدميهما ، انشقت الأرض عن هاوية لا قاع لها .
من أعماقها تصاعدت أنفاس حارة كرائحة حديد محمّى .
صوت الظل قال :
"كسرتِم السلاسل بالدماء... دم التوأم ، دم الأخ ، دم الساحر .
لم يبقَ إلا أن تشهدوا ميلادي من جديد ."
زايل تراجع خطوة ، لكنه شعر بظهره يصطدم بفراغ أبدي ، كأن لا مهرب .
بين الدخان ظهر استرافا ، أو بالأحرى انعكاسه :
شاب كما كان قبل السقوط ، بعينين صافيتين لا يكسوهما جنون .
ليانا شهقت :
"هل... هذا ظلّه؟"
الظل أجاب :
"هو ليس سوى حجر في يدي .
كل ما فعله كان بوصفي .
حتى سقوطه لم يكن إلا بداية الطريق إليّ ."
زايل شعر بالغضب يمزق صدره :

"كذب... استرافا سقط بقراره ."

الظل ضحك ثانية :

"بل قررتُ أنا عنه ."

السلاسل الذهبية بدأت تتفتت ، كل حلقة منها تذوب كأنها شمع .

مع كل حلقة تنكسر ، تهتز الأرض أكثر ، وتزداد حرارة الهواء .

ليانا سقطت على ركبتيها ، تشعر وكأن قلبها يُسحب من صدرها .

زايل رفع سيفه بكل قوته ، لكن السيف ارتجف بين يديه ، كأنه يخاف أكثر منه .

الظل بدأ يتخذ شكله .

أذرع بشرية عملاقة ، أجنحة سوداء تحترق من أطرافها ، عيون متفرقة تفتح وتغلق بلا نظام .

لكن وسط كل تلك الفوضى ، ظهرت ملامح إنسان :

وجه ماثيوس ، بملامح إمبراطور قديم ، جبهة متوجة بقرون حديدية ، وابتسامة تعرف أنها رأت كل الحروب وكل الخيانات .

ليانا شهقت بصوت مبحوح :

"إنه... ليس وحشاً فقط... إنه إنسان لم يتوقف عن أن يكون إنسانًا ."

الوقت بدأ يتكسّر .

لم يعد الليل ليلاً ولا الأرض أرضًا .

ليانا رأت نفسها طفلة للحظة ، ثم كهلة ميتة في قبر مفتوح .

زايل لمح انعكاسه ، لكنه لم يكن هو :

كان بيرسيركراً يبتسم وهو مغموس بالدماء .

الصوت قال :

"أنا من جعل الزمن يدور عليكم .

الحلقة لم تكن إلا لعبتي ، أنتم لم تحيوا إلا لتعيدوني ."
من بعيد ، ارتجت الأبراج الأولى .
مدينة كاملة — التي نجت من استرافا — تهشمت بصرخة واحدة خرجت من فم الظل .
الجدران سقطت كقطع ورق ، الأرواح خرجت من أجساد الناس ، وارتفعت تصرخ معه ، كأنها جوقة من الفناء .
ليانا دمعت عيناها :
"لم يبدأ بعد... وهو يبتلع مدنًا ."
على الجدران ظهرت صور ماضيه :
ماثيوس جالس على عرش أسود ، حوله شعوب راكعة ، وفي عينيه بريق لا يرضى بملك أرضي .
زايل قال ببطء :
"كان بشراً... لكنه لم يرضَ بالبشرية ."
الظل أجاب :
"كنت أول من رفض القيود .
وحين عجزت البشرية عن كسري... قررت أن تنساني ."
السلاسل الأخيرة تهاوت .
كل نقش قديم صار رماداً يتطاير .
الأرض انفتحت ، ومن أعماقها خرج عمود نار أسود ، يبتلع السماء ويجعلها بلا لون .
ليانا شعرت بأن قدميها لا تحملانها .
زايل أمسكها بيده ، لكن قبضته كانت ترتجف أكثر من قبضتها .
الظل تماسك .

صار جسداً ضخماً ، نصفه إنسان بملامح ماثيوس ، ونصفه وحش يحمل أجنحة سوداء تتساقط منها شرارات رماد .
عيناه حمراوان ، كأنهما بوابتان على مقبرة لا تنتهي .
ابتسم وقال :
"استرافا كان سقوطًا... لكنني أنا البداية والنهاية ."
لم يتحرك ماثيوس خطوة ، لكن الهواء نفسه سحق الأبطال .
ليانا شعرت بعظامها تتفتت من الداخل ، وزايل انحنى على ركبتيه والدم يسيل من أنفه .
قال ماثيوس :
"دم كاين ، دم استرافا ، دم أورين... كلها لم تكن إلا مفتاحًا . لكنكم ، أيها الباقون... أنتم شهودي .
لتعرفوا أن الحلقة لم تُخلق لكم ."
الأرض حوله تحولت إلى بحر من العظام .
أرواح الموتى تجمعت ، تصرخ وتضحك وتبكي في الوقت نفسه .
زايل صاح من الألم :
"لا يمكن أن يكون... أعظم من استرافا!"
ماثيوس أجابه :
"استرافا كان ابني... لكنني أبُ الفوضى كلها ."
مع آخر اهتزاز ، سقط السقف كله ، وانفتحت السماء لتكشف عن فلك أسود لا نجوم فيه .
ماثيوس رفع يده ، وبحركتها فقط انهارت بقية السجن .
ليانا صرخت :
"لقد تحرر... الشيطان المنسي!"

زايل لم يجد كلمات .

فقط أدار عينيه نحوها ، وعرف كلاهما أن هذه لم تعد حربًا يمكن كسبها .

الفصل الرابع والسبعون

ندم لا لغة له

لم يكن الليل هو ما غطّى المدينة الأولى... بل موتٌ كثيف لا يملك اسمًا .
الركام يتنفس ، الأحجار تصرخ ، وكل نافذة مهدّمة صارت عينًا تحدّق بهم .
ليانا كانت واقفة ، سيفها يتدلّى من يدها ، وداخلها يتشقق :
"أهذا كل ما تبقّى؟ نحن؟ فراغ على أنقاض من فقدناهم؟"
حاولت أن تتذكر ملامح كاين كما رآها آخر مرة .
لكن كل صورةٍ له تتفتت ، كأن ذاكرتها لا تحتمل ثقله .
كانت تسمع صوته يردّد في رأسها ، لا كحقيقة ، بل كطيف .
همست :
"لم أعرفك أبدًا... ولو متُ ألف مرة ، فلن أصل إلى قلبك الذي دفنته عن الجميع ."
زايل جلس على حجرٍ متشقق ، يحدّق في الفراغ وكأن المدينة لم تعد تهمه .
يداه كانتا ملطختين ، ليس بدماء الأعداء فقط ، بل بدم من سمّاهم إخوته .
قال بصوت باردٍ مخنوق :
"كل شيءٍ انكسر... وأنا ما زلت أتنفس .
هذا أسوأ عذاب ."
اقتربت ليانا منه ، تبحث عن سند ، لكنه رفع نظره إليها .
كان في عينيه جدار من صمت لا يمكن اختراقه .
قال :
"إن بقيتُ قربك ، سأتحطم مثلك .

وإن ابتعدت ، قد أبقى واقفًا ولو للحظة ."
ثم أشاح بوجهه بعيداً .
من جوف الأرض جاء الصوت .
صرخة واحدة .
لم تكن صوتًا بشريًا ، ولا عواء وحش ، بل رجع صدى لشيء أكبر من التاريخ .
صرخة فتّتت الهواء وأطفأت أي ضوء متبقٍ .
ومعها ، بدأت المدينة الأولى بالسقوط .
الأبراج لم تسقط كحجارة ، بل ذابت كأجساد تذوب تحت لهيبٍ خفي .
النوافذ صارت أفواهًا تصرخ ، الأرض تصدعت كقبرٍ يُفتح .
ليانا شهقت ، وكأنها ترى نهاية الخلق .
زايل رفع سيفه ، لا ليدافع ، بل ليشهد .
ليانا حاولت استدعاء أسماء من رحلوا في الرحلة .
لكن كل اسمٍ كانت تقوله يختفي قبل أن يصل لشفتيها .
صرخت :
"لا! لن أنساهم! لن أسمح أن يمحوا!"
زايل رد ، عيونه لا تتحرك عن الخراب :
"لقد مُحينا نحن قبلهم... نحن فقط لم ندرك بعد ."
بينما ينهار كل شيء ، شعرت ليانا أن قلبها ينزف دون دم .
كل ضربة قاتلت فيها ، كل طعنة تلقتها ، لم تؤلمها كما آلمها الفراغ الآن .
قالت :
"الندم... أقسى من الموت .
الموت ينتهي . أما هذا... فيبقى ."
بين الركام ، التقط زايل قطعة زجاج محترق .

نظر فيها ، فرأى نفسه طفلاً يبكي بجوار جسدٍ هامد... ثم رأى نفسه بيرسيركرًا متوحشًا مغطى بالدم .

كسر الزجاج بقبضته وقال :

"أنا ظلّ... والظل لا يغيّر مصيراً ."

مع سقوط آخر جدار ، توقفت الريح .

حتى الزمن نفسه بدا وكأنه تجمد .

ليانا همست :

"هذه لم تعد مدينة... هذه قبر ."

زايل أجابها :

"لا ... ليست قبرًا .

إنها مرِآة .

العالمَ يرى نفسه فيها... وهو أبشع مما تخيّل ."

ليانا التفتت لزايل ، دموعها تتساقط :

"أخبرني... لماذا نحن باقون؟ لماذا لم نسقط معهم؟"

زايل أشاح بوجهه وقال ببرود قاتل :

"لأن البقاء ليس نعمة .

إنه خيانة... وأعظم عقوبة خُلقَت ."

عادت صورة كاين لخيالها ، لكن ليس كالمحارب الذي عرفته ، بل كظلّ يمشي بعيداً ، لا يلتفت .

صرخت :

"أردت فقط أن أعرف من أنت!"

لكن الصدى وحده أجابها ، ثم تلاشى .

جلس الاثنان وسط الخراب .

لا كلام بينهما ، لأن الكلمات لم تعد تحمل معنى .

كانت أرواحهما تتآكل في الداخل ، بينما العالم ينطفئ من حولهما .

كل ما تبقى هو ندم ، لكن بلا لغة تصفه .

من أعماق الظلام ، ارتجّت الأرض بصوت جديد ، أعظم من الأول .

صرخة مزّقت السماء ، جعلت الدماء التي في عروقهما تغلي .

صرخة لم يكن من استرافا ، بل من أقدم منه ، أعمق منه .

ليانا قالت بخوف مرتجف :

"هذا... ليس صوتاً من هذا العالم ."

المدينة لم تسقط وحدها .

حتى النجوم فوقهما انطفأت واحدةً تلو الأخرى .

السماء لم تعد سماء ، بل قماشة سوداء بلا أفق .

زايل همس :

"حتى النور يهرب... من وجه القادم ."

بين الظلام ، أحسّت ليانا أن روحها تُسحب منها شيئًا فشيئًا .

مدت يدها لزايل ، لكنه لم يمد يده .

قال وهو يشيح عنها :

"أنا اخترت الوحدة .

لا تُلقي عليّ حِملك ."

فشعرت أنها وحيدة بالفعل... حتى بجانبه .

الزمن نفسه انقسم ، دقائق تتشقق ، ثوانٍ تنزف .

الأرض تحوّلت إلى مرايا مكسورة تعكس صورٍ وجوه ماتت .

ليانا وقفت وسطها ، تنظر إلى كل نسخة من كاينٍ... وكلها تدير ظهرها لها .

ابتدأت الأرض تنسحب من تحت أقدامهم كأنها تذوب .

المدينة الأولى لم تُمحَ فقط... بل مُسحت من التاريخ نفسه .

زايل نظر حوله وقال :

"كأنها لم تكن... كأنها لم تُخلق أصلاً ."

تبادل الاثنان نظرة صامتة .

لم يعد هناك خطة ، ولا حرب ، ولا خلاص .

ليانا همست بصوت مبحوح :

"إن كان هذا هو ما تبقى... فأنا لم أُخلق لأجله ."

زايل أغلق عينيه ، لا يجد رداً .

المدينة الأولى سقطت .

السماء انطفأت .

الأرواح تلاشت .

وبقيت ليانا وزايل وسط الخراب ، لا يملكان سوى ندم لا يعرف لغة... وصرخة واحدة ، لا تزال ترتجّ في العظام ، تُعلن أن ما مات لم يكن النهاية... بل البداية .

االفصل الخامس والسبعون

من كان قبلنا . . . ترك كل شيء ينزف

كانت المدينة الأولى قد تحولت إلى خراب .
الحجارة مشقوقة ، كأنها قُطعت بمخالب غير مرئية .
ليانا مشت بين الأنقاض ، تشعر تحت قدميها بحرارة كالجمر ، كأن الأرض نفسها تنزف دمًا قديمًا .
زايل سار خلفها بصمت ، عينيه على السماء الداكنة التي لم تعد تعرف شمسًا .
قال أخيراً بصوت عميق :
"هذا المكان... لم يمتٍ الآن .
لقد مات منذ زمنٍ بعيد .
وما نراه مجرد إعادةٍ موت ."
بين الركام ، وجدوا جداراً متصدعًا لكنه واقف ، وعليه نقوش لم تبهت رغم مرور القرون .
لم تكن لغة بشرية مألوفة ، بل حروف منحنية كأنها مصنوعة من العروق نفسها .
حين لمسته ليانا بأطراف أصابعها ، شعرت ببرودة هزّت عظامها .
قال زايل :
"هذه ليست كتابة... هذا دم متحجر ."
من النقش انبثق همس... لا من الخارج ، بل من داخل رأسيهما .
"من كان قبلهم... نزف كل ما لديه ليحجب ما لا يُحجب ."

ليانا شهقت وتراجعت ، واضعة يدها على قلبها .

زايل تمتم :

"أشعر... أن هناك من يتحدث من خلال الزمن ذاته ."

الهواء انشقّ ، وظهرت أطياف لأشخاص بملامح قوية ، يحملون أسلحة كالسيوف والسياط .

كانت وجوههم بلا أعين ، والدم يتساقط من محاجرهم الفارغة .

وقفوا حول الجدار ، وأحدهم قال بصوت يشبه ارتطام الحديد بالحديد :

"نحن الذين نزفنا قبلكم... نحن الذين خُيّرنا بين العمى... أو الفناء ."

ليانا تسمرت في مكانها :

"من أنتم؟"

أجاب الطيف الأكبر ، صوته يزلزل العظام :

"نحن البيلومونت... أول من قاتل ما لم يُخلق ليموت ."

زايل رفع رأسه بدهشة :

"البيلومونت... أسطورة بلا جذور .

كنت أظنكم خرافة ."

رد الطيف :

"الخرافة... ما تُرك من الحقيقة بعد أن نُسي الدم ."

أظهر الطيف مشهداً حيًا :

رجال ونساء يقاتلون مخلوقًا لا ملامح له ، ظلاً متجسداً يتلوى وسط صرخات .

كل ضربة كانت بلا جدوى ، كل سيف ينغرز ويذوب كأن الجسد ليس جسداً .

حتى طعنوه جميعًا مرة واحدة ، بسيوفهم الملطخة بدمائهم هم .

وصرخ الصوت :

"الختم لم يُصنع بقوة... بل بدم لم يعد أحد بعده كاملاً ."

الكتابة على الجدار أضاءت فجأة :

"لم نختمه لنحبسه... بل لنحجب رؤيته عن العالم .

لأن رؤيته... تكسر العقول .

لأن مجرد النظر إليه... ينزف الوجود حتى الفناء ."

ليانا تراجعت ، تغطي وجهها ، بينما زايل يضغط على صدغيه بقوة .

قالت بصوت مرتجف :

"الختم... لم يكن درعًا .

كان غطاء عين ."

الحروف تساقطت من الجدار كدم حي ، يقطر على الأرض ويتسرب في الشقوق .

كل قطرة تتحول إلى صوت ، صوت بكاء أطفال ، صرخات نساء ، أنين محاربين يحتضرون .

زايل غرس سيفه في الأرض ليبقى ثابتًا ، ثم زمجر :

"كم نزيفًا ترك هؤلاء... كي لا نرى ما لا يُرى؟"

ليانا جلست على ركبتيها ، تهمس كمن فقد القدرة على التنفس :

"لو كان كاين هنا... لفهم .

لكنه رحل... رحل قبل أن نعرف ما نقاتل ."

زايل رد ببرود قاتل :

"ربما كان رحيله رحمة... لأنه لم يرَ هذه الحقيقة ."

الأطياف التفتت إليهم ، واحدًا تلو الآخر ، وقالوا بصوتٍ موحّد :

"كل من يعرف... كل من يرى... يُمحى .

نحن محونا أنفسنا كي يبقى العالم أعمى .

لكن الختم يتصدع... وأنتم سترون ما لم يكن يجب أن يُرى ."

فجأة غمر المكان عطر معدني خانق .

رائحة دم لم يعرفا مصدرها ، لكنها ملأت رئتيهما حتى شعرا بالاختناق .

ليانا شهقت :

"إنه دم... ليس من حاضرنا .

بل من أول نزيف وُجد ."

زايل شدد قبضته على السيف :

"الدم الأول... يعود ."

ظلال البيلومونت بدأت تتشقق كزجاج ، وتنفجر إلى شظايا من صرخات .

مع كل شظية ، رأوا مشاهد حرب لم تُسجّل في أي تاريخ :

مدن تُبتلع بلا أثر ، أطفال يولدون موتى ، سماء تتشقق وتسقط .

ليانا صرخت :

"كفى! لا نريد أن نرى أكثر!"

لكن الأطياف ردت :

"أنتم من بقي... وعليكم أن تشهدوا ."

وسط الانهيار ، انبثق نص جديد في الهواء :

"إنه ليس شيطانًا كما تُسمونه .

إنه عين مفتوحة... على الفوضى التي لا تنام .

رؤيته تكفي لتشطر العالم نصفين ."

زايل تمتم :

"...الإمبراطور ماثيوس... هو من حمل تلك العين ."

بدأت الأرض تهتز ، كأن كل قطرة دم قديمة عادت لتتحرك .

المدينة الأولى ، التي صارت رماداً ، بدت وكأنها تعود للحياة . . . لكن بالحمراء الداكنة .

منازل من دم ، أبراج من دم ، شوارع من دم .

زايل قال :

"من كان قبلنا... ترك كل شيء ينزف ، كي نحيا نحن .

لكننا... سنترك دمًا آخر ."

الطيف الأكبر اقترب من ليانا ، صوته كأن الريح تسقط فوق بحرٍ أسود :

"لا تظني أنكم ستنتصرون... أنتم لستم سوى شاهدين .

أنتم فقط... العين التي سترى النهاية ."

ليانا ردت بصوت متشقق :

"إذا كان هذا قدرناً... فسأحمل اللعنة كاملة ."

الجدار انشطر من المنتصف ، وانبثق منه ضوء أسود ، أسود لدرجة أنه التهم كل ما حوله .

زايل همس :

"الغطاء تمزق... وما خفي صار يُرى ."

السماء تصدعت ، كأنها قشرة هشة .

من خلفها ، عين هائلة ظهرت ، لا شمس ولا قمر ، مجرد حدقة بلا جفن .

رآها زايل وليانا للحظة فقط... فشعرا أن دماءهما تتبخر من عروقهم .

ليانا وقعت على ركبتيها :

"هذه... الرؤية... لا يمكن احتمالها ."

الأطياف الأخيرة بدأت تختفي ، لكن أصواتهم بقيت :

"سنُمحى ، أنتم ستُمحون ، وكل شيء سيبقى في العمى... إلا هو .

الذي لا يُحجب ، ولا يُقتل ، ولا يُسمى ."

زايل ، ودم ينزف من عينيه ، رفع سيفه وقال :

"إن لم أستطع قتله... سأقتطع نفسي من أجل أن ينزف معه .

لن أكون شاهداً فقط... سأكون نزيفاً جديداً ."

ليانا بجانبه ، وجهها باك وملطخ بالتراب :

"إذن... سنترك دماً جديداً ، كما تركوا .

لكن دمنا... سيكتب آخر ما كُتب ."

وبينما السماء تستحيل عيناً دامية ، والمدينة الأولى تنهار بلا أثر ، كان الفصل يُغلق على جملة محفورة بالدم :

"من كان قبلهم... ترك كل شيء ينزف .

والذين جاؤوا بعدهم... سيتركون ما تبقّى ."

الفصل السادس والسبعون

فجر لا يصل لأحد

في أطلال المدينة الأولى ، جلس الناس الباقون في الشوارع ، وجوههم تترقب الأفق الشرقي .
الهمسات ارتفعت :
"الشمس ستشرق... وستطرد هذا الكابوس ."
لكن الصمت الذي سبق الفجر كان ثقيلاً ، كأنه انتظار لشيء لن يأتي .
انشق الأفق بخيطٍ رمادي باهت ، لم يكن ضوءاً بل ظلاً باهتاً يمتد .
انتظرت العيون لحظةَ التحوّل إلى شمس... لكن لم يظهر شيء .
السماء بدت كجسد مثقوب ، كلما اتسع الثقب تساقط من داخله رماد أسود .
طفل صغير سأل أمه بصوتٍ مرتجف :
"متى تشرق الشمس؟"
لكنها لم تجب ، لأنها رأت السماء تتشقق أكثر... وصرخة عظيمة تهز الهواء خرجت من الفضاء نفسه .
لم تكن صرخة بشرية ، ولا حيوانية ، بل صرخة زمنٍ يُنتزع من نفسه .
الظلام لم يسقط كعادته من الليل... بل صعد من الأَرض نفسها .
شقوق الطرق ، النوافذ ، حتى أنفاس الناس بدأت تنزف سواداً .
كلما حاول أحد رفع عينيه نحو السماء ، نزف من أنفه أو عينيه .
المئات وقعوا على الأرض ، يبكون بلا دموع ، أصواتهم تختنق .
ليانا وزايل كانا وسط الحشد ، لكن الغريب أنهما لم ينزفا كما الآخرين .
زايل همس :
"لماذا نحن؟ لماذا نحن فقط من لا يموت الآن؟"

ليانا أغلقت عينيها :

"ربما لأننا لم نعد بشراً كاملين بعد كل ما رأيناه ."

الكهنة والناجون رفعوا صلواتهم للسماء ، لكن كلماتهم انكسرت في الهواء .

أحد الكهنة صرخ :

"النهاية ليست عقابًا... إنها كشف .

نحن مجرد سراب وها قد انكشفنا ."

ثم سقط على وجهه ، بلا حياة .

ليانا رأت صوراً تعبر ذهنها فجأة :

وجوه الأطفال الذين قتلتهم في ماضيها ، دماء ضحاياها وهي تنزلق على يديها .

لكن شيئًا ما غريبًا... صورهم كانت مبتسمة ، لا خائفة .

همست لنفسها :

"حتى الذنوب... تفقد شكلها أمام النهاية ."

زايل وقف وسط الحشد الميت وقال :

"إن لم يكن لنا فجر... فلن أترك الأرض تموت بلا دم جديد .

سنكتب بأجسادنا ما لم تستطع الشمس كتابته ."

كان صوته أشبه بزمجرة وحش أكثر من كونه صوت إنسان .

في الأفق ، لم تظهر الشمس... بل انعكاس أسود لها ، دائرة من العدم .

كلما اتسعت ، تراجع الضوء الباقي من السماء .

ليانا أمسكت صدرها ، شعرت وكأن قلبها يُسحب من الداخل .

همست :

"هذا ليس غياب الفجر... بل ارتداده .

الشمس ولّت ولن تعود ."

المباني العظمى انهارت دفعة واحدة ، كأن صرخة غير مسموعة أسقطتها .
الناس الباقون لم يصرخوا ، بل انكمشوا بصمت ، ملامحهم تتفتت كتماثيل ملحية أمام الريح .
زايل تمتم :
"لم يبقَ سوى نحن ."
ليانا رفعت رأسها ، الدموع السوداء تتساقط من عينيها .
صرخت بكل ما أوتيت من قوة :
"أيها الفجر الميت... لن نركع لك!"
لكن السماء أجابتها بالخرس ، وكأنها حفرة لا قاع لها .
انعكس وجه ليانا في السماء السوداء كمرآة .
لكن الانعكاس لم يكن هي... بل نسخة منها بلا عيون ، تمزج بين ضحك وبكاء .
زايل رأى أيضًا وجهه ، لكن كوحش عملاق ، جسد من العظام والدم .
فهم الاثنان أن السماء لم تعد سماء... بل مرآة لانكساراتهم .
من بين الجثث ، نهض رجل واحد فقط ، نصف جسده متفحم .
اقترب ببطء ، ثم قال وهو يسقط :
"النهاية جاءت... لكن أنتما... لم تُخلقا لتنتهيا معنا ."
ومات قبل أن يكمل جملته .
الأرض نفسها ارتجت ، وخرج صوت خافت من الشقوق :
"الشمس ماتت... لكنكم لستم من سيمحوها .
أنتم فقط من سيحمل ظلالها ."
المدينة كلها كانت رماداً .
لم يبقَ سوى ليانا وزايل واقفين وسط الخراب ، الريح تحمل رماد الموتى .

ليانا همست :
"كلهم ماتوا... ونحن فقط تُركنا ."
زايل نظر إلى السماء السوداء :
"إذن النهاية لم تصل بعد .
نحن آخر خيط باقٍ لنسجها ."
الظلام صار كثيفًا لدرجة أنه ابتلع الأصوات .
لم يعودا يسمعان أنفاسهما بوضوح .
ليانا وضعت يدها على كتف زايل وقالت :
"هل تسمع؟"
أجاب :
"أسمع صمتًا... صمتًا يقتل أكثر من أي صرخة ."
وسط الخراب ، وجدوا كتابًا محروقًا نصفه فقط ، عليه كلمات بالكاد تُقرأ :
"الفجر... ليس بداية .
الفجر نهاية مؤجلة .
من لا يراها... سيحملها إلى الجيل التالي ."
زايل مزق الصفحة واحتفظ بها :
"لن نتركها لجيل آخر .
سينتهي بنا نحن ."
ليانا :
"زايل... إن لم يكن لنا فجر... ماذا بقي لنا؟"
زايل :
"بقي أن نحمل السيف حتى لو لم يبقَ ضوء نرفعه فيه .
بقي أن نثبت أننا لم نُخلق فقط لنشهد ."

مع كل خطوة يخطوانها ، الأرض تتفتت تحت قدميهما .
لكنهما لم يتراجعا .
ليانا همست :
"إذن... النهاية الحقيقية لم تبدأ بعد ."
زايل رد :
"بل الآن... يبدأ الظلام الذي لا عودة منه ."
وقفا معًا ، وحيدين وسط عالمٍ انهار ، والسماء سوداء لا نهائية فوقهما .
لم يكن هناك أصوات ، لا حياة ، لا زمن .
لكنّهما ، وحدهما ، بقيا واقفين .
الجملة الأخيرة لهما انغرست كالطعنة :
"شروق شمس لم يره أحد... لأن الفجر لم يعد للبشر .
ولم يبقَ في العالم إلا شاهدان... على بداية النهاية الحقيقية ."

الفصل السابع والسبعون والأخير

الصرخة الأخيرة قبل إنطفاء كل شيء

من قلب السماء السوداء التي لم تُشرق منذ الفجر ، خرج صدع واحد... لكن لم يكن ضوءاً .
كان هوّة ، جرحًا مفتوحًا في الكون ذاته .
ومن داخله ، انبثق صدى أول :
أنين الأرض وهي تجُبر على الولادة من جديد... لكن ما وُلد لم يكن حياة .
الأرض كلها اهتزت كأنها جسدٌ يستفرغ ما في داخله .
السلاسل القديمة التي نسجها البيلومونت قبل مليار سنة انشقت .
الخراب لم يكن انفجاراً... بل كان انهياراً صامتًا .
ليانا شعرت أن كل نفس تستنشقه صار يمر عبر رماد أجيال ميتة .
من الفتحة خرج ظل أول... ثم ظل آخر... ثم مئات الظلال التي تتجمع لتشكّل شيئًا أضخم من أي فهم .
لم تكن له ملامح كاملة ، بل خليط من وجوه بشرية وملامح وحوش وأصداء صرخات .
همس صوت بلا فم :
"نسيتم اسمي... لكنني لم أنسَكم ."
زايل أدرك فجأة... هذا ليس كيانًا جديداً .
هذا الإمبراطور ماثيوس ، من سحق الجحيم بدمه ، ومن خُتم كي لا يُرى .
لكن رؤيته وحدها كانت كافية لتشقق العيون .

كل من نظر نحوه انفجرت عيناه... إلا ليانا وزايل ، كأنهما حُرسا ليشهدا النهاية .

في الأفق ، بدا صدى كاين... ثم استرافا... ثم أورين .

لحظة قصيرة لمحوا وجوههم بين الظلال ، لكنهم كانوا بلا أعين ، بلا أصوات .

صرخة كاين لم تصل... لأن صوته تم محوه .

دموع ليانا سقطت :

"حتى الذكرى... أُطفئت ."

من كل مكان ارتفع سائل أسود كالدم ، خرج من الصخور والبحار .

كل ما بُني ، كل ما عاش ، صار يتدفق كسائل واحد .

ماثيوس مد يده المصنوعة من آلاف الأذرع البشرية وقال :

"أنتم آخر ما يقف... لكنكم آخر ما سينطفئ ."

زايل رفع سيفه العملاق ، ولوّح نحو السماء .

صرخ :

"لن نُمحى كأننا لم نكن!"

ضربته ارتطمت بالظلام... لكنها تبخرت قبل أن تصل .

ضحك المنسي بصوت يشبه آلاف الأمهات يندبن أبناءهن :

"كل قوة صنعتموها... كانت لي منذ البداية ."

ليانا سمعت همسات تخرج من جسد ماثيوس :

"نحن الذين قتلتِهم... نحن الذين نسيتِهم... نحن فيكِ ، والآن نبتلعكِ ."

جثت على الأرض للحظة ، يدها ترتجف على خنجرها .

لكنها نهضت ، وواجهت السماء بعينيها المبللتين .

"لن أسمح أن يُكتب موتنا بلا شاهد ."

الهواء بين ليانا وزايل بدأ يتشقق كزجاج .

كأن العالم نفسه يقرر فصلهما ، طريقان ينفتحان تحت أقدامهما .
زايل مد يده نحوها... لكنها لم تصل .
همس :
"ابقِ شاهدة... حتى لو لم أركِ ثانية ."
ليانا صرخت باسمه ، لكن صوتها لم يخرج .
حبالها الصوتية نفسها تحولت إلى رماد يتناثر مع كل كلمة .
سقطت على ركبتيها ، لكن دموعها لم تجف .
زايل نظر إليها عبر الفراغ ، وأومأ فقط... ثم اختفى في ظله .
زايل وجد نفسه يمشي في صحراء من جماجم .
ليانا وجدت نفسها في بحر بلا ماء ، أمواج من رماد تتحطم على صدرها .
كلاهما عرف أن اللقاء لم يعد ممكنًا .
ماثيوس فتح صدره ، ومن داخله خرجت آلاف الصرخات ، كأنها أصوات حضارات بأكملها تُذبح في لحظة واحدة .
الهواء نفسه صار جداراً من الألم .
ليانا وضعت يديها على أذنيها... لكن الصوت لم يكن مسموعًا ، بل محفوراً في الروح .
النجوم سقطت من السماء كدموع منسية .
كل ثانية كانت أطول من عمر .
ليانا أدركت أن الزمن نفسه يُمحى ، وأنها تمشي في لحظة أبدية لا تنتهي .
زايل ، في صحراء الجماجم ، وجد نقوشًا على العظام :
أسماء لم يعرفها ، دماء لم يرها .
لكنها كلها نُقشت لتقول شيئًا واحدًا :
"كل شيء هنا وُلد ليموت بلا شاهد ."

لكنه صاح :

"أنا الشاهد! وإن كنت الأخير!"

في بحر الرماد ، غرقت ليانا حتى رقبتها .

لكنها رفعت يدها للأعلى وهمست :

"إن كان لا أحد يسمع... فليسمع العدم أنني عشت ."

من قلب الظلام ، ارتفع صوت الإمبراطور ماثيوس :

"كلكم لم تخلقوا للخلاص... بل خُلقتم لتكونوا دليلاً على نهايتي ."

ضحك ، وضحكته كانت أطول من الزمن نفسه .

للحظة قصيرة ، التقت روح ليانا بروح زايل .

لكن لم تكن لقاءً حقيقياً... بل شظية من ذكرى .

ابتسم كل واحد للآخر... ثم انقطعت الشظية .

الرماد ابتلع البحر .

الجماجم ابتلعت الصحراء .

والسماء ابتلعت العالم .

ولم يبقَ سوى خطوة واحدة قبل الانطفاء .

ليانا رفعت رأسها ، وزايل رفع سيفه في مكانه البعيد .

معًا ، أطلقا صرخة واحدة ، صرخة جمعت دماء كل من سقطوا .

صرخة لم تكن لأجل النصر ، بل لأجل ألا يُمحى أثرهم تمامًا .

لكن الصرخة لم يسمعها أحد .

لا السماء ، لا الأرض ، لا حتى الزمن .

فالعالم نفسه انطفأ معها ، كشمعة تُسحق بين أصابع المنسي .

الجملة الأخيرة ارتجّت في العدم :

"ولم يتبقَ سوى صرخة... لم يسمعها أحد ."

الخاتمة

لا تبحث عن النجاة في هذه الأوراق... لم تُكتب النجاة هنا .
هذه الرواية لم تكن ملحمة أبطال ، بل كانت انعكاسًا لوجوهنا نحن ، حين نُجبر على رؤية الظلام الذي نحمله .
كاين لم يكن سوى جرحًا يُعاد فتحه مع كل سطر ، واسترافا لم يكن سوى لعنته التوأمية التي نرفض الاعتراف بها .
أما أورين ، فقد كان الدمعة التي تنزل دائمًا بعد فوات الأوان .
لقد مشوا نحو موتهم... ليس لأن القدر ساقهم إليه ، بل لأنهم هم الذين كتبوا نهايتهم ، مرارًا وتكرارًا ، في كل حلقة... حتى لم يتبقَّ سوى الرماد .
الدم لا يخطئ .
حين يسيل ، فإنه يتحدث .
وحين يتبخر ، فإنه يصرخ .
دم كاين قال :
"لم أكن بطلاً ، كنت مجنونًا يحاول أن يصير إنسانًا ."
دم استرافا قال :
"لم أكن عدواً ، كنت إنسانًا يحاول أن يصير جنونًا ."
دم أورين لم يقل شيئًا... لكنه كتب أعمق صمت ، صمتًا صار تعويذة ختمت نصف الفوضى ، وأطلقت النصف الآخر .
من يجرؤ أن يزعم أن الدم جف؟
إنهم لا يعلمون أن الدم ليس ماءً ، بل مرآة... ومن نظر فيه ، أدرك أن النهاية ليست موتًا ، بل بداية جرح جديد .
أنت الذي وصلت إلى هنا... لماذا لم تهرب حين حذرتك الكلمات؟

لقد فتحت هذه الصفحات ، رغم أن كل سطر كان مقصلة .

أردت النهاية... وها قد نلتها .

لكن هل تشعر بالراحة؟

لا .

لن تشعر .

لأن هذه ليست حكاية تُغلق وتُنسى .

هذه لعنة .

لعنة تخرج من الورق لتسكنك .

لقد حملتَ الآن دم كاين في حلمك ، وصوت استرافا في صدرك ، وظل أورين في خطوتك .

وإن حاولت أن تُبعد نفسك عنهم ، ستجد أن المرآة لم تعد مرآتك وحدك... بل مرآتهم جميعًا .

كانوا يظنون أنهم قاتلوا فوضى ، لكنهم اكتشفوا متأخرين أن الفوضى لم تكن سوى ستار .

الحقيقة كانت أقدم من كل الأسماء :

ماثيوس ، الإمبراطور الذي اختار أن يصير جحيمًا .

لم يُختم كي لا يخرج... بل كي لا يُرى .

لأن رؤيته تعني أن ينهار كل شيء :

الماضي ، الحاضر ، وحتى المعنى نفسه .

وها هو قد تَسرّب من الشقوق ، لا كجسد... بل كظل .

والظل لا يموت .

الظل يعيش حيث الكلمات تعجز .

الظل يعيش... في القارئ .

سقطت المدن .

انطفأت السماء .

اختفى الزمن .

لكن النهاية لم تكن في الخارج .

النهاية كانت في الداخل ، في تلك اللحظة التي نظر فيها كل قارئ إلى قلبه ، ورأى أن ما يخشاه لم يكن بعيداً... بل كان أقرب من دمه .

ليانا بقيت ، وزايل بقي... لكن أي بقاء هذا؟

بقاء شاهدين ، عالقين بين موت لا يُكمل وحياة لا تُعاش .

وهذا هو أقسى العقاب :

أن تبقى حيًا... بعد أن مات كل شيء .

لقد انتهى كل شيء... لكن النهاية لم يسمعها أحد .

صرخة أخيرة ، انطفأت قبل أن تخرج ، ارتدت إلى الداخل ، وعلقت هناك ، في صدر العالم .

ذلك هو الإرث الحقيقي :

ليس نصراً ، ولا هزيمة ، بل صرخة لم تصل .

صرخة تشبه جرحًا مفتوحًا في قلب الليل .

صرخة لن يعرفها أحد... إلا أنت .

الآن ، وأنت تطوي الورقة الأخيرة ، تظن أن الأمر انتهى .

لكنك لا تعلم أن هذا النص نفسه صار بابًا .

وقد عبرت .

ولن تستطيع أن تعود كما كنت .

لأن الحلقة لم تنكسر... لقد كُسرت داخلك .

وأنت ، من الآن ، أحد شخوصها .

ولم يتبقَّ سوى صرخة... لم يسمعها أحد .

رسالة إلى القارئ

إلى كل من وصل حتى هذه اللحظة...

إلى الذي لم يتوقف عند التحذير ، ولم يغلق الكتاب حين أثقلته الدماء والظلال...

أنت الآن شريك في هذه الحكاية ، بقدر ما كان أبطالها شركاء في لعنتهم .

أشكرك ، لا بصفتي كاتبًا فقط ، بل كرفيق رحلة .

لقد عبرتَ معي طرقًا لم تكن ممّهدة ، وفتحت أبوابًا لم يكن ينبغي فتحها .

كل دمعة قرأتها ، كل صرخة تخيّلتها ، وكل جرح صامت شعرت به... صار جزءًا من دمك أنت .

وأنا مدين لك بأنك سمحت لهذه الكلمات أن تعيش فيك ، لا على الورق فقط .

لكن...

هل تظن أن النهاية هنا؟

هل تعتقد أن كل ما انطفأ لن يُشعل من جديد؟

الحقيقة أن هذه لم تكن خاتمة... بل مفترق طرق .

صرخة الشيطان المنسي لم تكن الأخيرة ، بل كانت الأولى .

ولأنك سمعتها — ولو في صمتك — فأنت تعرف أن الظلام لا يموت ، بل يتربص .

لهذا... إن قررت أن تعود ، ستجد الباب مفتوحًا .

لكن تذكر :

العودة ليست بلا ثمن .

إلى حين اللقاء القادم...
تقبّل امتناني ، وتهيّأ لصوت لم تسمعه بعد .
"كل حلقة تُكسر... تلد حلقًة أشد قسوة ."

وفي الختام . . .

إلى كل من رافقني عبر هذه الصفحات ، إلى كل عين قرأت ، وكل قلبٍ تأثّر ، وكل عقلٍ توقّف ليتأمل... لكم أقدم شكراً وتقديراً .

لم تكن هذه الرواية مجرّد حكاية أبطال وصراعات ، بل كانت رحلة شعورية طويلة ، حملت في طيّاتها الألم كما حملت الأمل ، وأظهرت أن الحكايات الكبرى ليست سوى مرايا تعكس بعضًا منّا .

أنتم ، أيها القرّاء ، جعلتم لهذه الكلمات حياةً أبعد من حدود الورق ، وأكسبتموها معنى لا يمكن أن تصنعه الكتابة وحدها .

أشكر كل من صبر على ثقل الفصول ، وتاه في دهاليز الظلام ، ثم عاد ليمسك بخيط الضوء مهما كان رفيعًا .

أشكر كل من منح هذه القصة وقته ، منحهَا عاطفته ، أو منحها مجرد نظرة فضول... فكل ذلك لم يكن بلا قيمة .

ولكل قارئ يصل إلى هنا ، تذكّر أن كل عمل لا يكتمل إلا بكم ، أنتم الذين تمنحونه الروح ، وأن كل جملة ما كُتبت إلا لتجد من يقرأها ، ويترك صداها داخله .

شكراً من القلب ، لأنكم كنتم الرفيق الصامت في هذه الرحلة ، ولأنكم سمحتم لهذا النص أن يعيش معكم .